

R

Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES



تاريخ التسليم في العراق

في العهد العثماني

١٦٣٨م - ١٩١٧م

تأليف

عبد الرزاق الطهلاوي

ليسانس بالآداب من مرتبة الشرف

ليسانس في الحقوق

سأدت وزارة المعارف على نشر هذا الكتاب

الطبعة الاولى

١٩٥٩

السعر ٥٠٠ فلس

شركة الطبع والنشر الاهلية ذ.م.م ٠٠ تلفون ٧٩٥٩

تاريخ التسليم في العراق

في العهد العثماني
١٦٣٨م - ١٩١٧م

تأليف

عبد الرزاق الهلواني

ليسانس بالآداب من مرتبة الشرف
ليسانس في الحقوق

ساعدت وزارة المعارف على نشر هذا الكتاب

الطبعة الاولى

١٩٥٩

L378.56

H54

تاريخية في مصر القديمة

(في مصر القديمة)

١٩٢١٧ - ٧١٨١٧

322376

في مصر القديمة

١٩٢١٧

الفهرست

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٢
العراق العثماني	١
العثمانيون والخلافة	٤
نظام الحكم العثماني	٩
الولايات العراقية	٢٧
ملامح المجتمع العراقي	٣١
نور يخبو	٣٧
أسس الدراسة العلمية	٤٢
المعاهد الدراسية	٤٥
الكتاتيب	٤٧
المدارس	٦٣
مدارس بغداد	٦٨
مدرسة الشيخ شكر في بغداد	٨٠
مدارس الموصل	٨٣
مدارس البصرة	٨٦
أساتذة المدارس	٩٠
مناهج الدراسة	٩٦
طريقة التدريس	٩٨
الدراسة في النجف الاشرف	١٠١
آداب التدريس والمدرس	١٠٨
اسلوب الدراسة	١١٤
الاجازة	١١٧
المدارس آخر الدولة العثمانية	١٢٢

الموضوع	الصفحة
المدارس والآداب	١٢٤
سياسة الاصلاح في العهد العثماني	١٢٩
الاصلاحات الخيرية والمدارس	١٣٥
الدولة العثمانية والتعليم الحديث	١٣٩
العراق والمدارس الحديثة	١٤٨
التعليم في ولاية بغداد	١٥٢
التعليم والمدارس العسكرية	١٦٢
المدارس الاهلية في بغداد	١٧١
التعليم في ولاية الموصل	١٧٧
التعليم في ولاية البصرة	١٨٤
الاقليات والتعليم في العراق	١٨٩
مدارس الطوائف المسيحية في العراق	١٩٣
المدارس المسيحية الاجنبية	١٩٧
مدارس الموصل	١٩٩
مدارس بغداد	٢٠١
مدارس البصرة	٢٠٤
الاقلية اليهودية في العراق	٢٠٥
المدارس الاسرائيلية في العراق	٢٠٦
مدارس الجاليات الاجنبية	٢١١
الدراسة العالية في العراق	٢١٤
مكتب الحقوق في بغداد	٢١٥
الدراسة خارج العراق	٢١٩
ادارة شؤون المعارف	٢٢٧
أرقام واحصائيات	٢٤٣
خاتمة	٢٥٥

المقدمة

إذا كان لابد لكل كتاب من مقدمة ، فإن مقدمة كتابي هذا ، ستكون حديثاً ، أعرض فيه للقاريء بإيجاز ، العوامل والاسباب التي حملتني على تأليف هذا الكتاب ، على الرغم مما يحيط موضوعه من متاعب وأتعاب !

أما هذا الحديث ، فيرجع تاريخه الى عام ١٩٥٠ م ، حيث كنت آنذاك ، منشغلاً بأعداد فصول كتابي (معجم العراق) . ولما كان موضوع (التريية والتعليم في العراق) من جملة موضوعات ذلك الكتاب ، وكانت خطتي عند كتابة كل موضوع ، ان أرجع الى الورا قليلاً ، لجعل البحث شاملاً ، فقد رحت ، وأنا متبع هذا النهج ، اقرأ تاريخ التعليم منذ العهد العثماني ، فخرجت بعد هذه الدراسة ، بعلومات واسعة ، حوت الشيء الكثير من الحوادث النادرة والصور الطريفة والاخبار الشائقة ، عن التعليم في العراق آنذاك .

لذا رأيت أن اجعل منها كتاباً خاصاً ، اصدره مستقلاً عن المعجم . وقد أشرت الى رغبتني هذه في الصفحة (٢١٠) من الجزء الاول من كتابي (معجم العراق) الذي أصدرته عام ١٩٥٣ ، قائلاً (للمؤلف كتاب بعنوان تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني سيصدر قريباً) .

ونظراً لاهمية هذا الموضوع من جهة ، وعدم توفر المصادر الباحثة عنه بحثاً مفصلاً ، من جهة أخرى ، رأيت التريث أولاً ثم الاستعانة بذوي الدراية والاطلاع الذين أكملوا دراساتهم في أواخر العهد العثماني ثانياً . فرحت أتصل أما شخصياً وأما عن طريق المراسلة ، بعدد من الاساتذة لاسيما مع اولئك المتضلعين في مباحث التاريخ العراقي ، مستفسراً عن بعض الحقائق ، ومستفهماً

(ب)

عن بعض الاحداث والوقائع . فكانت احاديثهم وأجوبتهم ، خير عون لي في وضع بعض فصول هذا الكتاب .

وفي الوقت الذي كنت أقوم بتهيأة مواد هذه الفصول ، كانت تصدر بين الحين والآخر ، كتب تاريخية هامة (عربية أو افرنجية) ساعدتني كثيرا في الكشف عن نواح عديدة من جوانب الحياة العلمية في العصور المظلمة في العراق .

لذا يمكن القول أن المعلومات التي جمعتها وانا أهيب مواد كتابي (معجم العراق) ، وما تفضل به علي ذوو الفضل من كرام الاساتذة من معلومات مفيدة ، واجابات قيمة ، وما تناثر بين سطور هذه الكتب التاريخية الهامة من شذرات نافعة ، كل هذه تضافرت في تكوين فصول هذا الكتاب !

ان هذا الكتاب الذي أقدمه اليوم الى القاريء الكريم ، كتاب جديد في مادته ، وموضوعه ، فهو كما يرى ، موضوع عزت فيه المراجع والمطآن ، وغفل عنه الكتاب والباحثون . ولذلك ليس لي وانا أضعه بين يدي القاريء ، الا أن اقول ان هذه الفصول ان هي الا نتيجة مجهود فردي ، وتبع واستقصاء شخصي ! فاذا جاءت أبحاثه ناقصة ، فأملني ومليد ، بأن ذوي الفضل من الاساتذة سوف لا يبخلون علينا بما لديهم من تصويب وارشاد ، لنتخذ من تصويباتهم وارشاداتهم عوناً في اعطاء صورة صادقة لهذا التاريخ في طبعة ثانية انشاء الله !

تلك هي القصة ، وهذا هو حديث العوامل التي حملتني على تأليف هذا الكتاب !

ان نشر هذا الكتاب في مطلع هذا العهد الجمهوري الزاهر ، وبمساعدة وزارة المعارف الجليلة ، سيجعل في مقدور الباحثين ، الوقوف على الاسس

(ج)

الثقافية التي نستند اليها اليوم ، لان حاضرننا الثقافي بوجه عام ، مستند الى تلك الاسس الثقافية والقواعد العلمية التي ركزت في ذلك العهد الغابر . ولكي نتدبر حاضرننا ، وتلمس ما فيه من دوافع غامضة ، وعوامل تفعل مفعولها في حياتنا العامة ، لابد لنا من دراسة ذلك التراث ، واستقراء أغراضه ومراميه ، لنرسم في ضوء تلك الدراسة خطط المستقبل الزاهر !

واذا كان لابد لي من ازجاء الشكر الى اولئك الذين ساعدوني في اخراج هذا الكتاب ، فلا يسعني الا أن اقدم خالص شكري وتقديري للروح العلمي الطيب والمساعدة القيسة التي تفضل بها علي الاساتذة وهم .. المرحوم يوسف عز الدين الناصري ، والمرحوم صديق الدملوجي والمرحوم رفائيل بطي ، والاساتذة الدكتور داود الجلسي ، وهاشم الالوسي ، وكوركيس عواد ، وكاظم شكاره ، واحمد امين ، وصديق القادري . كما لابد لي من شكر الاساتذة الذين شجعوني على السير بسرعة لاجراء هذا المجهود الممتع الطريف وفي مقدمتهم الدكتور نوري جعفر والاستاذ ميخائيل عواد .

وختاماً اسأله تعالى ان يكتب لنا التوفيق في العمل ، يأخذ بأيدي الجميع الى ما فيه الخير ، فهو نعم المولى ونعم النصير .

عبد الرزاق الهلالي

بغداد في ٣٠ حزيران ١٩٥٩

العراق العثماني

كانت بلاد الرافدين أيام العباسيين بلادا عامرة وافرة الغنى ، تدر أرض السواد فيها الخصب والخير العسيم ، اذ كانت الدولة آنذاك معنية عناية فائقة بوسائل الاصلاح وشؤون الري والزراعة والعمران ، فلا عجب اذا ما ازدهرت البلاد ازدهارا عظيما امتد الى مختلف مجالات الحياة . لا فرق في أن تكون تلك العناية منصبه على تنظيم شؤون الري وحسن الاستفادة من مياه الرافدين أو العناية بأمور الزراعة أو في شؤون الثقافة أو غيرها .

وهكذا ما ان بزغ فجر القرن الثالث عشر حتى كانت بغداد ما تزال مدينة الخلفاء المقدسة ، والعراق ما برح جنة الجبوب والبساتين ، كما كان في عهد سارغون وسلوقيس والرشيد .

الا أنه بتتابع الايام راحت الامور تجري على غير الصورة الاولى ، فقد بقيت بغداد جذابة غنية ، مهية الجانب ، لكنها كانت خائرة القوى ، لا حول لها ولا طول بيدها ، تنعم بعظمتها الخالدة ، ولذلك لم تقو على مغالبة عاديات الايام اذ سرعان ما عصفت بها ريح الخراب عندما دهسها هولاء حفيد جنكيز خان عام (٦٥٦ هـ) ، قتل عرشها ، وأطلق نار الخلافة فيها حتى الابد ، بعد ان استباح غنائمها التي لا تحصى وكنوزها العظيمة وذبح شعراءها وتجارها وفرق طلابها وعلماءها وفقهاءها ، فاستحالت في يوم واحد من مركز للسلطنة الاسلامية الذي لا ند له الى مركز حقير من مراكز الامبراطورية الايلخانية (١) .

ولقد كان أعظم الاعمال التهديمية التي ارتكبها (هولاء) هو التخريب المتقن في السدود والانهار ونواظم الاسقاء التي كان تشييدها المحكم منذ القدم المنبع الوحيد للثروة في البلاد . وقد تعذر القيام باصلاح تلك التخريبات فيما بعد ، بسبب استمرار الاضطرابات في البلاد ، وفقدان روح العمل من بقوا

١ - أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث لونكريك . ترجمة جعفر الخياط

أحياء من السكان القليلين اثر تلك المذابح والتخريبات الهائلة (٢) . وهكذا راحت السنين تمر والعراق لا يزال فريسة للاضطرابات ، وعرضة للانقلابات وسفك الدماء وحكم الاجانب ، وظل يغطس كل عام ببلجج القلاقل والاضطرابات والاستيلاء الجديد ، حتى بات كل شهر من تلك المدة حافلا بسقوط السلالات المختلفة والاسر المالكة ، وعلى هذا المنوال كان حکام بغداد يتجددون الواحد تلو الآخر حتى آل الامر الى (العثمانيين) بعد ان خلصوا البلاد من أيدي الايرانيين ، ولكن هذا الحكم الجديد لم يقو على اقالة البلاد من عثرتها أو يقدر على اعادة مجدها وعزتها بل على العكس سارت الامور بمجرها القديم وكلما تقدمت الايام كلما تفاقم الامر وتعاظمت المتاعب والمصاعب نظرا لبعدها مركز الخلافة وسوء الادارة وطمع الولاة في الحكم وسيطرة الروح العسكرية ، وفشو الجهل والفقر والمرض ، حتى بات كل يوم يسر وهو لا يخلو من عصيان جديد يقطع به اللصوص الطرق او يغتصب به بعض رؤساء العشائر بلدة نهرية .

ولم تكن حال الحواضر الاخرى في العراق في العهد العثماني أحسن من حال (بغداد) فتاريخ البصرة والموصل وكركوك والسليمانية هو الآخر حافل بالحروب والمعارك والغزوات والفتن والاضطرابات . فليس عجيبا بعد هذا ، أن يرى المتتبع لتاريخ العراق في هذه القرون ، يرى الاجيال يتلو بعضها بعضا دون أن تكون هناك خطة واضحة للحكم لان المثل العليا لم يكن لها وجود ، بل كان الذي يؤيد الحكم هو الاخلاص الطنان (للدين) ، والدولة التي كانت تستقي منه سلطتها ، كما لم تكن تدانيه في الاهمية لا الثقافة ولا حسن النية ولا الخبرة في الحكم (٣) .

ولما كان المذهب الرسمي للدولة العثمانية هو المذهب السني الحنفي ،

٢ - تطور الراي في العراق الدكتور احمد سوسة .

٣ - لوتكريك المصدر السابق .

أمكننا أن نعرف سبب سوء العلاقات بين أبناء هذه البلاد المسلمين في الطائفتين (السنة) و (الشيعة) فلقد كان عامل التفرقة (المذهبية) بينهما خلال تلك العصور ، ذا أثر كبير في تناحر أبناء الشعب الواحد وتباعدهم بسبب تلك النعرة البغيضة التي كانت تغذيها المطامع التوسعية ، تراود أذهان الملوك والساطين أو الامراء والقادة من العثمانيين والايانيين فساءت العلاقات بين أبناء الطائفتين بسبب هذه النعرة التي استغلت استغلالا كبيرا لم يكن في صالح الامة بشيء .

والخلاصة فقد كان العراق خلال تلك القرون (التي ابتدأت عام ١٦٣٨ م) و انتهت عام ١٩١٧ م وهي المدة التي خضع فيها للحكم العثماني) في حالة يرثي لها من الترددي والانحطاط وسوء الادارة فما كان الولاة في الاعمال الاغلب الا ملوكا مستبدين . أما تعديات الانكشارية والجاندرمة واستهتارهم بحياة الناس وأموالهم فللتاريخ عنها فصل طويل . فلا عجب اذا ما انتهى القرن التاسع عشر والبلاد ما تزال في حالة من الفوضى والتفسخ ، فشا فيها الجهل وسيطرت الخرافات واندرست معالم المدنية والحضارة وانتشرت الامية ، حيث لم تكن تحكم البلاد دولة تعرف واجبها الاساسي أو القيام بأبسط الواجبات كضمان حرية الرعية والمحافظة على حقوقهم ونشر ألوية الامن والطمأنينة في البلاد .

تلك هي حالة (العراق العثماني) الذي انتهى على هذه الصورة أثر اندحار القوات العثمانية أمام قوات الحلفاء في الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٧ وانطوت آخر صفحة من صفحات الحكم العثماني باعلان الهدنة في اليوم الاول من تشرين الثاني عام ١٩١٨ «٤» .

العثمانيون والخلافة

ان البحث في موضوع التربية والتعليم أيام العثمانيين يستوجب الخوض في موضوع « الخلافة » للوقوف على آثارها في حياة الشعوب الاسلامية أيام خلفاء بني عثمان . وقبل البحث في ذلك يجدر بنا أن نعطي القارئ فكرة عن « الخلافة » نفسها في الشريعة الاسلامية . فالخلافة في نظر العلامة ابن خلدون هي (حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الاخرية والدينية ، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا) (١) . وقد التزم الخلفاء الراشدون هذه الخطة وساروا في هدي الشريعة الاسلامية وقادوا الامة الى ما فيه خير الدنيا وثواب الآخرة .

ولكن الامور تغيرت فيما بعد عند ما قرر معاوية المبدأ الوراثي منذ عين ابنه يزيد (٦٧٦ م) خلفا له واستمرت هذه السابقة الوراثية في الخلافة على هذا الشكل حتى الازمنة الاخيرة من العصر العباسي . ومهما يكن من شيء فإنه بتطور الحياة خرجت الخلافة عن معناها الحقيقي لا سيما بعد أن اتسعت رقعة الدولة الاسلامية وضعفت سيطرة الخلفاء وأصبح حكام الاقاليم الواحد بعد الآخر مستقل في قطر من الاقطار أو جانب من جوانب العالم الاسلامي دون أن يبعدوا أنفسهم عن الجماعة الاسلامية بل اتخذوا لقب (أمير المسلمين) مع أنهم ذكروا اسم الخليفة القابع في بغداد في خطبة الجمعة بعد أسمائهم فبات (الخليفة) اسما بلا مسمى أو صورة رمزية فقط (٢) . وعندما احتل الطاغية (هولوكو) بغداد عام (٦٥٦ هـ) وقتل الخليفة المستعصم كان ذلك اليوم ايذانا بزوال خلافة بني العباس في مدينة السلام . الا أنه في يوم ١٩ رجب من عام ٦٥٩ هـ وصل الى مصر (أحمد بن الخليفة العباسي الظاهر بأمر الله)

١ — مقدمة ابن خلدون .

— النظم الاسلامية تأليف مورييس . غ . ديموميين ترجمة صالح الشماع .

فصل السامر .

وأثبت نسبه بحضور الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وكان ذلك في زمن (الظاهر بيبرس) فبايعه الظاهر بالخلافة ولقب بلقب (المستنصر بالله) ولكنه لم يبق في مصر بل جهز له جيشا وسار به لمحاربة هولاكو فالتقى به في (الانبار) فهزم جيش الخليفة وانقطعت أخباره «٢» .

وفي سنة ٦٦٠ هـ جاء الى مصر (أحمد بن علي بن أبي بكر بن الخليفة المسترشد بن (المستظهر) وثبت هو الآخر نسبه بحضور العلماء فبايعه (الظاهر بيبرس) أيضا على أن تبقى الاحكام بيده ، وهكذا انتقلت الخلافة العباسية من العراق الى مصر ، ولكنها خلافة اسمية فقط لان الحكم فيها كان بيد سلاطين المماليك . وقد استمرت في مصر من سنة ٦٦٠ هـ حتى سنة ٩٢٣ هـ أي الى خلافة (محمد المتوكل على الله) وهو السادس عشر من الخلفاء العباسيين في مصر «٤» .

وفي ذلك الوقت كانت هناك دولة اسلامية تسير متجهة من آسيا الصغرى صوب الجنوب والجنوب الشرقي ، تسير من نصر الى نصر ، تلك هي (الدولة العثمانية) أيام السلطان سليم الاول . لقد انتصر على شاه الفرس في موقعة (تشالديران) عام ١٥١٤ م وفتح أمامه أبواب (تبريز) عاصمة الدولة الصفوية واستولى فيها على العرش المرصع المشهور ونقله الى القسطنطينية . ثم بعد سنتين من ذلك النصر سار لمحاربة المماليك فانتصر على قنصوة الغوري في (مرج دابق) عام ١٥١٦ م وبعد ذلك استولى على سوريا بأجمعها ومن ثم سار الى مصر حيث دخلها عام ١٥١٧ م . وفي أثناء وجود السلطان سليم في القاهرة أتاه رسل من شريف مكة وأعلنوا خضوعهم وسلموه مفاتيح البلد المقدس كما قلده لقب (خادم الحرمين الشريفين) لكي يعلو

٣ - تاريخ الدولة العلية العثمانية - محمد فريد بك .

٤ - الخلافة : السير توماس ارنولد ترجمة جميل معلي دمشق ١٩٤٦ .

شأنه في العالم الاسلامي «٥» .
وبهذه الواقعة انتهت قصة الخلافة الاسلامية «٦» . ولكن الذي نريد
الوقوف عليه هو كيفية انتقالها الى سلاطين بني عثمان ومدى صحة هذا الزعم .
فالاستاذ (محمد فريد بك) في كتابه (تاريخ الدولة العلية) «٧» يقول
ما نصه ... (فلما عاد السلطان سليم الى القسطنطينية أخذ معه آخر خلفاء
بني العباس (المتوكل بالله) وهناك حصلت منه المبايعة الى السلطان سليم
العثماني أي عام ٩٢٤ هـ ، وسلمه الآثار النبوية الشريفة وهي البيرق والسيف
والبردة وسلمه أيضا مفاتيح الحرمين الشريفين ومن ذلك التاريخ أصبح لقب
كل سلطان عثماني (أمير المؤمنين وخليفة لرسول رب العالمين) .
أما المؤرخ (كارل بروكلمان) فيرى أن مسألة التنازل عن الخلافة
اسطورة ، اذ يرى أن السلطان سليم كان قد أعلن نفسه خليفة على المسلمين
في خطبة الجمعة وبوصفه خليفة استلم في شهر آب من سنة ١٥١٧ م مفاتيح
الكعبة «٨» .

ويرى صاحب كتاب يقظة العرب (جورج انطونيوس) أن رواية التنازل
هذه عرفت لأول مرة في القرن الثامن عشر واعتمدها المؤرخون الشرقيون

٥ - يقظة العرب جورج انطونيوس ترجمة علي حيدر الركابي دمشق
١٩٤٦ .

٦ - في يوم ٢٣-١-١٥١٧ قرئت الخطبة باسم السلطان سليم في جوامع
القاهرة . « اللهم انصر السلطان ابن السلطان ملك البرين والبحرين قاهر
الجيشين سلطان العراقين خادم الحرمين الشريفين الملك المظفر السلطان سليم
شاه » .

٧ - صفحة ٧٦ .

٨ - تاريخ الشعوب الاسلامية الجزء الثالث ترجمة الدكتور نبيه فارس
ومنيّر بعلبكي بيروت ١٩٥٤ .

والغريون الا (السير ارنولد) في كتابه (الخلافة) طبعة اكسفورد سنة ١٩٢٤ «٩» .

ومهما يكن من شىء فان هناك حقيقة لا تقبل النقاش هي أن السلاطين الاتراك اتخذوا لانفسهم منذ القرن الثامن عشر لقب (خليفة رسول الله) واعترف الناس لهم به . أما الاستاذ ساطع الحصري فيرى أن رواية التنازل عن الخلافة لم تكن تستند الى أساس يجوز الاعتماد عليه اذ يعتقد أنها اختلقت اختلاقا بعد عهد السلطان سليم بدة ولا غرابة في ذلك لان الخلافة في ذلك العهد كانت قد فقدت مكائنها منذ مدة طويلة . والخليفة كان قد أصبح (مقام تبرك) لا يتمتع بأية سلطة فعلية أو اسمية «١٠» .

ولذلك يرى الاستاذ الحصري أن سلاطين آل عثمان لم يعيروا في بادىء الامر أي اهتمام للخلافة لكنهم لما أرادوا الاستفادة منها اهتموا بها بصورة تدريجية ولذلك اختلق ساستهم ومؤرخوهم اسطورة التنازل والانتقال . وليس من شك في أن اعتقاد المسلمين لا سيما وهم في تلك الصورة من التأخر قد قوى نفوذ الدولة العثمانية وسهل حكمها تسهيلا كبيرا . كما أنها أي (الخلافة العثمانية) ساعدت كثيرا على استسلام العرب للحكم العثماني .

٩ - يرى توماس ارنولد في كتابه « الخلافة » ان انتقال الخلافة الى القسطنطينية بمبايعة الخليفة العباسي للسلطان سليم انما هو وهم ، وكان أول من ذكر هذا الوهم بان آخر خليفة عباسي في مصر نقل منصبه بقانون الى السلطان سليم ، قسطنطين مواردجا وهسون في مؤلفه العظيم .
« لوحة عامة للامبراطورية العثمانية » .

« Tableau GÉNÉRAL de l'EMPIRE OTTOMAN »

فأيد تقريره هذا دون الرجوع الى أي مصدر تاريخي . وهكذا انتقل دون اعتراض من مؤرخ الى آخر واضحى أساسا مشتركا للدعاة الحديثين في العالم الاسلامي في دعم حقوق العثمانيين في الخلافة .

١٠ - البلاد العربية والدولة العثمانية ساطع الحصري القاهرة ١٩٥٨ .

وهكذا وعلى الرغم من اختلاف آراء المؤرخين في موضوع التنازل فقد أصبح
سلامين بني عثمان (خلفاء للمسلمين) وطبقا للنظرية الاسلامية عن (الخلافة)
التي صاغها (الماوردي) يتعين على الخليفة أن يضطلع بالوظائف التالية وهي
(الذود عن الدين والمحافظة عليه وفض الخصومات القضائية وحماية أراضي
المسلمين وما يماثل ذلك من التدابير العسكرية وقيادة الجهاد ، أي الحرب
المقدسة ، وتوجيه الادارة المالية وادارة كافة شؤون الدولة الاخرى ، ومن
هنا يتعين عليه أن يمارس وظائف الدولة من روحية وزمنية « ١١ » . وأصبحت
وظيفتا ، الخليفة الروحي والحاكم الزمني ، متحدتين في شخص واحد هو
(السلطان العثماني) وقد أيد الدستور العثماني فيما بعد هذا الاتجاه بنصه
هذا (ان السلطة العثمانية العالية المنزلة ، متحدة مع الخلافة
الاسلامية السامية يتولاها أرشد أفراد اسرة آل عثمان طبقا لقاعدة قديمة ،
وان حضرة السلطان هو حامي الدين الاسلامي بحسب الخلافة ، وحاكم جميع
التبعية العثمانية وسلطانها) .

ومهما يكن من شيء فالحقيقة أن فكرة الخلافة والتسك بها من قبل
العثمانيين لم تعد لا سيما بعد نمو الحركة القومية الا واسطة لصهر تلك
الاجناس الاسلامية في بوتقة (الجامعة الاسلامية) التي كانت تدور حول
مبدأ الخلافة . ولذلك حاول السلطان عبد الحميد الثاني استشارة عواطف
المسلمين بالدعوة للجامعة الاسلامية وبذل ما يستطيع لتقوية علاقته عن هذا
الطريق بالعرب ، فقرب اليه فريقا من علمائهم وشيوخ الطرق عندهم ، وعهد
لبعض أبنائهم بالوظائف الرئيسية في الدولة الخ . وقد نجح في تحقيق حلمه
قدر المستطاع ، واستثمر هذه السياسة مدة طويلة « ١٢ » .

١١ - الدولة والنظم الاجتماعية في الشرق الاوسط ألفريد بونيه ترجمة
الدكتور راشد البراوي القاهرة ١٩٥٠ .

١٢ - فلسفة التاريخ العثماني محمد جميل بهيم بيروت ١٩٥٤ .

وليس من شك في أن فكرة عبد الحميد هذه لقيت هوى في قلوب
الكثيرين من رجال الدين وغيرهم ، لأن الاسلام في نظرهم كان يقوم مقام
الوعي القومي المفقود «١» .
واستنادا الى مركز الخلافة ، وتمسك السلاطين بها ، ثم الى فكرة (الجامعة
الاسلامية) مؤخرا ، عظم مركز رجال الدين وكثر عددهم وتنوع . فمنهم
القضاة والمفتون والائمة والخطباء والسادة والاشراف والمشايخ والمدرسون
وطلبة العلوم والدراويش والمريدون الذين كان عددهم يزداد على مر السنين .
وهكذا كانت عصا الخلافة في تلك الحقبة ، والتي كان السلطان عبد
الحميد يابوح بها ، هو العلم النبوي الشريف الذي طالما كان الناس يسمعون
أن السلطان سينشره في اليوم العصيب حيث يزحف المسلمون وراءه تلبية
لداعي الجهاد من كل حذب وصوب .

نظام الحكم العثماني

كانت الدولة العثمانية ، منذ أيام السلطان سليمان تقوم على أساس
النظام الاقطاعي الذي اقتبسه حكامها الاولون على الغرار البيزنطي «٢» غير
أنه بسرور الزمن واتساع رقعة الامبراطورية العثمانية ، حاول العثمانيون
الاستفادة من فكرة (الخلافة) وأصبح سلاطينهم (خلفاء) للمسلمين لا سيما
بعد ما أشيع أن الخليفة العباسي نقل رسميا منصبه للقائح (السلطان سليم)
وقدم له رمزا لهذا النقل الآثار المقدسة ، التي كان يعتقد أنها من أيام النبي ،
كالبردة التي كان يلبسها العباسيون في بغداد في مناسبات الاحتفال الرسمي
وبعض شعرات من لحيته وسيف الخليفة عمر (رض) «٢» .

١ — بروكلمان المصدر السابق .

٢ — الاتراك العثمانيون وحضارتهم كارل بروكلمان المصدر السابق .

٢ — الخلافة توماس ارنولد المصدر السابق .

وواضح من دراسة تاريخ الامبراطورية العثمانية لا سيما في عهدها الاخير بأن الدولة العثمانية حاولت الاستفادة من مركز (الخلافة) لا سيما بعد أن أصبحت امبراطوريتها ، تمتد من حدود النمسا الى بلاد العجم ، ومن البحر الاسود الى الخليج الفارسي ، وأنها تضم في حوزتها أكثرية بقاع العالم الاسلامي . ولقد أشارت الاحصائيات الرسمية العثمانية الى أن عدد السكان الخاضعين للدولة العثمانية أيام السلطان عبد الحميد الثاني زهاء (٤٣ مليون) نسمة ، منهم (٢٥ مليون) مسلم و (١٥ مليون) مسيحي ، والباقون من الديانات والطوائف الاخرى «٢» .

لقد بينا في الفصل السابق ، علاقة العثمانيين بالخلافة ، وكيف أنهم حاولوا الاستفادة منها لتوطيد أركان دولتهم ، فليس من شك في أن اعتقاد المسلمين بالخلافة العثمانية ، قوى نفوذ الدولة العثمانية وسهل حكمها تسهلا كبيرا «٤» .

وسنحاول في هذا الفصل أن نعطي القارئ فكرة عن (نظام الحكم) في الدولة العثمانية للوقوف على القوى التي كانت تدير شؤون الدولة ، كي يسهل علينا بالتالي تلمس الاسباب التي أثرت تأثيرا كبيرا في التربية والتعليم في الاقطار الخاضعة للامبراطورية العثمانية ومنها العراق وسنقصر بحثنا في الكلام عن ما يأتي :

أولا - السلطان

هو رئيس الدولة الاعلى ، خليفة المسلمين ، الذي افترض فيه أنه كان يحكم بحسب أحكام الشريعة الاسلامية ولا عجب اذا كانت له من السلطة المطلقة على رعاياه ، فقد كانت الدولة تعتبر من الوجهة النظرية ملكا خاصا به ،

٣ - عبد الحميد : ظل الله على الارض الدكتور الما وتلن ترجمة راسم رشدي القاهرة ١٩٥٠ .

٤ - البلاد العربية والدولة العثمانية الحصري المصدر السابق .

أما السطة السياسية فقد انحصرت به كلها نظريا أيضا • فإن القانون الاساسي العثماني الصادر عام ١٨٧٦ نص على :

(ان السطة السنية هي بمنزلة (الخلافة الاسلامية الكبرى) وحاكم جميع التبعة العثمانية وسلطانها ، وان حضرته ، مقدس غير مسؤول) •

وفي الواقع أن أعمال السلطان كانت تبدو مقيدة - بصورة نظرية - بأحكام الشريعة الاسلامية ، الا أن رجال الدين ، قلما كانوا يتأخرون عن ايجاد الاحكام واصدار الفتاوى التي تخدم مآربه وتضفي على أوامره وتصرفاته ، صفة شرعية «^٥» •

وعلى الرغم من كون كثير من السلاطين العثمانيين ، مثالا للظلم والسفه والاستهتار والتبذير «^٦» • فإن دعاياتهم أثرت في عقول الملايين من الاتباع البسطاء الذين لم يكونوا يعرفون حقيقة هذه الشخصية (الجبارة) التي أحاطت نفسها بهالة من التقديس والتعظيم على غير حقيقتها ، حتى أن من يطالع التاريخ العثماني ، حول هذا الموضوع يأخذه العجب حين اطلاعه على الصورة التي كانت تعطى (للسلطان) القابع في قصر يلدز ، صورة مثلى للحق والعدالة والتمسك بأهداب الدين الحنيف ، ومن نماذج البروتوكولات التي يعطيها (أحمد فريدون بك) كآلقاب (لبادشاه الاسلام) هذا النموذج •

(الجالس على عرش السطنة الجليلة ، اللابس حلى العدل والصلاح حارس حدود الاسلام ، فارس حرب الانتقام ، أقوى سلطان وأعدل وأشرف خاقان ، فاتح أبواب السعادة للبشر ، معطى أنواع العطايا في الغرب والشرق ، أرهد السلاطين في القول والعمل أكمل الخاقانات في العلم والفضيلة (أدام الله التقدير ادارته ومملكته • ومجد الله معاونيه ومساعديه ، كما أجل في حرمة أبدأ ودائما حتى يرث الله الارض ومن عليها وهو الحميد المجيد) صاحب

٥ - البلاد العربية والدولة العثمانية المصدر السابق •

٦ - فلسفة الحكم العثماني محمد جميل بيهم بيروت ١٩٥٤ •

الجلالة ، منزلة الخلافة) •

ومهما يكن الامر فان ازدياد حدة التهديد الموجه الى النفوذ العثماني في الاقاليم غير التركية أخذ يعمل بدرجة كبيرة على تقوية الميل الى تأكيد السلطة الدينية للسلطان بصفته (حامي حمى المسلمين) جميعا وان الداعين لهذه الفكرة يرون أن السلطة مستمدة من الجماعة الاسلامية وليست ملكا لفرد ، فارادة الشعب وحدها هي التي رفعت السلطان الى مرتبة الخلافة «٧» •

ولكن هذه المحاولات لم يكن في مقدورها أن تعالج نواحي الضعف وتشفي العلل الباطنة الكامنة في نظام الامبراطورية العثمانية ، حينما أخذت هذه تسير في طريق الانحلال ، وأوضحت أول أزمة تعرضت لها أن الاعتراف بدعوى الزعامة الروحية التي ظن انها تتجسم في المنصب الخلفي للسلطان العثماني ، ليس سوى اسطورة • وهكذا وبمرور الزمن اشتد الاعتقاد بأن متعلقات الخلافة تتناقض مع حكومة دستورية مسؤولة أمام جمعية وطنية ، لان جو الخوف والاحترام الذي كان يحيط بالشخصية التي تحمل اسم الخليفة العظيم ، كان يتوجب نحوه الطاعة العمياء ، وكان يعرض وزراءه لخطر الاستقالة في كل لحظة «٨» •

وفي الوقت الذي كانت فيه البلاد العربية ترزح تحت طائلة الحكم العثماني وتعرض لمظالم الولاة الاتراك لانهم يطالبون بحقوقهم المشروعة من الحرية والعدالة والمساواة • كان الاتراك أنفسهم مهتمين بمعالجة الوضع السياسي في بلادهم خاصة ، وفي يوم ١٧ تشرين الثاني عام ١٩٢٢ ، أعلنت الجمعية الوطنية التركية ، خلع السلطان محمد وحيد الدين ، كما قررت في اليوم التالي ، انتخاب ابن عمه (عبد المجيد) خليفة جديدا • ومما يجدر

٧ - الدولة والنظم الاقتصادية في الشرق الاوسط الفرد بونيه ترجمة الدكتور راشد البروي القاهرة ١٩٥٠ •
٨ - الخلافة لمصدر السابق •

ذكره ، أن النقاش في جلسة انتخابه ، دار حول صلاحية الخليفة الجديد وشمول خلافته وصلاته بالعالم الاسلامي وقررت الجمعية أن هذا المنصب لم يكن سوى شيء رمزي ليس لصاحب قدرة على اتيان أي عمل بالنسبة للمسلمين وهكذا جرد صاحب المقام الجديد من كل سلطة حقيقية واختصاص في قضايا البلاد السياسية والادارية ، ولو أنه كانت قد خلعت عليه بردة الرسول الاعظم ، كما كان يجري لاجداده ، ولكنه حرم هذه المرة من قوة السيف وخلافا منهم ، لم يذهب الى جامع ابي أيوب الانصاري ليتنطق بسيف مؤسس البيت العثماني ، حتى اذا جاء شهر آذار في سنة ١٩٢٤ ، تم الغاء الخلافة ، ونفى آخر سلطان عثماني حمل هذا اللقب القديم .

ثانيا - الصدر الاعظم

قلنا أن السلطة السياسية كانت قد انحصرت نظريا وعمليا ، فترة طويلة من الزمن في يدي السلطان ، ولم يكن يساعده الا مستشاره الاول الذي هو (الوزير) غير أنه بحكم نمو الامبراطورية العاجل ، أصبح منصب الوزير هذا ، منصبا خطيرا راحت تتعاضد اهميته مع الايام . فعندما أصدر السلطان محمد الثاني (١٤٥١ - ١٤٨١ م) (قانون نامه عثماني) سمي الوزير باسم (الصدر الاعظم) بل جعله وصيا فعليا على الامبراطورية . فقد نصت الفقرة الاولى منه على ما يلي :

(ليعلم أولا أن الصدر الاعظم هو رئيس الوزراء والامراء ، انه أعظمهم جميعا ، وصاحب الصلاحية المطلقة في ادارة شؤون الدولة وللصدر الاعظم في حركاته وسكناته وفي قيامه وعوده ، حق التقدم على جميع موظفي الدولة) «٩» وكان مفروضا فيه بوصفه معتد (البادشاه) المطلق الصلاحية أن يسيطر على فروع الادارة كلها وأن يقطع في شؤون الدولة جميعا وفي مسائل الحياة والموت أيضا وكان الصدر الاعظم يحمل الخاتم الامبراطوري والطغراء السلطانية رمزا الى ما يتمتع به من قوة وتفوذ .

ويبدو أن منصب الصدارة هذا كان في بداية العهد العثماني يسند الى الاكفاء من الرجال ، الا أنه تغير الحال فيما بعد ، اذ كان هذا المنصب لا يسند الا الى الوزراء الذين يشتهون لياقتهم بالكفاءة والاخلاق ، الذين تولوا المناصب الكبرى تباعا غير أن حضرة السلطان (سليم خان) حاد ، عن هذه القاعدة الشينة ، عندما وجه هذا المنصب الى (رئيس غرفته الخاصة) (ابراهيم أغا) . ونظرا لان السلطان المشار اليه كان هو القيم على الدولة ، وما الوكلاء الا آلات بيده لذلك لم يظهر أي أثر سيئ في زمانه ، عن تولي الصدارة ، رجل غير أهل لها ، غير أن الضرر لم يلبث أن ظهر من بعد جلالته حينما أخذ خلفاؤه يحذون حذوه في نصب من يشاؤون على الوزارات من الثبائن الذين لم تسبق لهم تجارب ولم يعرفوا شيئا من اصول الحكم ، وكان هؤلاء اغترازا منهم بما كسبوا من اقبال الحضرة الشاهانية يتصرفون بالاحكام على أهوائهم دون الرجوع الى أهل المعرفة ودون الاستناد الى القانون « ١٠ » . ولقد أحصى الاستاذ محمد جميل بينهم ، الرجال الذين تولوا منصب الصدارة العظمى في الدولة العثمانية ، فوجد أن (٢٣) منهم كانت مهتهم السابقة ، تنحصر ما بين خادم ومربي وسائق ومأمور دواة وبستاني وجندي ، فضلا عما وجده من الضباط والرجال العسكريين . ولقد بلغت الحال درجة من التدهور حتى تولى هذا المنصب ، الجهلة والاميون .

ولقد كان مقر الصدارة العظمى ، في قصر فخم كان السلطان سليمان القانوني بناه وأطلق عليه اسم (الباب العالي) ذلك (الباب) الذي أصبح المرجع الاعلى في جميع شؤون الدولة ، داخلية كانت أم خارجية ، مدنية ، أم عسكرية . وقد ظل شأنه كذلك الى بداية عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ — ١٩٠٩ م) حيث قام بتسريح مجلس (المبعوثان) سنة ١٨٧٨ م وقبض بيده على هذه الشؤون وأصبح ديوانه الخاص في (قصر يلدرز) المرجع

الاعلى دون الباب العالي ، وقد أطلق على هذا الديوان لقب (المايين) الذي صار صاحب الحل والعقد (تحت اشراف السلطان) وتحمل تبعات فعالة في الحكم ، وهكذا انتقل مركز ادارة الدولة عمليا من الباب العالي الى سراي يلدر « ١١ » .

ومن هذا الوضع المزري في ادارة دفة السلطنة ، يبدو جليا انعدام الاحساس نحو الدولة ، وعدم توافر شعور الواجب نحو الجماعة ، فلا عجب أن لاحظ (بركهاردت) هذه الحالة ووصفها بقوله « ١٢ » ...

(يطلب الباب العالي الموارد ولا شيء سواها ، ولكي يتسنى للبasha ، اشباع هذه الحاجة نراه يعمد الى ارهاق الشعب ويضع على عاتق جده ، ونشاطه الاعباء الثقالة ، أما الذي يريد خيرا بشعبه ويقنع بالايراد العام ، ويجعل الغلبة في مجالسه للعدالة ، فانه يجلب على نفسه دون ريب سخطه ملكه ، لا لانه عادل ، وانما لان عدالته تمنعه من النهب ومن ثقل جانب مما نهب الى الديوان . ولكي يبقى على نفسه ليس له الا أن يسلم في صمت رعاياه البائسة الى عصا مستبد يخلعه أو أن يرفع راية العصيان وينازل غريمه الى أن يرى الباب العالي من صالحه أن ينتظر سنوح فرصة أصلح ما دام قد اقتنع بعجزه عن عزله هذا الوالي) .

ومع كل هذه القوضى ، فقد برز بين من تولوا منصب الصدارة العظمى رجال عظام ، بذلوا جهودا جبارة في السير نحو الرقي والتقدم ، ونذكر منهم بالتقدير والاعجاب (مصطفى رشيد باشا) الذي تولاها زمن السلطان عبد المجيد خان ، صاحب التنظيمات الخيرية ، و (فؤاد باشا) الذي تولاها أيام السلطان عبد العزيز و (أمين عالي باشا) وكان آخر الرعيل ، ابو الاحرار (احمد مدحت باشا) الذي حاول جاهدا ايقاف طغيان السلاطين ، وخدمة

امته بالحد من سلطتهم شأنه في ذلك شأن أضرابه وقد وضع برنامجا اصلاحيا هاما نشبه لاهيته وعلاقته بموضوع الكتاب بما يلي :

١ - رفع الفوارق بين جميع القوميات التي تتألف منها الدولة وایجاد وحدة وثقى .

٢ - اطلاق الحرية لجميع أفراد الشعب وجعلهم متساويين في الحقوق والواجبات .

٣ - اصلاح جهاز الدولة واقصاء من يشبه في اخلاصه ونزاهته .

٤ - رفع مستوى البلاد عمرانيا وثقافيا واقتصاديا وادخال أسباب التمدن والحضارة اليها .

٥ - القضاء على الامية وجعل التعليم اجباريا .

٦ - منح الحكم الذاتي اللامركزي الى جميع الولايات واعطاء الولاية صلاحيات واسعة .

٧ - اقتباس المبادئ والنظم الاوربية مع الاحتفاظ بالعادات والتقاليد الاسلامية .

٨ - اقامة الحكم الدستوري والقضاء على الحكم المطلق الذي هو العلة الحقيقية لفساد المملكة واستبداد الطبقة الحاكمة «١٣» . ولما تولى الصدارة عند تولي السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٨٧٦ م أعلن الدستور الذي كان قد أعده من قبل ، غير أن هذا السلطان لم يكن جادا فيما فعل ، اذ سرعان ما رمى بالدستور جانبا ، وكتب على واضعه أن يعيش مشردا بعيدا عن بلاده ومن ثم يقضى على حياته غيلة وغدرا . غير أن هذا السلطان نفسه اضطر بعد ٣٢ عاما أن يعلن الدستور ثانية عام ١٩٠٨ م ولكن الفوائد من هذا النشر لم تكن ملموسة بالنسبة للعراق اذ سرعان ما اندلعت نيران الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ م حيث انطوت بعدها آخر صفحة من صفحات الحكم العثماني فيه .

ثالثا - رجال الدين

لقد خضعت الهيئات القضائية والدينية كلها ، بعد السلطان سليم الاول الى سلطة مفتي استانبول بوصفه (شيخ الاسلام) • أما قبل هذا التاريخ فقد كان (قاضي العسكر) رأسا للهيئة القضائية • فقد كان السلطان (مراد الاول) أول من أحدث هذا المنصب ، غير أن السلطان (محمد الثاني) والسلطان (سليم الاول) أقاما الى جانب (قاضي العسكر) قاضيين آخرين هما • (قاضي اوربا) و (قاضي أفريقيا) •

إن سلطة (قاضي العسكر) كانت تتعدى الشؤون العسكرية الى القانون المدني برمته • وكان ترتيب هؤلاء القضاة في المقدمة ويأتي بعدهم العلماء الكبار وهم قضاة العاصمة وعواصم الولايات ثم العلماء الصغار ، الذين كانوا يتولون القضاء في عشر مدن ثانوية من مدن الولايات • أما قضاة الدرجة الثانية وما دونها فكانوا على ثلاث طبقات ، هم (المفتون) و (القضاة) و (نواب القضاة) • ولقد كان القاضي هو صاحب السلطة القضائية العليا في منطقته حيث يقضي وفقا لمبادئ الشرع الحنيف •

وكان جميع هؤلاء خاضعين الى سلطة (مفتي استانبول) الذي ظل حاملا هذا اللقب حتى عام ١٧٤١ م اذ استبدله السلطان (محمود الاول) بلقب (شيخ الاسلام) في تلك السنة ، أي أنه أصبح كبير رجال الدين قاطبة « ١٤ » • ومهما يكن من شيء فإن سلطة شيخ الاسلام هذه ، كانت سلطة (نظرية) بالكلية ، فقد كان عليه أن يفتي في ما يرفع اليه من المسائل القضائية ، ولكنه لم يكن يملك القوة على اتقاذ فتواه « ١٥ » •

ومع كل هذا فقد ثبت السلطان (محمد الثاني) والسلطان (سليمان) هذا المركز الديني وجعله على رأس الادارة برمتها ، كما أصبح السلاطين

١٤ - العرب والترك محمد جميل بيهم بيروت ١٩٥٧ •

١٥ - بروكلمان المصدر السابق •

فيما بعد ، شديدي الحرص على تأييد سلطة (شيخ الاسلام) اذ كانوا يفرعون الى استغلالها والافادة منها كلما حزبهم أمر أو ألت بهم أحوال سياسية عسيرة «١٦» . فقد مر بنا أن أعمال السلاطين باعتبارهم خلفاء للمسلمين ، مقيدة بأحكام الشريعة الاسلامية الا أن رجال الدين قلما كانوا يتأخرون عن ايجاد الاحكام واصدار الفتاوى التي تخدم مآرب السلاطين والادلة على ذلك كثيرة ونعطي القارىء نموذجاً من تلك الفتاوى ليأخذ فكرة عن تلك الاحكام :

١ - الفتوى التي تنص على (جواز بل وجوب قتل جميع اخوة السلطان الجديد ، يوم اغتلائه عرش السلطنة منعا لحدوث فتنة في المستقبل) .
٢ - الفتوى التي أجازت للسلطان (سليم الاول) حرب المسلمين في مصر .

٣ - الفتوى التي أجازت للسلطان (سليم الاول) قتل جميع الشيعة الموجودين في البلاد العثمانية ، باعتبارهم (مرتدين عن الاسلام) «١٧» .
ومن يرد التوسع في مثل هذا الموضوع فان التاريخ العثماني ملئ بالامثلة ، وهي ترينا مقدار (صحة تمسك) السلاطين بالدين ومقدار (قوة) مثلي الدين الحنيف لا سيما في العصور المتأخرة فلقد رأينا كيف أصبحت الدولة تلجأ الى وساطتهم في كثير من الامور وتسعى الى استرضائهم في شتى المناسبات ، وصار أصحاب المطامع يسعون وراء اغرائهم لتحقيق أغراضهم الخاصة .

ولما ولي السلطان عبد الحميد الثاني شؤون السلطنة ووقف على ما كانت عليه الامبراطورية العثمانية . من ضعف وارتباك في الداخل والخارج ورأى سوء المصير الذي ينتظرها ، استقر في ذهنه أن لا منجاة للدولة الا

١٦ - البلاد العربية والدولة العثمانية المصدر السابق .
١٧ - البلاد العربية والدولة العثمانية المصدر السابق .

بالقوة فكيف يحرزها وهو على رأس شعب ثلاثة أرباعه ، أعداء له وخصوم للدولة ؟ ! عند ذاك جنح الى الاستفادة من (الخلافة) والاستعانة بالمسلمين وذلك بالدعوة الى (الجامعة الاسلامية) فاستهل مشروعه هذا بالاعتماد على (رجال الدين) والعناية بامور الدراسة الدينية ، وقرب اليه فريقا من علماء الامصار العربية المختلفة وشيوخ الطرق وغيرهم .

لقد أعلن عبد الحميد عن رغبته في اصلاح الروح أولا ، ثم الجسد ، لانه كان يرى أنه عندما يصبح الاتراك صلباء روحيا ، فيما يتعلق بنظرتهم الى اوربا ، وعندما يستيقظ شعورهم الاسلامي ، وعندما تشتد بينهم الدعوة الى وحدة العالم الاسلامي ، عندئذ فقط سوف يسبح بأن يصبح (العصر الحديث) حقيقة واقعة بالنسبة لتركيا .

لقد جعل أول واجباته التقليل من أهمية الاختراعات الحديثة في نظر رعاياه ، وحياتهم من اغراء طرق الحياة الاوربية ، وكأنها الشيطان ذاته . وهكذا ومن معتكفه في يلدز ، أذاع صيخته الكبرى «^{١٨}» (أيها الاسلام استيقظ) فعم انتشارها أرجاء الامبراطورية ، ولم ينقصه الدعاة ، ففي القسطنطينية وحدها كان يعيش اكثر من أربعين ألفا من طلبة المعاهد الدينية الاسلامية «^{١٩}» . ولكن الوقائع قد دلت على أنه في الوقت الذي كان عدد رجال الدين يكثر ويتزايد وفؤادهم يشتد ، كان مستواهم العلمي ينحط وثقافتهم الدينية تتردى بصورة سريعة وقد صارت تنتشر بينهم ضروب من التعصب الاعمى وتنتقل منهم الى الناس وتستولي حتى على عقول الحكام والسلطين «^{٢٠}» .

ولقد جاء في (غرائب الاغتراب) وصف رائع لحالة بعض هؤلاء ،

١٨ - فلسفة الحكم العثماني المصدر السابق .

١٩ - عبد الحميد ظل الله على الارض الدكتوراة ١١١ وتلن .

٢٠ - الخلافة المصدر السابق .

وليس أصدق من المغفور له العلامة أبي الثناء الالوسي وهو يصف لنا ما رآه في استانبول حيث يقول

(والطلبة هناك على ما يقولون اثنا عشر ألف أو يزيدون ، ويقرأون عند الشيخ محلقيين ، وإذا طقت بهم رأيت أكثرهم مقصرين وربما يختم الدرس والكثير منهم نائم ، أو ينقضي الامر وهو في بيداء التخيلات هائم ، الشيخ بينهم على منصة ارتفاعها نحو ركبة وبين يديه تخته منقوشة بالصدف عليها كتبه ، وربما يصنعها اذا حبي الوطيس ويلطمها اذا اشتدت حرارة التدريس) .
ثم يصف لنا حال المدرسين فيقول

(ومعظم المدرسين في غاية الاستكبار والانانية ، ولولا خوف قطع وظائفهم ، لاعلنوا بدعوى الربوبية ، وقد شمت من غير واحد منهم في حق علي (كرم الله وجهه) تنن الاتقاس وهم على عكس الكتب الذين في حضرة الامير غاية الاختصاص) و (يقابل المدرسين في الاستكبار ، الواعظون ، ومعظم المستمعين ، ما عدا النساء ، يضحكون ، لذا انحطت رتبة الوعظ هناك بالمرّة فكانت بين العلماء أهون من غفظة عنز بالجرة !!) ثم يصف رحمه الله بالصفحة ١٩١ ما رآه في بعض المتشيخين اذ يقول

(وقد رأيت شرب المتشيخين الخمر لا يحط من مقدارهم . ومن الجهلة من يعتقد أن شربهم الحشيش يظهر درر اسرارهم وبالجمله لا سلعة أفق من المشيخة في استانبول . وأنها فخ عظيم يصطاد به كل مأمول . وكم من فرق بين قفاص وقفاص ، وما أظن ذلك الاعتبار الا من حسن اعتقاد أهل تلك الدار ، مع أن معظمهم غريق بحر أمانيه والغريق يتشبث بالحشيش أو ما يحاكيه !) .

وحيل المتشيخين على اختلاف طبقاتهم ما تخفى حتى على ابلis وهي رأسمالهم ، أثروا به حتى أوثروا على أرباب التدريس ، وتلك علة قديمة ، والعياذ بالله عظيمة ، وقد ساعد على بقائها في العالم عدم سماع كلام العالم فيها) .

وليس لنا الا أن نختم هذا البحث بما كتبه سيادة الاستاذ الكبير محمد بهجت الاثري في هذا الخصوص اذ يقول «٢١»

(ما كاد ينطوي القرن الثالث عشر بما فيه حتى آل الامر الى بعض السلاطين الذين كان من سياستهم ارضاء المشعبدین بالدين ، واستدناؤهم منهم ، ليحولوا جماهير العوام اليهم ، فيقوى بهم ضعفهم ويشد ساعدهم ، وينبسط سلطانهم ، فيستمتعوا بشهواتهم ويتذوقوا لذة الاستفادة من غفلتهم ، فحاربوا العلم وساعدوا الجهل فظهرت دجاجة الطرق ، والملبسون متظاهرين بالدين ، ييشون روح الفساد ، ويغررون بالعامه ، ومن ورائهم السلطة تؤيدهم وتعزز دعوتهم ، حتى تم للسلطان ما أراد وعظم سلطان الشرك والرياء ، حتى صار المتدين في نظر الناس من يضرب بالدف ويرقص في (حلقة الذكر) والعالم من يطيل الذقن ويكحل العين ويكبر الرदन !!

رابعاً - ادارة الولايات

اختارت السلطنة العثمانية في صدرها الاول أساليب الحكومات الاسلامية السالفة في طريق الحكم والادارة وذلك على أساس لا مركزي واسع يشبه استقلال كل قطر في ادارة نفسه وفقاً لاجتهاد عامل السلطان وأهل شوره ومن يعتمد عليهم من أهل البلاد ، وقد ظلت السلطنة تجري على هذه الصورة ، اذ كانت تعتمد على الامراء من الضباط وغيرهم . فلقد كان العشانيون عندما يستولون على قطر من الاقطار يحصون القرى الموجودة فيه ، ثم يقسمونها الى مقاطعات مختلفة ما بين صغيرة وكبيرة فيمنحون الصغيرة منها الى الجنود المحاربين والكبيرة الى القواد والامراء . وذلك بعد أن يخصصوا طائفة من المقاطعات الكبيرة الى السلطان نفسه ، غير أن هذا المنح لم يكن يعني تملك الاراضي والمقاطعات للمنوحة لهم ، انما كان يعني ذلك المنح تفويضهم ، حق جباية الاعشار وسائر الرسوم والضرائب

المرتبة عليها ، على أن تبقى تلك الاراضي تحت تصرف مالكيها شريطة أن يدفعوا الضرائب الى صاحب المقاطعة أو من يوكله لتسليمها «٢٢» . وكان على المقطع له لقاء ذلك أن يقدم الى الجيش عددا من الفرسان المحاربين ، وأن يجهزهم بكل ما يحتاجون اليه من أسلحة وخيول وذلك بنسبة فارس واحد عن كل خمسة الاف آقجة «٢٣» . من حاصل المقاطعة ، وعلى هذا الاساس قسوا المقاطعات الى ثلاثة أنواع هي ...

- ١ — تيمار — وهي المقاطعة الصغيرة التي يقل واردها عن (٢٠.٠٠٠ آقجة) .
- ٢ — زعامت — وهي المقاطعات التي يتراوح واردها ما بين (٢٠.٠٠٠ — ١٠٠.٠٠٠ آقجة) .

٣ — خاص — وهي المقاطعة التي يزيد واردها على (١٠٠.٠٠٠ آقجة) وقد كانت هذه الاقطاعات العسكرية تنتظم في (ايلات) والايالات في (سناجق) وكل (سناجق) يضم مقدارا من ال (تيمارات) وال (زعامت) ات .

وكان يعهد بشؤون الايالة الى (باشا) يسمى (بگلر بكی) بمعنى (بك البكوات) ويعهد بشؤون السناجق الى (بك) يسمى (سناجق بكی) أي بك اللواء . وكان بك السناجق يعتبر مرجعا لجميع التيمارات والزعامات الداخلة في حدود لوائه بينما كان باشا الايالة يتصرف بالخاص المخصص لـ (سناجق باشا) فاذا ما طلبت الدولة من هؤلاء تسفير الجيوش للحرب في جهة من الجهات ، جمع (بك السناجق) الخيالة المسؤول عن أعدادهم وتوجه بهم الى حيث يأمره باشا الايالة «٢٤» .

٢٢ — البلاد العربية والدولة العثمانية الحصري المصدر السابق .

٢٣ — آقجة : نقد تركي صغير و (معناها مائلة للبياض) وان كل ثلاثة اقجات تساوي بارة واحدة الخ (راجع كتاب النقود . يعقوب سركيس . بغداد ١٩٥٠) .

٢٤ — البلاد العربية والدولة العثمانية الحصري المصدر السابق .

ان هذا النظام ، ان كان قد ثبت للتجارب في موطن العثمانيين الاصلي فانه قد أصاب الفساد في الامبراطورية المطردة الاتساع . فلقد اضطر السلطان فيما بعد أن يترك (للبكر بكوات) أي الى امراء الايالات ، أمر اقطاع الاقطاعات الصغيرة على أن لا يزيد دخلها عن ستة الاف أقة ولكن الباشوات لم يحجموا عن اقطاع أتباعهم الخصوصيين ، والعبيد ما في حوزتهم من (التيسارات) « ٢٥ » .

وقد حاول السلطان سليمان أن يضع حدا لهذه المساوىء بواسطة (قانون نامه) الذي أصدره سنة ١٥٣٠ م ، فنزع من أيدي الباشوات حق الاقطاع التحكيمي ، اذ تعين عليهم أن يقدموا شهادة بالرجل الذي يرغبون في اقطاعه الى (الباب العالي) الذي من حقه اصدار (البراءة) أو عدم اصدارها ، وقد فتح سجل خاص بمثل هذه الاقطاعات ، ومع كل ذلك فان هذا القانون لم يوفق في استئصال شأفة المساوىء المستحكمة ، اذ اهل كثير من الباشوات أمر الحصول على موافقة (الباب العالي) وذلك هربا من الضرائب المفروضة ، هذه الضرائب التي كانت تزداد في أحيان كثيرة ، تحكما واعتباطا ، وفقا لاهواء موظفي الباب العالي .

ويظهر مما تقدم ان أمراء الالوية والايالات ، كانوا يجمعون بين أيديهم السلطتين ، المدنية والعسكرية ، فكانوا بشابة (ولاية حكم) و (قواد جيش) . ويبدو كذلك أن هؤلاء وسائر الموظفين ما كانوا يتقاضون من خزينة الدولة ، رواتب مقننة ، انما كانوا يتقاضون الضرائب والتكاليف المخصصة لوظيفتها ، فلا عجب ان فشت الرشوة وزادت المظالم . ولعل في ما خلفه لنا السائحون . خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر من التقارير ، خير دلالة على استفحال الشر ، فقد جاء في تقرير منها ما نصه . . . (فبمجرد أن يصبح الانسان وزيرا أو واليا يهرع الى بابه ، أقاربه ، وأقرباؤهم الخاملون من أهل القرية التي نشأ فيها يلتسمون رعايته ، انه لا يمنحهم أجرا ، ولكنهم يحصلون

على فضلات مطبخه ، وعلى البقشيش من زائريه أو أرباب الحاجات . واذ تسنح الفرصة يجعل منهم قضاة أو شرطة أو ولاية على القرى أو يتخذهم في خدمته الخاصة حسبما تسح الوظائف الشاغرة ، واذ يصبح امرؤ في خدمة كبير ، بالرشوة أو الشراء ، سواء كان خادماً أم عبداً فإنه يدخل منذ ذلك الوقت في خدمة العامة ، ثم يسعى الى الارتقاء عن طريق السرقة أو الرشوة (« ٢٦ ») .

وقد ظل نظام الاقطاع هذا ساري المفعول وفساده يستشري اذ تحول الى عامل من عوامل ، خراب الامبراطورية منذ استحکم الخلل في ادارة الدولة الرئيسية في العاصمة . فقد شرع (خسرو باشا) الذي تولى منصب (امارة الامراء) في سلطنة سليمان القانوني ، شرع بتوجيه الاقطاعات للعسكريين بالرشوة . ونهج خلفاؤه نهجه ، ثم تجاوزوه الى أبعد الحدود حتى ضاق الناس ذرعاً بذلك .

الا أن الامور سارت من سيئ الى اسوأ لا سيما بعد أن أصبح هم (الباب العالي) جمع المال بأية صورة من الصور وهكذا وفي زمن الصدر الاعظم رستم باشا راحت الدولة تسند ادارة الامصار الى الملتزمين الذين يؤدون المال الاوفر ، دون الالتفات الى مؤهلاتهم وصفاتهم ، وكان الضمان أو الالتزام هذا ، يجري على طريقة المزاد ، لكنه مزاد صوري ، لان الوزراء هم في الواقع شركاء الملتزم ، فلا عجب ان كان الملتزمون يستلقون الاموال من مصارف (غلطة) باستانبول برضا فاحش بغية تأمين الرشوة للمستفيدين ، حتى اذا بلغوا مقر ولايتهم تفننوا بأساليب ابتزاز الاموال أيضاً تفنن (« ٢٧ ») .

وقد أراد السلطان مصطفى الثاني (١٦٩٥ م) أن يضع حدا لهذا الجور ، فقرر أن يكون تلزيم الولايات طيلة الحياة رغبة منه في أن يرى الضامن

٢٦ — الدولة والنظم الاقتصادية في الشرق الاوسط المصدر السابق .

٢٧ — فلسفة الحكم العثماني المصدر السابق .

الجديد ، ان من صالحه ، معاملة الرعية بالعدل والاحسان تحسينا لموارده الدائمة ، ولكن هذا النظام زاد الطين بلة اذ ساعد على استئثار الملتزمين واستبدادهم وشجعهم على الخروج ضد السلطنة في سبيل الاستقلال التام . ثم قامت الدولة فيما بعد باتخاذ بعض الخطوات الاصلاحية لا سيما في منتصف القرن التاسع عشر ، عندما أصدرت (خط گلخانه) ومن ثم (منشور التنظيمات الخيرية) فكان من نتيجة ذلك الغاء بعض ضروب الالتزام وسن القوانين الادارية والمدنية ، ومنها قانون الولايات الذي فصلت فيه بين القوانين العسكرية والمدنية الى غير ذلك من علامات الرغبة في الاصلاح .

وقد حاولت هذه التنظيمات الخيرية محاربة الفوضى الناتجة عن نظام الاقطاع . فحددت سلطة الولاة لكنها في هذا السبيل غالت في المركزية فانتقلت من الافراط الى التفريط ، تلك المركزية التي صارت تزداد تشددا سنة بعد اخرى ، حتى أصبحت (المركزية واللامركزية) مطلبا من المطالب السياسية فيما بعد . ثم ساءت الامور في عهد السلطان عبد الحميد الثاني لا سيما بعد تعطيل المجلس ، وتعليق القانون الاساسي ولذلك لم يكن جهاز الدولة العام بمنجاة من هذه الفوضى ، بل كان من الطبيعي أن يتأثر بها تأثرا شديدا فينحدر نحو مهاوي الخلل والفساد ، لان خصال العفة والاستقامة والمعرفة والمقدرة وحسن الخدمة لم تعد تعتبر من مؤهلات التوظيف والترقية ، ولذلك انتقلت معظم المراكز الرئيسية في عاصمة الدولة الى أيدي المرتشين الجشعين وتحولت بعض الدوائر والوزارات الى أسواق تبتاع وتشتري فيها الوظائف والرتب والاوزمة والامتيازات على أيدي السماسرة والوسطاء . وقد أصبح الولاة يشتررون وظائفهم من السلاطين بالمال اذ كانوا يتعهدون بدفع المبلغ قبل الذهاب الى ولاياتهم التي عينوا فيها . لذلك كان همهم الاول جمع المال بسرعة قبل أن يعزلوا » ٢٨ « .

ومن الطبيعي أن هذا الفساد الذي كان بارزاً في العاصمة لا بد أن يكون صداه أكبر في الولايات البعيدة عن (الباب العالي) فقد كانت الادارة في العراق على اسوأ ما تكون لا سيما في العهد الحميدي ، وان من يرد وصف تلك الادارة لا يجد فيها ما يذكره من المحاسن ، فللمناصب كانت تمنح لغير مستحقيها وكان القانون يتضاءل أمام رغبات المتنفذين ، وكانت المحسوبة والوساطة ، أمضى سلاح للتقدم ، أما الرشوة فكانت طابعا ملازما لكثير من الموظفين ، بدونها لا تنجز مهمة ولا تنتهي قضية . بالرشوة كان الامي يعين في المناصب الكبرى ، والشرير في دوائر الشرطة ، والجاهل في الوظائف القضائية والثقافية ، وبالرشوة كان الظالم يكسب دعواه الباطلة في المحاكم ، والكسالى يحصلون على رتب الباشوية والاوزمة . الرئيس يتغاضى عن تلاعبات مرؤوسيه وسرقاتهم ولا يظن القارىء أن الحكومة كانت خالية من الموظفين الاخيار والحكام النزيهين والولاة المنصفين ، كلا ، بل كان هنالك الكثيرون منهم ولكن الوضع ينطبق عليه المثل العامي (يحترق الاخضر بسعر اليابس) «٢٩» . وما دمنا في بحث العراق لا بد لنا من الاشارة الى المناطق الريفية العشائرية وعلاقتها بالادارة . فقد كانت الحكومة العثمانية تترك هذه المناطق عادة خارج الترتيبات الادارية وتترك ادارة شؤونها بيد رؤسائها وامرائها وفقا للتقاليد العنعنات المتعارفة بينها «٣٠» .

٢٩ — في غمرة النضال مذكرات سليمان فيضي بغداد ١٩٥٢ .

٣٠ — البلاد العربية والدولة العثمانية الحصري المصدر السابق .

الولايات العراقية

(العراق «١»)

لقد مر تقسيم العراق الإداري في ظل الحكم العثماني بعدة أدوار • فعندما استولى السلطان سليمان القانوني على بغداد قسّم إياها إلى (١٧) سنجقاً ، وقد وهب منها سبعة سنجاق إلى قواده منها • الحلة و (سنك آباد) والجزائر والرماحية وجنگولا وقره داغ • وأصبحت بغداد مركز إيالة جسيمة إذ كانت تتألف من بغداد والموصل والبصرة ويحكمها وال منصوب من قبل السلطان •

أما في أوائل القرن السابع عشر فقد كان العراق مقسماً إلى ثلاث إيالات وهي :

١ — إيالة بغداد : وكانت تنقسم إلى (١٨) سنجق (أي لواء) هي : بغداد ، الحلة ، زنكي آباد ، جوازار ، جنگولا ، قره داغ ، الرماحية ، واسط ، السماوة ، بيات ، درنة ، ديالا ، كرندي ، دمير قبو ، قزانية ، گیلان ، آل صايح درتسك •

٢ — إيالة الموصل : وكانت تنقسم إلى ستة سنجاق هي :

١ — جاء تفسير اسم (العراق) في معاجم اللغة وكتب البلدان العربية ، فقد جاء في (تاج العروس) مادة (عرق) في هذا الاسم « العرق جمع عراق بالكسر لشاطيء البحر على طوله » .

وفي معجم البلدان لياقوت (مادة : عراق) قوله (قال قطرب : إنما سمي العراق عراقاً لأنه دنا من البحر وفيه سبخ وشجر) .

وقال الخليل — العراق شاطيء البحر ، وسمي العراق عراقاً لأنه على شاطيء دجلة والفرات مداً حتى يتصل بالبحر على طوله .

ويرى الأثاري هرسفلد ... أن العراق معرب لفظ (ایراك) الإيراني ومعناه البلاد السفلى أو الجنوب (انظر ص ٤٠ من كتاب بلدان الخلافة الشرقية تأليف لسترنج وترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد بغداد ١٩٥٤) .

الموصل ، باجوانلو ، هورن ، بانه ، اسكى موصل .

٣ - ايلة البصرة : لم تقسم هذه الايلة الى (سناجق) بل كانت خاضعة

لوايلها فقط «٢» .

أما في اوائل القرن العشرين فقد أصبح العراق الاداري مقسما على

الشكل الاتي «٣» .

الولاية	سنجق	قضاء	ناحية
بغداد		خراسان	شهربان . الخالص
		الدليم	هيت ، الصقلاوية ، كبيسة
		العزيرية	سلمان باك
		الكوت	— — — —
		خانقين	نيكدره ، قزلباط
		الكاظمية	— — — —
		الجزيرة	اعويرج
		مندلي	— — — —
		سامراء	تكريت
		عنه	القائم ، حديثة ، جبة الوس
الديوانية		الديوانية	آل بدير ، الدغارة
		الحلة	ممدوحية
		السماعة	خضر الدراجي ، ابو جواير
		الشامية	الشنافية

٢ - جغرافية العراق طه الهاشمي بغداد ١٩٣٦ .

٣ - البلاد العربية والدولة العثمانية الحصري المصدر السابق . لقد جرت

تعديلات على هذه التقسيمات نتيجة صدور نظام ترتيب الولايات سنة ١٢٨١ هـ

ثم النظام الاخر في سنة ١٢٨٧ هـ الذي عدل سنة ١٣٣٠ هـ وسنة ١٣٣١ هـ

وما تلي ذلك من تعديلات . راجع كتاب العراق بين احتلالين ج ٧ للاستاذ

العزاوي .

الولاية	سنجق	قضاء	ناحية
١٢ ع.	كربلاء	كربلاء	المسيب ، شغاثه ، الرحالية
		الهندية	الكفل
		النجف	الكوفة
		الرزازة	-----
		بدره	غربية
↓	الموصل	الموصل	الموصل ، الشيخان ، العشائر
		العمادية	السبعة
		زاخو	-----
		عقرة	سليفاني
		الزيبار	سورجي ، عقرة
		دهوك	دهوك ، مزوري
		سنجار	الزيبار ، شيروان ، مزوري بالا
			تلعفر
↑	كركوك	كركوك	ملحة ، طوز خرماتو ، التون
		راوندوز	كوبري ، كيل ، شوان
		كويسنجق	راوندوز ، ديريه ، بالك ،
		اربييل	برادوست
		الصلاحية	شقلاوة ، كويسنجق
		رانية	سلطانية ، ديزه
			الصلاحية ، قره تبه

↑	السليمانية	كلعنبر	كلعنبر ، سروجك ، طائفه
		بازيان	الشيخ اسماعيل
		معمورة الحميد	بازيان ، قلعة سيوكة
			معمورة الحميد ، سور طاش
			بشدر

ابو الخصيب ، الفاو ، شط	البصرة	البصرة	٥
العرب ، انهارثه ، الزبير	القرنة		
٤ نواح			
٧ نواح	الناصرية		
٢ ناحية	سوق الشيوخ	المتفك	
٢ ناحية	الشطرة		
٥ نواح	الحي		
٥ نواح	العمارة		
— — —	دويريج	العمارة	
— — —	قلعة صالح		

أما من الناحية الادارية ، فقد كان العراق (منذ أن فتح السلطان سليمان القانوني بغداد) مستقلا ، استقلالا اداريا ، يقوم بادارته وال مركزه في بغداد وقد كانت سلطته في معظم الحالات تستند الى كافة أنحاء القطر ويغلب عليه لقب الوزير •

ولقد كان الوزير مستقلا بادارة البلاد والجيش مستبدا بحكمه وهو الذي يولي الولاية على سائر المدن المربوطة اداريا ببغداد •

وآخر من كانت (ايالته) تضم ولايات العراق كلها هو الوزير (مدحت باشا) لانه لما جرى عزله سنة ١٨٧٢ م ربطت بغداد بالعاصمة (استانبول) مباشرة وأصبح الولاية لا يقومون بعمل الا بأمر السلطان ، وأصبحت ولاية بغداد مقتصرة على بغداد وما يتبعها من ألوية بعد أن كانت تضم ولايات بغداد والبصرة والموصل وفي أكثر الاحيان كردستان والجزيرة • وكان أهم ما حدث بعد مدحت باشا ، هو فصل القيادة عن ادارة الولاية سنة ١٨٧٦ م ،

٥ — كانت (الكويت) قضاء من اقضية البصرة وكانت (نجد) سنجقا تابعا لولاية البصرة وتتألف من قضائين هما (قطر والقطيف) •

اذ تم تعيين قائد عام للجيش العراقية بعد أن كانت القيادة للولاة منذ وقع العراق في حكم الاتراك كما رأينا «١» .

ملامح المجتمع العراقي

لقد غمرت تاريخ العراق ظلمات حالكة الدياجير ، منذ الساعة التي انطلقاً فيها نور الخلافة على يد الطاغية (هولاءكو) وتتابعت الكوارث والنكبات والحروب والغزوات على الشعب العراقي ، وراحت تقتك به فتكا ذريعا على مر الدهور والاجيال ، حتى لم يعد قادرا على رد غوائل المعتدين من أي صوب أتوا ، بعد أن غفا غفوة الاستسلام وأصبح نتيجة تلك النكبات فريسة للفقر والجهل والمرض فاستبد به الحكم من مختلف الاجناس والقوميات . وكان للحكام العثمانيين في حكمه النصيب الاوفى ، اذ ظل قابعا تحت نير الحكم العثماني زهاء الاربعة قرون ، تحولت بلاده الجيلة الغنية الخصبة خلالها الى ساحات واسعة من المستنقعات والصحاري وباتت أرض السواد فيها مسرحا للصوم ومأوى للاشقياء ، لان سوء الادارة العثمانية أدى الى فقدان الامن فأصبح للصوم وقطاع الطرق في مأمن من العقاب ، يرتكبون جرائمهم في وضح النهار ، فاذا كان هناك ظل للحكومة فقد يكون ذلك في المدن الكبرى ، وعلى الرغم من ذلك فان تاريخ البصرة يحدثنا عن الفساد الذي استشرى فيها لاسيما في العهد العثماني الاخير حيث ساد فيها قانون الغاب وأصبح الناس يحرسون أنفسهم ويدافعون عن حياتهم بسلاحهم «٢» . أما في المناطق العشائرية ، حيث لم يكن للدولة ظل يذكر فقد كان الاضطراب فيها قائما على

١ - كتاب دليل خارطة بغداد للدكتور مصطفى جواد والدكتور أحمد

سوسة بغداد ١٩٥٨ .

٢ - في غمرة النضال سليمان فيضي .

قدم وساق ، وحوادث الغزو والسلب والقتل والمشاحنات تجري طوال العام وليس هناك من قوة في الاعم الاغلب قادرة على قطع دابرها ، اذ كانت الدولة أضعف من أن تقوم بهذه المهمة . وقد حاول بعض الولاة لاسيما المتأخرين منهم لوضع حد لهذه الفوضى فلعجأوا الى العلماء من رجال الدين يستفتونهم في شرعية (الغزو) فأفتى العلماء بوجوب التنكيل بكل من يقوم بالغزو ، لكن هذه الفتاوى لم تكن قادرة على ايقاف ذلك السلوك الذي اقتضته سنة الحياة في تلك الايام لاسيما في مجتمع اختل فيه النظام وسادت فيه الفوضى «٣» .

وهكذا كان العهد العثماني حافلا باخبار المعارك العشائرية والمشاحنات القبلية . تحدث تارة بسبب الارض أو الماء وطورا بسبب الرئاسة وحينما بسبب الضرائب أو بدلات الالتزام ، فلا غرابة ان حفلت كتب تاريخ العراق بأخبار هذه المعارك تدور رحاها بين العشائر العراقية في فترات متفاوتة ومناطق مختلفة من البلاد ، كمعارك ابو سلطان والجحيش وبني لام والبو محمد وربيعة والمنتفك وبني أسد والعزة والهساوند والديلم وزوبع وشر والخزاعل ، فضلا عن حوادث العشائر في الدغارة والشامية والساوة والهندية .

وهكذا لم يكد يحل القرن التاسع عشر الا وأصبحت هذه البلاد التي كانت مضرب المثل بالخصوبة وغزارة الثروة الطبيعية ، أصبحت عنوانا بارزا للخراب والدمار ، بارت أرضها ، وقلت خيراتها ، وجفت أنهارها ، وعلى الرغم من تلك الشواهد ، لم تكن الدولة العثمانية تلقي بالا على ما كان يصيب العراق من ضرر ورعاياه من تعاسة وبؤس ، ولذلك لم يكن يزرع من تلك الارض الطيبة أكثر من (٢٠٪) من الارض الصالحة للزراعة «٤» . ف تكررت في العراق المجاعات وتهدد سكانه بالموت جوعا مرارا وتكرارا . كما راحت الامراض والاولبة الفتاكة كالطاعون والهيضة والجذري والحمى التيفوئيدية

٣ - العراق بين احتلالين العزاوي المصدر السابق .

٤ - الممالك في العراق احمد علي الصوفي الموصل .

والدزاتري تحصد الالوف حصدا ، هذا فضلا عن المآسي التي كانت تقاسيها البلاد من جراء تكرر الفيضانات بسبب اهمال السدود وعدم العناية بتنظيم شؤون الري «٤» . فلا غرو ان رأينا عدد سكان هذا الوادي الخصيب يتناقص من (عشرين مليوناً) في أيام هرون الرشيد ، ليصبح (مليون وربع مليون نسمة) في نهاية القرن التاسع عشر تسكن أكثرتهم الساحقة القرى والارياف مستمرة العيش في تلك الاصقاع بعيدة عن المدينة التي ساد فيها الظلم والفساد . أما ما بذلته الدولة العثمانية في مجال الخدمة العامة فلم يكن شيئاً يذكر ، اذ كانت شؤون الحياة مهملّة ، فالعناية بالصحة العامة مفقودة ، لانها موضوع غير ذي بال بنظرها فلا عجب ان كانت بغداد وغيرها من مدن العراق وحواضره وقراه ، ميداناً فسيحاً لعبث الدجالين والمشعوذين ومرتعاً خصباً للمتطيين وأصحاب الخرافات ، من رجال ونساء كما كان بعض المرتزقة من المشعوذين يستخدمون الدين لاغراضهم ، فينتشرون في أرجاء البلاد بيزات رجاله يبيعون الادعية والرقي والطلاسم وكانت لهم ، لجهل الشعب وقره سوق رائجة ومجال فسيح «٥» .

ويكفي أن نشير أنه لم يكن في العراق ادارة صحية قبل عام ١٩٠٥ غير أنه في هذه السنة تم تشكيل ادارة صحية مؤلفة من أربعة أشخاص هم (طبيباً البلدية ، ومفتش صحي ، وكاتب) فكانت هذه الادارة هي كل ما وجد في البلاد من هيئات صحية قبيل الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ . وبعد هذا كله كانت موارد الرزق ضئيلة ، ومصادر كسب القوت تافهة وعلى الرغم من ضآلة هذه الموارد وانحطاط مستوى المعيشة كانت الدولة تثقل كاهل الناس برسوم الاحتساب والضرائب المتعددة ، تفرضها عليهم

٤ — اربعة قرون في تاريخ العراق لونكريك المصدر السابق .

٥ — تاريخ الطب في العراق الدكتور هاشم الوتري ، الدكتور معمر خالد الشايندر بغداد ١٩٣٩ .

وتستقطعها من كدهم وعرق جيبنهم دون أن تقوم بأي أمر ديني أو مدني يبرر لها ما تتقاضاه من هذه الرسوم «٦» .

ووسائل كسب القوت لم يكن لها شأن يذكر فالصناعة معدومة بينما كانت التجارة تافهة ، اذ لم يكن هناك طرق صالحة للمواصلات . أما المواصلات النهرية فوسائطها (الاكلاك) المسيرة بالجلود المنفوخة في الزابن وأعالي دجلة ، و (القفف) و (الشخاتير) والسفن الشراعية (المهيلات) ، كانت تنقل البضائع بين الجهات الواقعة على ضفاف الانهار وذلك قبل أن يبدأ تسير البواخر النهرية في اوائل القرن التاسع عشر . أما وسائط النقل البرية ذات العجلات فقد كانت مقفودة للجمود والخوف من عواقب التجديد وقلة رؤوس الاموال ، وعدم وجود الطرق التي تربط بين المدن ، وان وجدت فلكثرة ما كان يحف بها من المخاوف والمخاطر .

أما التجارة الخارجية فكانت البضائع تنقل من العراق الى الخارج بقوافل الجمال التي تسير على محاذاة نهر الفرات ما بين بغداد وحلب فتستغرق كل رحلة منها زهاء الخمسين يوما تقريبا . ولم تكن المواصلات البرقية والتلغراف معروفة في العراق قبل عام ١٨٦١ م اذ في هذه السنة تحقق الاتصال بين بغداد واستانبول ، كما تم فتح دوائر البريد والبرق في معظم البلدان المهمة في نهاية القرن التاسع عشر «٧» .

أما الزراعة فقد كانت بدائية ، والمناطق الزراعية ، مناطق عشائرية يسود فيها النظام والتقاليد العشائرية البحتة ، والفرد في تلك الاصقاع متمسك بالعشيرة ، متفان في سبيل الدفاع عنها ، ولذلك لم يكن في مقدور الدولة العثمانية ، فرض سيطرتها التامة على تلك الاصقاع فاضطرت الى منح العشائر ، المقاطعات والاراضي لها بطريقة الالتزام لقاء مبالغ سنوية يؤديونها الى الخزينة

٦ — العراق بين احتلالين ج ٨ العزاوي المصدر السابق .

٧ — اربعة قرون من تاريخ العراق لوتكريك .

المركزية في بغداد . ولذلك ازدادت المجتمعات العشائرية صلابة ، وحاول الولاة المتأخرون وضع خطة لتوطين العشائر وحملها على الاستقرار والزراعة فلم يفلحوا ، لان العشائر كانت تخاف مغبة هذه الخطط التي ترى فيها مكيدة ضدهم لاسيما بالنسبة لفرض الضرائب عليهم وسوق أبنائهم للخدمة العسكرية . فلا عجب اذا ما رأينا النظام الاقتصادي العشائري آنذاك يسير على مبدأ (الاكتفاء الذاتي) اذ كانت زراعتهم مقتصرة على المحاصل الضرورية لاعاشة العشيرة وحدها ^(٨) . وعلى هذا يمكن القول أن العشيرة لم تكن في العهد العثماني سوى وحدة قائمة بنفسها ذات تنظيم سياسي تمارس فيه أعمال الدولة بجمال مصغر وما كان للدولة العثمانية في المجتمعات العشائرية كما قلنا سوى السيطرة الاسمية . فلا عجب اذا ما كانت حياة أبناء الريف وهم الاكثرية الساحقة ، حياة بدائية ساذجة ، تتميز بالولاء والتفاني في سبيل العشيرة ، وبالكد والكفاح لاتنتاج ما يكفي للقوت والمعاش وبالبعد عن معالم الحضارة والمدنية على أبسط صورها ^(٩) .

ان هذا الشعب الذي ظل يكافح الارزاء والمحن والمصائب قرونا طويلة ، وهو على هذه الصورة المفجعة من التردّي والانحطاط لم يكن قادرا على أن ينهض من كبوته بعد أن صار فريسة لاعدائه الثلاثة الفقر والجهل والمرض ، وغفا كما قلنا غفوة الاستسلام لحكامه الغرباء عنه ، وللموظفين الاتراك الذين كانوا يحتقرونه على الرغم مما هم فيه من جهل وغرور ، وفي ظل هذه الصور التي عرضنا فيها تلك الملامح الدكناء كان الشعب منقسما على نفسه فقد تعددت عناصر وتباينت نحلهم واختلفت مذاهبهم وكثرت مللهم وطوائفهم . فالاكثرية منهم من العنصر العربي يأتي بعدهم العنصر الكردي فالتركمانى فالإيراني . أما بالنسبة للديانات فالمسلمون هم الاكثرية ما بين (سنة)

٨ — مشاكل الائتمان الزراعي في العراق للمؤلف بغداد ١٩٥٧ .

٩ — الهجرة من الريف الى المدن للمؤلف بغداد ١٩٥٨ .

و (شيعية) وكانت جذوة الفرقة والتناحر بين هاتين الطائفتين كلما خمدت أوقدتها سياسة (فرق تسد) التي كانت المبدأ المتبع لدى الايرانيين والعثمانيين ضمانا لبقاء احتلالهم لهذه البلاد ، وبنتيجة تلك السياسة ساءت معاملة الدولة العثمانية الحنفية المذهب لابناء الشيعة وكثرت التعديات عليهم وحرمت عليهم الوظائف الحكومية ومنعت أولادهم حتى من دخول مدارسها الرسمية « ١٠ » . كل هذه التصرفات وغيرها مما ترويه كتب التاريخ العثماني أبعدت الشقة بين الطائفتين وانقسم الشعب على نفسه لا لشيء الا لتظل الامور مبهدة للحاكمين وكان نتاج تلك السياسة المفرقة أن دار بين الطائفتين الاخذ والرد في أي المذهبين ألقى وأيها أصوب فزاد بينهما التباعد والخلاف حتى أصبح الناس يرون بعض علماء الطرفين متمسكين بمثل هذه النعرات استغلالا للعوام فكانوا آلة شحناء وطريق تفرقة وواسطة عداء « ١١ » .

أما الاقلية المسيحية المؤلفة من اصول وطوائف مختلفة فقد كونت لها في الموصل ، قسما كبيرا من سكانها ، وانتشرت قراهم الآهلة على التلال المنخفضة في الشمال ، كما تجمعت مجتمعات صغيرة منهم حوالي الاديرة ، وحافظوا على كهنتهم في جبال كردستان .

بينما كانت الاقلية اليهودية تعيش في مدن بغداد والبصرة وبعض الحواضر الاخرى ، يتعاطى أفرادها الحرف والصناعات الدقيقة والتجارة . في حين استوعب جبل سنجار مع الجهات ذات التلال شمال الموصل (الزيدية) .

أما بقايا الهجمات القديمة من التركمان فقد كانوا متفرقين في بعض المناطق الشمالية ، وتمركزت أكثرتهم في كركوك . أما الصابئة فقد انتشروا في القرى والمدن الواقعة على ضفاف الانهار في الجنوب بين العمارة والمنتفك والبصرة « ١٢ » .

١٠ - تكوين العراق الحديث ا. فوستر ترجمة عبد المسيح جويده بغداد.

١١ - العراق بين احتلالين ج ٤ عباس لعزاوي بغداد ١٩٤٩ .

١٢ - أربعة قرون من تاريخ العراق لونيكرينك المصدر السابق .

وفي مثل هذا المجتمع الغريب التركيب ، تفاقمت الخلافات المذهبية والتعصب الديني والمشاحنات العنصرية ، فتباينت المشاعر وتصادمت الولاءات وتضاربت الاحاسيس نتيجة لبعد الحاكم عن المحكوم ورغبته في استغلاله والابقاء على هذه الحالة جريا على قاعدة (فرق تسد) • فليس عجيبا اذن أن يؤثر هذا الوضع تأثيرا كبيرا في الحياة الاجتماعية ، ستكشف عنه بوضوح الفصول والابحاث القادمة •

نور يخيو

كان العراق في العصر الذهبي ، عصر المأمون ، مهد الحضارة والمدنية ، ازدهرت فيه الحركة العلمية ازدهارا عظيما ، واتسعت حركة التأليف في شتى العلوم والمواضيع سواء ما كان منها تقنيا أو عقليا ، وبرع فيها علماء كثيرون ، ألفوا في الحديث والفقه والادب والفلسفة واللغة ، كما كتبوا وترجموا في الطبيعة والرياضة والطب والكيمياء • وقد قطعت هذه الحركة شوطا بعيدا في عز الخلافة العباسية وسارت بقوتها الاستمرارية الى ما بعد القرن الرابع ، حتى اذا أخذ الفساد يدب في جسم الدولة ، وأصبح الخلفاء والامراء في واد والعلماء في واد • واستولى القواد والماليك على شؤون البلاد وانقسمت تلك الامبراطورية الاسلامية العظيمة الى ضياع ودويلات ، بعد كل هذا ، هب ريح صرصر على شعلة العلم فأخذ نورها يخبو شيئا فشيئا مع الزمن ، وتفرق شمل العلماء الا قليلا ، وأصبحت شؤون العلم والثقافة نهب الاطماع والاهواء ولم تعد للعلماء تلك المنزلة أو ذلك المركز المرموق ، حتى اذا حل عام ٦٥٦ هـ ، قضى هولاكو على البقية الباقية من دور العلم وكنوز الثقافة • وهكذا منذ ذلك التاريخ ، خيم على البلاد جو من الجور والظلم والارهاب ، فهاجر كثير من العلماء الذين كتبت لهم الحياة الى مصر والمغرب وغيرها من الامصار ، وتفرق غيرهم في الحواضر العراقية الاخرى تاركين

(مدينة السلام) ، وملء قلوبهم الحسرة والالام الممض . ثم تتابعت الاحداث والحوادث على العراق ، وراحت الامور تسير من سيئ الى اسوأ . والنكبات تترى ، حتى انشغل الناس بامور حياتهم المعاشية لاسيما بعدما أصبح العراق لقمة سائغة بفهم كل طامع ، فلا غرو ان هجرت فيه معاهد الدرس ودور العلم ، لان الحروب والمعارك والفتن والمشاحنات التي دارت فيه وأدت الى تعرض سكانه الى القتل والمجاعة والتشريد فضلا عن آثار ضياع استقلاله وخضوعه لحكام غرباء عنه عصورا طويلة ، كل هذه الاسباب كانت ذات أثر قوي في عزوف الناس عن تلك المعاهد لانهم في مثل هذه الظروف كانوا بحاجة الى ضمان لقمة العيش والامن والاستقرار قبل كل شيء !

ولعل العلامة ابن خلدون قد تنبه الى هذه الحال فوصفها قائلاً (ان تعليم العلم من جملة الصنائع ، وان الصنائع انما تكثر في الامصار ، وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلة والحضارة والترف يكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة ، لانه أمر زائد عن المعاش ، فمتى فضلت أعمال أهل العمران عن معاشهم انصرفت الى ما وراء المعاش من التصرف في خاصة الانسان وهي العلوم والصنائع . ومن تشوف بفطرته الى العلم ممن نشأ في القرى والامصار غير المتمدينة فلا يجد فيها التعليم الذي هو صناعي لفقدان الصنائع في أهل البدو . ولا بد له من الرحلة الى الامصار المستنحزة شأن الصنائع كلها واعتبر ما قرناه بحال بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة والكوفة لما كثر عمرانها صدر الاسلام واستوت فيها الحضارة ، كيف زخرت فيها بحار العلوم وتقنوا في اصطلاحات التعليم وأصناف العلوم واستنباط المسائل والفنون ، حتى أربوا فيه على المتقدمين وفاقوا المتأخرين . ولما تناقص عمرانها وأبذر سكانها انطوى بما عليه جملة وفقد العلم بها والتعليم وانتقل الى غيرها من الامصار (١) .

لقد كتب العلامة ابن خلدون رأيه هذا عن بغداد والبصرة والكوفة عام (٧٧٩ هـ) أي أيام كان العراق تحت حكم الدولة الجلائرية . وليس من شك في ان الادوار التي تلت هذا الدور كانت أشد حلكة وأكثر ظلاما ، نظرا لما وصلت اليه البلاد فيما بعد من تدهور وانحطاط ، حيث لم يعد هناك للعلم والثقافة شأن يذكر ، وجل ما كان ، حلقات للتدريس انزوت في بعض المساجد والربط والتكايا ، حيث لا يختلف اليها الا العدد القليل من العلماء من رجال الدين والطلبة الذين انصرفت جهودهم الى مدارس العلوم الدينية ، وما له علاقة بها من العلوم الاخرى . لقد كانت مناهج الدراسة في هذه المدارس ، خلوا من علوم الدنيا ، تلك العلوم التي تفيد صاحبها في زراعة أو صناعة أو تجارة أو في غيرها من وسائل الحياة ، بل كانت العناية فيها منصرفة الى تحقیقات لفظية ليس لعامة الشعب فيها غناء (٢) .

ولعل أبرز الامثلة عن تدهور العلوم والمعارف في العراق أيام العثمانيين، ما حل بالمدرستين الشهيرتين في بغداد وهما المدرسة (النظامية) ومدرسة (المستنصرية) . وقد وصف العلامة المغفور له محمود شكري الالوسي حالهما اذ يقول عن المستنصرية « لم تزل هذه المدرسة على ما كانت عليه زمن منشئها الى أن حدثت حادثة التاتار ، وخراب بغداد على أيدي الفجار ، وما كان فيها من سفك الدماء وقتل الانفس وتخریب الديار ونهب الاموال ، وسبي النساء والاطفال وغير ذلك مما هو مفصل في كتب التاريخ فجميع ما كان في هذه المدرسة من كتب وفرش ومرافق قد نهبه جند العدو المخذول ، بل من الكتب ما رموا به الى دجلة قهرا لاهل العلم والدين ، وبعد ان تولى بغداد من تولى، عاد شمل المدرسة وأهلها الى ما كان عليه ، ولم تزل مجمع الافاضل والفضائل الى أن دخل العراق في حوزة الدولة العثمانية ، فهناك اختل أمر المدرسة

وانتظامها ، وغابت من أفقها شمس العلم ، وتفرق عنها جموع الطلبة
والمشتغلين ، وخلت ربوعها من العلم والعلماء العاملين لاستيلاء يد الظلم على
عقاراتها وسائر ضياعها وميراثها ، فلم يبق للمشتغلين ما يسدون به فم
حوائجهم ، فعدلوا عما كانوا عليه من مسلكهم ومنهجهم ، غير ان بنيان
المدرسة ووضعها على ما كانت عليه أيام انشائها ومبدأ تأسيسها وبنائها من
هاتيك الرصانة والبنان المتين الذي يخلل لرائيه أنه جبل مكين ولم تزل
ربوعها خالية من الانيس ومجالسها لا يسمع فيها صوت تدريس ، الى أيام
ولاية (أبي سعيد سنان باشا) والي بغداد وباني (المدرسة السليمانية)
فجعل المستنصرية (خانا) ووقفها على مدرسته من جبلة ما وقف عليها من
العقارات الكلية اخمادا لنورها ونسيانا لذكرها ولم تزل موسومة يومئذ
بخان الموصليين (٣) . أما عن (المدرسة النظامية) فقد أشار الى خرابها
وضياعها قائلا . . « أما المدرسة النظامية التي نوهنا بشأنها وبيان ما كانت
عليه من اتقان صنعها ورصانة بنائها فلم ندرك نحن ولا آباؤنا أثرا من
آثارها . وساحاتها الكبرى قد أصبحت اليوم مسكنا لاراذل اليهود ومجسعا
لاقذارهم وجيفهم ، هذا ، مع أنها كانت أول بيت بنى للعلم وشيد لنشر
الفضائل في أعظم بلد من بلاد الاسلام ، وقد نبغ فيها من نبغ من الائمة
وسادات الامة وفضلاء الزمان ومجتهديه من تزيت بذكرهم صحائف
الاخبار وتجلت ببيان مزاياهم كتب الآثار وما جرى في هذا البلد ما جرى
الا من تلاعب أقوام كانوا أعداء المعارف وآفة العدل وخصوم الانصاف ،
أهملوا أسباب السعادة وجدوا في الافساد وتخريب البلاد ولا سيما في محو
آثار سلف الامة وبقاياهم ولذلك عرا هذه المدرسة ما عراها ولم يبق منها
سوى بقايا مئذنة بقيت تشكو بلسان حالها ما جرى على ربعاها من الاوغاد
ولم تزل تنادي كل رائح وغاد ولكن أين المستمعون ؟ ! »

ولذلك وبعد مطالعة هذا التحليل والوصف الرائع لما وصلت اليه حال العلم ومعاهده مثلة في هاتين المدرستين أيام العثمانيين نستطيع ربط هذه النتائج المؤسفة بما قدمناه في الابحاث السابقة التي وقفنا فيها على حقيقة نظام الحكم العثماني وسوء الادارة وفساد مرافق الدولة والمسؤولين عن شؤونها .

ومهما يكن من أمر فقد حاول بعض الولاة والحكام لاسيما أيام المساليك القيام باثشاء بعض المدارس الدينية وتشجيع العلم والثقافة وعلى الاخص (داود باشا) . وعندما أصدرت (الدولة العثمانية) (خط گلخانه) لم يستفد العراق من الاصلاحات التي جاءت فيه ولذلك ظل محروما من التجدد واقتباس الحضارة ، حتى اذا أوشك القرن التاسع عشر على الرحيل وجد في العراق عدد من المدارس (المكاتب) انشأت للتدريس على النهج الحديث ولكنها كانت مدارس ساذجة مناهجها بتراء ناقصة ولما أعلن الدستور عام ١٩٠٨ . تنبّهت الافكار فأخذ تيار العناية بالعلم يزداد ولكن اعلان الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ وقف في سبيله وانهت الحرب عام ١٩١٧ وانطوت بها آخر صفحة للدولة الثمانية في العراق .



أسس الدراسة العلمية

ظل العراق في حوزة الدولة العثمانية منذ عام ١٦٣٨ م حتى عام ١٩١٧ م فكان خلال تلك القرون المظلمة من جملة الامصار الاسلامية التابعة للامبراطورية العثمانية ، تخضع في ادارتها وتسيير شؤونها الى مشيئة الباب العالي في غالب الاحوال والظروف . وبعد ان كان العراق من الاقطار الاسلامية التي لها ماض عريق في الحضارة والمدنية ، وبعد ان كانت بغداد (مدينة السلام) عاصمة الخلافة وكعبة الرواد ومنارة العلم ، أصبحت هذه البلاد نتيجة لتقلبات الاحوال وعوادي الحداث ، مركزا ثانويا من مراكز الدولة وباتت في العهود العثمانية في حالة يرثى لها من التأخر العلمي والتقهر الثقافي ، حتى لم يعد فيها من معاهد العلم الا الجوامع والمدارس والربط والتكايا ، واقتصر التدريس فيها على شؤون الدين وما يتصل به من علوم . ولقد كثر في العهد العثماني تظاهر السلاطين والولاة في هذه الناحية اذا كانوا يتنافسون في انشاء (المدارس) في العاصمة أو غيرها من الولايات بدعوى الاخلاص الطنان للدين (١) .

ان فكرة التعليم (في الشرق والغرب) في الاسلام والمسيحية كانت تدعو في الحقيقة الى تهذيب روحاني ، أي الى تربية دينية أخلاقية ، تعد الفرد لا لهذا العالم الذي يضطرب بأسباب الحياة والذي يعيش فيه هذا الفرد بل لعالم آخر لا يصل اليه الا بعد ان تخلص روحه من أدراها .

ولم يكن هذا التعليم ليهتم باعداد الفرد بما ينظم العلاقة بينه وبين أفراد المجتمع الذي يعيش فيه بقدر ما كان يهتم بعلاقة الفرد بخالقه . ولذلك كانت الحياة العلمية أيام العثمانيين سواء في دار الخلافة أو في مختلف الولايات الاسلامية ، خلوا أو تكاد ، من الاصالة والابداع ، اذ

كانت تتخذ سبيلها في مجاري التقليد والاتباع ، الثابتة ، ذلك لان العلم لم يكن يعني ، عند المسلم ، اكتساب معرفة جديدة ، بل التمكن الى أقصى حد مستطاع من المادة التي انتجتها الاجيال السابقة .

ولذلك كان أعظم القدر والاعتبار يخلع على التفقه بالدين والشرع الاسلامي الذي لم يكن ليفصل عن القانون المدني (٢) .

ولما كان العثمانيون (سنيين) حنفي المذهب فقد ساروا في العراق على تأييد المذاهب السنية الاربعة ، مستثنين من تلك الرعاية المذهب الجعفري الذي يحتل أتباعه جانبا كبيرا من البلاد ، ولقد أحدث هذا التفريق والرعاية انقساما في صفوف الامة ومن ثم الى اختلاف في منابع الدراسة ومعاهدها بين أبناء الطائفتين .

فلقد كان الولاة في مختلف الادوار ، تظاهروا منهم بالاخلاص للدين ورجاله ، يقومون بتأسيس المدارس ويوقعون لها الاوقاف الخيرية في حين كانت الطائفة الجعفرية تقوم بانشاء المدارس الخاصة بها بعيدا عن تشجيع الولاة أو مساعدتهم المالية . بل معتمدة في ذلك على الحقوق الشرعية، وما يرد لها من أموال التركات والاقواف والتبرعات والهبات التي كان يقدمها المحسنون من أبناء الجعفرية أنفسهم لهذه المعاهد الدينية . ان هذا الاختلاف في منابع الدراسة وأسس التحصيل العلمي أحدث ولا شك شقة بعيدة بين أبناء الشعب الواحد كان قد استغلها الحكام والطامعون وغيرهم استغلالا عظيما الضرر على الامة ، ولذلك يمكن القول ، أن الطريق الذي سلكه التعليم في العراق في العهد العثماني ، يكاد يكون نفس الطريق الذي رسمه المسلمون الاولون في هذا الحقل ولكنه على مر العصور والازمان تفرع وتشعب نتيجة لانقسام الامة من جهة وما أحدثته الحروب والنكبات من نكسات من جهة ثانية ، ولذلك سارت كل طائفة على نهج خاص بها ، ولكن وقوف السلطة

الحاكمة الى جنب طائفة بذاتها كان مدعاة لانكماش الطائفة الاخرى وتجنبها كل تماس مباشر بها «٢» .

وهكذا يمكن القول أن هذه السياسة المشوشة في حقل التربية وهذا التفريق الذي كان طابعا مميزا في السياسة العثمانية جريا على قاعدة (فرق تسد) . جعل الامة تنتشر انتشارا كبيرا في كافة أرجاء البلاد فضلا عما رسمه لنا من خطوط واضحة تعطينا فكرة بينة المعالم عن منابع الدراسة وأسس التعليم في ذلك العهد .

المعاهد الدراسية

بيننا في المبحث السابق أسس الدراسة والتحصيل العلمي • وقلنا أن الطريق الذي كانت تسير عليه الدراسة يكاد يكون نفس الطريق الذي رسمه المسلمون الاولون ولكن الاسلوب والطريقة في التدريس قد تغيرت • وما دمنا في هذا البحث يجدر بنا أن نأخذ فكرة تاريخية عن الدراسة الاسلامية قبل الخوض في موضوع المعاهد الدراسية في العهد العثماني •

لقد كانت الدراسة في الصدر الاسلامي الاول وما بعده تسير سيرا حثيثا بجهود رجال الدين والعلماء دون أن يكون للدولة أي تدخل في شؤونها لذلك قطعت أشواطا بعيدة في التقدم والازدهار ، وتخرج في معاهدها الوف من فطاحل العلماء والادباء والمفكرين الذين خلدتهم آثارهم الثمينة في مختلف العلوم والفنون «^١» •

ولكن تطور الامور ولا سيما بعدما ضعفت سلطة الخفاء ودخل الموالي والأتراك والفرس وغيرهم من الاجناس في خدمة الدولة ، حتى اذا ما تهيأ لهؤلاء القبض على زمام السلطة ، لم يجدوا سندا لهم أفضل من رجال الدين فهداهم تفكيرهم الى انشاء المدارس الدينية تنفيذا لهذا الغرض ، فكان نظام الملك أبو علي الحسن بن علي وزير ملكشاه بن ألب ارسلان ، أول من أسس مدرسة في بغداد كما فتح مدارس وربط زوايا في أنحاء أخرى من مملكته واستخدم عددا وافرا من العلماء والفقهاء وطلاب الوظائف وأمر بصرف (المعاليم) على الطلبة والشيوخ والمدرسين ، وهكذا بعد ان كان الناس يطلبون العلم في الجوامع أصبحوا يدرسونه في المدارس • ولقد أحدث انشاء المدرسة النظامية في بغداد رد فعل قوي ولذلك لم يكتف البغداديون بعرقلة سيرها ، بل قاموا بعمل خيري من نوعها اذ قاموا بفتح مدارس خاصة حتى

لم تـمض مئة سنة على عهد نظام الملك الا وبلغ عدد المدارس في بغداد نحواً من ثلاثين مدرسة «٢» .

ولما كانت الفكرة الاساسية التي هدف اليها السلاجقة من تأسيس المدارس النظامية هو القيام بعمل مضاد ضد الشيعة «٣» فقد حمل هذا الاتجاه الذي صاحبه الاضطهاد والتضييق على الشيعة في بغداد ، حمل العلامة محمد بن الحسن الطوسي على الهجرة من بغداد عام ٤٤٨ هـ ومعه تلامذته واتخذوا من مدينة النجف الاشرف مقراً لهم وداراً لهجرتهم ومنذ ذلك التاريخ أصبحت النجف عاصمة التدريس عند الشيعة الامامية .

وهكذا وبمرور الزمن أصبحت المدرسة ، معهداً سياسياً مذهبياً رسمياً حتى اذا احتل العثمانيون بغداد عام (٩٤١ هـ — ١٥٣٤ م) على يد السلطان سليمان القانوني استقبلته كثير من الالسنه المتملقة وأكثرت بين يديه من الضرب على وتر الدين ، فلبى داعي الشعور الديني تلبية طيبة واتقدت في زمانه شعلة الاسلام اتقاداً لامعاً ، لاسيما بعد أن رأى ما كان للصفويين من سلطة دينية .

ولما دخل بغداد ثانية السلطان مراد الرابع عام (١٦٣٨ م) طارداً منها الايرانيين قام بدوره في هذا الشأن كما قام سلفه ، ورسم للنفطي (يحيى) أن يعيد بناء قبة الشيخ عبد القادر الكيلاني وأوقف لها أوقافاً كثيرة معظمها من أملاك الشيعة للاتفاق عليها . وعلى هذا الاساس سارت الامور في العراق طيلة الحكم العثماني الذي استمر حتى عام ١٩١٧ م وراحت كل طائفة تهتم بشؤونها العلمية والثقافية . غير أن هذا الانقسام لم يغير من تسلسل المراحل

٢ — من كلمة للاستاذ عباس العزاوي في كتاب الدليل لاصلاح الاوقاف .
احمد محمد العمر بغداد .

٣ — تاريخ التربية الاسلامية الدكتور احمد شلبي بيروت ١٩٥٤ .

٤ — أربعة قرون في تاريخ العراق المصدر السابق .

الدراسية السابقة ، اذ ظلت تلك المعاهد في العهد العثماني تحبل نفس الاسماء وتسير الى حد ما على نفس النهج وها نحن أولا نبث عن هذه المعاهد ابتداء من الدراسة الاولى

الكتاتيب

الكتاتيب مفردا (الكتاب) والكتاب « موضع تعليم الكتاب أي الكتابة » . ويظهر أن الكتاب والمكتب كان قد استعمل في العصر العباسي الاول لمكان تعليم الصبيان «^٥» .

والكتاب هو المدرسة الاولى التي يدخلها الطفل بعد سن السادسة من عمره ونظرا لكونه خاصا بالاطفال فقد وردت بشأنه توصيات عدة لا سيما بالنسبة لمكانه . فلقد أجاب الامام مالك عندما سئل عن جواز اقامة الكتاب في المسجد قائلا

(لا أرى ذلك يجوز لان الاطفال لا يتحفظون من النجاسة) «^٦» كما ورد في كتب الحسبة ما يؤيد ذلك اذ نصت على عدم جواز ذلك (لان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بتنزيه المساجد من الصبيان والمجانين لانهم يسودون حيطانها ولا يتحرزون من النجاسات بل يتخذون للتعليم حوانيت في الدروب وأطراف الاسواق) «^٧» . غير أنه بالرغم من هذا التحذير نجد أن بعض المعلمين اتخذوا لهم زوايا في المساجد وغرفا ملتصقة بها وان كانت هناك كتاتيب اخرى مستقلة تمام الاستقلال .

ان الكتاتيب التي وجدت في العراق أيام العثمانيين ما هي الا امتداد لاسلوب التعليم القديم ، اذ كانت تسير كما سئرى على نفس النهج وتتبع نفس المنهج الدراسي .

وما كان انشاء (الكتاب) يتطلب شيئا غير معلم (الذي كان يسمى

٥ - ضحى الاسلام أحمد أمين القاهرة ١٩٣٥ .

٦ - التعليم عند القايسى الدكتور أحمد فؤاد الاهواني القاهرة ١٩٤٥ .

٧ - تاريخ التربية الاسلامية المصدر السابق .

(ملا) « ٨ » حافظ للقرآن الكريم ، لان الغرض الاساسي من الكتاب تحفيظ القرآن ليس غير اما القراءة والكتابة فهما وسيلتان تساعدان على حفظه « ٩ » .
 أما الدراسة في الكتاب فتبدأ كما قلنا بعد سن السادسة غالبا وكان على الصبيان المسجلين فيه أن يجلبوا معهم القرآن أو أحد أجزاءه وهو عادة (جزؤ عم) مع ألواح خاصة بالكتابة ومحبرة وبعض أقلام من القصب كي يكتبوا عليها بالحروف الابجدية في درس الخط والحساب .

وقد كانت العادة عند معلمي الكتاتيب هي أن تبدأ قراءة القرآن عادة بجزؤ (عثم) وهو الجزء الثلاثون من القرآن الكريم ، ويكون كما هو معروف مبدؤا ، بالحروف الهجائية ، ثم الحروف المحركة بالحركات المختلفة . ثم بكلمات (أبجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، سغفص ، قرشت ، ثخذ ، ضطغ) .
 ويبدأ تعليم الصبيان لسور القرآن أول ما يبدأ عادة ، بسورة (قل أعوذ برب الناس) الى النهاية . وتبدأ تلك القراءة بطريقة (التهجئة) في معظم الكتاتيب في العراق على الوجه الاتي :

(قاف لام ضمه « قل » ، ألف فتحة « أ » ، عين واو ضمة « عو »
 « قل أعو » ذال ضمة « ذو » « قل أعوذ » باء كسرة « بر » راء فتحة
 « بر » باء لام كسرة « بل » ، « بر بل » وهكذا . وكان البعض الآخر ،
 بتأثير الفرس ، يسمي الحركات بأسماء فارسية فالضمة تسمى (بيش)
 والفتحة (زبر) والكسرة (زير) وعلى هذا تكون الطريقة الثانية في التهجئة

٨ — ان كلمة (ملا) كما ذهب جماعة من اللغويين مصحفة عن (مولى) وقال آخرون منها مشتقة من الكلمة التركية (منلا) . أما المرحوم الاب انستاس الكرملى فيرى انها (قصر لكلمة مولى بمعنى السيد ثم أقحمت النون معنا للتضعيف وهو ما يكرهه بعضهم عربا كانوا أم أعاجم فصارت منلا (مجل لفة العرب ج ١ السنة الرابعة) .

- ٩ — تاريخ التربية في عصر محمد علي المصدر السابق .
 ١٠ — كان هذا الجزء يطبع عادة في مطابع الهند .

على الشكل الاتي : (قاف لام بيش « قل » ألف زبر « أ » (قل أ) عين واو بيش « عو » « قل أعو » ذال بيش ذو « قل أعوذ » • وهكذا وعلى هذا النمط يكمل الصبي دراسته وحفظه للسور الاخرى « ١١ » • ان هذه الاساليب التلقينية الجافة بالنسبة للاولاد الصغار تحملهم فوق ما يطيقون ولكن ما العمل وليس لهم الا سلوك هذا الطريق •

ومهما يكن من شيء فالدراسة في الكتابيب تعتمد على التكرار الممل والقراءة الصائتة ، اذ يتحتم على الطالب القراءة بصوت عال فكان كلما ارتفع صوته كلما كان ذلك مبعث ارتياح الملا وتقديره • وهكذا ما أن ينتهي الطالب من مرحلة التهجئة حتى ينتقل الى مرحلة القراءة السريعة بدون تهجئة وتسمى كما اصطلح عليها باسم (روان) « ١٢ » •

هذا وللطلاب عند (الملا) منازل معينة ، فالمبتدئون تكون مجالسهم بعيدة عنه ، والمتقدمون في القراءة والكتابة ، يكونون أقرب اليه ويساعد الملا أو الشيخ مساعد يسمى (الخلفة) يقوم بالاشراف على الطلاب الجدد وحملهم على انجاز واجباتهم دون ابطاء أو تهازل وعندما يتمون واجباتهم يعرض الامر على (الملا) ليعطي واجبا جديدا ، وهكذا يستوعب الطالب ، القسم المطلوب منه لينتقل الى القسم الآخر ، فاذا ما وصل الى السورة المعروفة (لم يكن الذين) عمل له أهله (حلوى) ويطلق عليه عبارة (لم يكن حلوى بكن) « ١٣ » ويدعي لها أقرانه من الطلاب كما تهدي لاستاذة هدية خاصة من أهله • واذا ما وصل الى سورة (ياسين) يعملون له وليمة اخرى « ١٤ » • فاذا ما ختم

١١ - من مقال (صفحات من الجيل الماضي) بقلم الاستاذ جعفر الخليلي جريدة الشعب البغدادية في عددها الصادر بتاريخ ٤-١٢-١٩٥٦ .

١٢ - روان كلمة فارسية معناها « استقامة » .

١٣ - بكن كلمة فارسية بمعنى (أعمل) .

١٤ - البغداديون . أخبارهم ومجالسهم . ابراهيم الدروبي بغداد ١٩٥٨

القرآن الكريم يجري له احتفال بهيج يشترك فيه جميع الصبيان من رفاق (كتابه) وأتراب محله . وفي هذه الحفلة يرتدي الصبيان ثياب الاعياد ويحضرون في الصباح الباكر فيؤلف هؤلاء كوكبة يتقدمها (الخلفة) ويحمل أحدهم على رحلة من الخشب مجللة بقطعة من الحرير المزركشة بالذهب ، المصحف الكريم ، يرفعها على رأسه ، ويتقدم هذه الكوكبة حملة الاعلام الدينية ، ثم يليهم حملة الطبول والموسيقى ثم الخلفة ويده دعاء يتلوه بصوت عال ، وهو مؤلف من أقفال مسجوعة في نهاية كل قفل يرد عليه بقية الموكب بلفظة (آمين) ، أما الدعاء فنسجل بعض الاقفال التي حصلنا عليها وهي :

الحمد لله الذي تحمدا	آمين
حمدا كثيرا ليس يحصى عددا	»
كلم موسى واصطفى محمدا	»
على نبي اسمه محمدا	»

الحمد لله الذي هدانا	آمين
لملة الاسلام واجتباننا	»
من بعد ما كنا من (العميانا)	»
علمنا التوحيد والقرءانا	»

هذا غلام قد قرأ وقد كتب	آمين
وحقنا على أييه قد وجب	»
نستاهل الخلعة منه والذهب	»
بطاسة مجلية قد التهب	»

وأنت يا أبي سبب تعليمي	آمين
جزاك ربي جنة النعيم	»
وأنت يا والدة نعم الوالدة	»
دامت عليك نعمة ومائدة	»

ويدور الموكب الشوارع والمحلات ثم يعود الى دار والد (الخاتم) فتستقبلهم النسوة بالاهازيج والتهاليل وتسد مائدة كبيرة عليها أنواع الاطعمة والحلوى ، فيتناول الصبيان الطعام ، وقبل أن ينتهي الحفل ويغادر الصبيان الدار ، يقوم والد الخاتم ويلبس (الملا) جبة جديدة من القماش الفاخر ، ويعطيه صرة تحتوي على مبلغ من النقود ، وبطبيعة الحال أن مثل هذه الاحتفالات لا تقام للفقراء لانهم لا يملكون ما يصرفونه على هذا الحفل «١٥» . وبعد ختم القرآن الكريم ، يبدأ الطالب بتعلم الكتابة والاعمال الحسائية الاربعة ، وعلى هذا يمكن القول بأن حظ الكتابيب في التعليم كان ساذجا ، اذ لم يكن التعليم فيها يساعد الآخذين به على اجادة التفكير أو يبعث فيهم شوقا وحنينا الى مواصلة الدرس بل أن كثيرا منهم سرعان ما ينسون القراءة والكتابة بعد اهمال المران عليهما «١٦» .

ولقد كانت دراسة الطالب في (الكتاب) تنتهي عادة بعد ختم القرآن الكريم ، والحصول على مبادئ العمليات الحسائية ، الاربع وحفظ شيء من الشعر ، وان أكثرية الطلاب تنتهي دراستهم الى هذا الحد اذ ينصرفون بعدها الى الحياة العامة . وهناك من يرسله أهله الى (المدارس) رغبة في اتمام تحصيله العالي . وغالبا ما يكون قد جاوز العاشرة من العمر .

أغراض التعليم في الكتابيب

لما كان الغرض من التعليم في نظر علماء المسلمين على اختلاف درجاتهم ، هو تعليم المسلمين ، الدين . مما لا يتيسر الا بمعرفة بعض المبادئ التي تكتسب بالتعليم . ومن هذه المبادئ القراءة والكتابة لا على أنها غاية في ذاتها ، يكمل الانسان بها نفسه ، بل أنها سبيل الى سهولة تحصيل عناصر هام من عناصر الدين وهو القرآن الكريم . وغرضهم هو تلقين اصول الدين مع

١٥ - خطط الموصل ج ٢ أحمد الصوفي . الموصل ١٩٥٣ .

١٦ - تاريخ التعليم في عصر محمد علي المصدر السابق .

الابتعاد عن تعليم أي مسألة ، من مسائل الدنيا الا ما قضت به الضرورة .
وقد انتهى الحال في الكتاتيب بصورة عملية الى حفظ القرآن والكتابة
والقراءة فقط . ولطول العهد بهذه الطريقة التي دارت مع الزمان واتبعها
الناس قرنا بعد قرن . وآمنوا أنها الطريقة الوحيدة التي ينبغي اتباعها . ولما
كان القرآن ثابتا لا يتغير ، والصبيان لا يتعلمون الا القرآن ، فان منهج
الدراسة في الكتاتيب في القرن الرابع لا يختلف عنه في العصور المتأخرة الا في
بعض امور شكلية « ١٧ » .

محل الكتاب

لقد مر بنا أن الرسول الكريم وفقهاء المسلمين قد قالوا بعدم جواز تعليم
الاطفال في المساجد لان الاطفال كما قلنا لا يتحفظون من النجاسة ، ولذلك
انتشرت الكتاتيب أما بجوار المساجد أو في حوانيت الدروب وأطراف الاسواق
أو في الربط والتكايا أو في البيوت الخاصة في المحلات المختلفة ، ولكنه رغم
التحذير فقد لوحظ أن بعض معلمي الكتاتيب قد اتخذوا لهم من زوايا المساجد
أو بعض الغرف الملحقة بها مكانا لكتابتهم مهملين لسبب أو لغيره هذه
التوصيات الواضحة « ١٨ » .

ولما كانت الكتاتيب عادة لا تقوم الا على جهود رجل واحد هو (الملا)
أو الشيخ وانه غالبا ما يكون فقيرا ، وحيث أن هذه الكتاتيب لم يكن لها
بنايات خاصة معدة لها من جهة ما ، لذلك فان معظم محلات الكتاتيب غير
صالح من الوجهة الصحية ، فالارض رطبة والنور قليل ، التهوية معدومة
والغرفة المعدة للدرس صغيرة والمرافق الصحية تكاد تكون مفقودة وان وجدت
فانها قدرة جدا .

أما من حيث جلوس الصبيان أثناء الدرس في الكتاب ، فعلى حصران

١٧ - التعليم في رأي القابسي المصدر السابق .

١٨ - تاريخ التربية الاسلامية . المصدر السابق .

مفروشة على تلك الارض الرطبة وكثيرا ما كان أولياء الطلاب يزودون ابناءهم بالمقاعد القطنية للجلوس عليها «١٩» حفظا لهم من آثار تلك الرطوبة .
ولئن كانت هذه هي الحال في المدن والحوضر الكبرى في العراق فان وضعها يسوء ويتردى في الكتابيب المنتشرة في المناطق العشائرية والقرى التي كثيرا ما تبني بيوتها عادة من الطين أو القصب .

معلم الكتاب

لما انقضى الدور الاسلامي الاول ، الذي كان فيه تعليم الدين الاسلامي شاملا للجميع ، واتبع فيه المسلمون كافة السبل في الوصول الى نشر دعوتهم ، فعلموا في دورهم وفي المساجد وفي كل مكان ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وكثر عدد المسلمين ، وأصبحت غالبية السكان على الدين الاسلامي ، انصرف الناس عن نشر الدين الى النظر في امور المعاش والى تنظيم الدين وضمان العبادة الصحيحة . ويقتضي النظام الاجتماعي أن يكون البدء في تعليم الاجيال عن طريق تربية الاطفال حتى اذا شبوا أصبحوا مطبوعين بطابع الجيل الجديد ، لذلك فقد تطوع المسلمون الاوائل بالتعليم بدافع الروح الحديث ، فلما انتشر الاسلام ، تعذر أن يقوم التعليم على التطوع ، فظهرت (صناعة التعليم) وتناول المعلمون الاجر وأفتى الفقهاء بذلك ، فكان بعض المعلمين يقوم بهمة هذه بالمساجد ولكن عدم تحفظ الصبيان من النجاسة جعل الفقهاء يقولون بمنع تعليم الصبيان فيها ، فظهرت الكتابيب منفصلة عن المساجد ، حيث نهض بالتعليم فيها ، معلم . هو الذي يستأجر (الكتاب) ويتخذ مكانا للتعليم وقد يشرك معه معلما أو أكثر اذا كان عدد الصبيان كبيرا . ولكن الغالب وجود معلم واحد «٢٠» .
هذا ولما كانت الحكومة ليست مسؤولة عن هذه الكتابيب وليس لها

١٩ — يطلق على هذا المقعد في العراق اسم (مندر) وهي كلمة اعجمية .

٢٠ — القابسي المصدر السابق .

سلطان عليها أو اشراف على سير التدريس فيها باديء الامر «٢١». • لذلك فان بإمكان أي شخص قارئ ، حافظ للقرآن ، أن يتخذ التعليم حرفة ومكتسبا «٢٢». • وان لم يكن على درجة من القدرة على التدريس أو تربية الاطفال • ومهما يكن من شيء فان الشخصية العلمية التي تتولى ادارة الكتاب • على رأي القابسي أقل ما فيها أن يكون صاحبها (حافظا للقرآن ، عارفا للخط والكتابة وترتفع شخصيته مع تزود علوم العربية والنحو والشعر ، أما شخصيته الدينية فلا شك فيها لانه يعلم القرآن وهو أصل الدين وقيم الصلاة ويعلمها للصبيان) •

وهكذا وبرور الازمنة والعصور ، ظلت طريقة انشاء الكتابات سائرة على هذا المنوال الا أن المستوى الثقافي للمعلمين فيها قد تضاعف تبعا لتقهقر الحياة وانحطاطها بصورة عامة • حتى اذا كان العهد العثماني بات أكثر معلمي الكتابات لا يملكون من الثقافة الا حفظ القرآن وقراءة الادعية مع احاطة بسيطة بامور الدين • وقد تولى هذه المهنة في العراق كثير من الفرس والافغانين والهنود «٢٣» ، ولعل قصة (غلّ مسلّ ما في غلبي !!) تعود الى مثل هؤلاء المعلمين وفجوها أن أحد هؤلاء كان يدرس طالبا أول درس في القرآن وكانت سورة (الحمد لله) اذ كان الاستاذ يقرأ والطفل يعيد ما يقول فلما وصل الاستاذ (وهو فارسي لا يقدر على لفظ الضاد بصورة صحيحة ، انما يلفظها بالزاد) الى عبارة (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال (غير المغزوب عليهم ولا الزالين) فكررهما الطفل كما تلفظها قبله الاستاذ ، فأكد عليه الاستاذ ان ما تلفظه غلط والصحيح هو (غير المغزوب عليهم ولا

٢١ — كانت قد أصبحت فيما بعد تحت اشراف (المحتسب) •

٢٢ — التربية والتعليم في الاسلام الدكتور محمد اسعد طلس بيروت ١٩٥٦

٢٣ — كانوا في العهد العثماني يطلقون على معلمي الكتابات من غير العرب

اسم (لالا) و (لالا) لفظة تركية تعني (مربّي الصبيان) •

الزالين) فلما أعادها الطفل بمثل ما تلفظها استأذه غضب هذا قائلاً
أيها الكسلان (غل مسل ما في غلبي) أي قل مثل ما في قلبي (لان
الفرس يقلبون (القاف) غاء و (الثاء) سينا) • وهكذا كانت هذه الحادثة
مثلاً مشهوراً في حقل التعليم في العراق •

ولقد تغير اسم معلم الصبيان على مر الأزمنة حتى صار أيام العثمانيين
ذا عدة مسميات تبعاً لاختلاف المدن والامصار الإسلامية ، فقد سمي باسم
(الشيخ) و (الفقيه) و (الملا) و (لالا) ولكن الاستعمال الأكثر في العراق
هو (الملا) وجمعه (الملالسي) •

أما مؤدبات البنات من النسوة فكان يسمين (الملايات) مفردها (ملايئة) •
ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الباب هو أن لفظة (مثلاً) قد أصبحت
لا تعني المعلم بل صارت تعني محل التعليم أي (الكتاب) فقد كان الناس
يقولون ...

لقد درس فلان في (الملا) وأنه (ذهب إلى الملا) وأنه (يقرأ القرآن في
الملا) وهكذا •

ونظراً لأهمية هذه الكتابات في تلك العصور المظلمة باعتبارها المعاهد
الدراسية الابتدائية الوحيدة نسجل فيما يلي أسماء بعض معلمي كتابات بغداد
في العهد العثماني الأخير وهم « ٢٤ » :

اسم الملا	محل الكتاب
١ - الملا صالح بن حيدر	باب الشيخ
٢ - الملا محمد بن الحاج فليح	الحضرة الكيلانية
٣ - الملا قاسم المغربي	الحضرة الكيلانية
٤ - الملا عبد الغني الملا حيدر	باب الشيخ
٥ - الملا محمد بن الملا علي سبته	جامع الدسايل
٦ - الملا أحمد بن الحاج فليح	سوق الجوخجية

- ٧ — الملا ابراهيم أحمد الحاج فليح
 ٨ — الملا السيد صالح القرصي
 ٩ — الملا جابر
 ١٠ — الملا الحاج محي الدين مكي
 ١١ — الملا داود بن عارف
 ١٢ — الملا كمال الهندي
 ١٣ — الملا عبد الله
 ١٤ — الحاج حسن
 ١٥ — الملا رميض
 ١٦ — الملا رحيم
 ١٧ — الحاج عباس بهي
 ١٨ — السيد أحمد المغربي
 ١٩ — الملا محمد فليح
 ٢٠ — الملا أسعد
 ٢١ — الملا عبد الله اللنجاري
 ٢٢ — الملا عبد الرزاق المعروف
 ٢٣ — الملا سلمان الاورفه لي
 ٢٤ — الملا مهدي الملا رحيم
 ٢٥ — الملا مهدي
 ٢٦ — الملا لطيف
 ٢٧ — الملا رجب
 ٢٨ — الملا داود
- مسجد حسب الله
 مرقد قنبر علي
 حادي بادي
 جامع مرجان
 مسجد العمار
 مسجد ظهير الدين
 البو مفرج
 جامع السهورودي
 عزات طولات
 مسجد الخضيري
 الحضرة الكيلانية
 الحضرة الكيلانية
 الحضرة الكيلانية
 الحضرة الكيلانية
 مسجد النقيب
 مسجد طالب الكمية
 محلة السنك
 مسجد بيت مدلج
 الحمام المالح
 جانب الكرخ
 جانب الكرخ
 جانب الكرخ

الضبط والانضباط

لقد كان الاب يقود ابنه الى الكتاب في العهد العثماني وبعد أن يتفق مع الملا على الاجور يخاطبه بقوله

هذا ابني ، لك منه اللحم ولي منه العظم !! أي ان الآباء في ذلك العهد كانوا يرون في المعلم (الملا) المذهب الاول لاولادهم ، فهم يخولونه حق تأديبه ومعاقبته بأقصى العقوبة ان هو أساء التصرف والادب أو قصر في أداء واجباته .

وفي الواقع أن الفقهاء المسلمين الاوائل التفقتوا الى هذه الناحية فأجازوا عقوبة الضرب في حالة ترك الصلاة كما أمروا بالضرب في جميع الحالات التي يحتاج اليها الوالد أو المعلم في تأديب الصبيان . وهذه الحالات في نظرهم هي :

عدم حفظ القرآن ، اللعب ، أذى الغير ، الهرب من الكتاب . وما الى ذلك من أنواع الذنوب الخلقية المدرسية . ولكن هؤلاء الفقهاء وان كانوا أجازوا الضرب فقد أحاطوا ذلك بسياسج من الشروط حتى لا يخرج الضرب من الزجر والاصلاح الى التشفي والانتقام « ٢٥ » .

وعلى هذا الاساس كانت الكتاتيب في العهد العثماني تسلك هذا الطريق مع كل طالب كسول أو مشاكس ، ولقد كان أبرز أداة تثير الرعب والخوف في نفوس الصبيان هي (الفلقة) وهي عبارة عن خشبة بطول ثلاثة أو اربعة أشبار مثقوب طرفاها وفيها جبل دقيق يوضع فيها الساقان وتقتل الخشبة حتى يقبض الجبل على الرجلين قبضا شديدا ويسك عادة بأحد طرفي الفلقة واحد قوي من الطلاب وبالطرف الآخر مثله ، ثم ينهال المعلم ضربا على رجليه بعضا دقيقة أو قضيب الخيزران وهو يبكي ويصيح ويستغيث فلا يغاث « ٢٦ » . ويجدر بنا قبل أن نختم هذا الموضوع أن نثبت هنا الاسس التي وضعها

٢٥ - القابسي المصدر السابق .

٢٦ - السيد محسن الامين . سيرته بقلمه . بيروت ١٩٥٧ .

المربون المسلمون الاوائل والتي سار عليها معلمو الكتاتيب وهي :

١ — ان العقوبة البدنية للصبيان الذين تجاوزوا العاشرة مباحة .

٢ — لا يلجأ المعلم للعقوبة البدنية الا عند الضرورة القصوى وعليه أن لا يكثر استعمالها ، واذا استعملها يجب أن لا يكون متشفيا قاسيا بل مؤدبا رحيما .

٣ — يكون الضرب بالدرة على أن تكون رطبة مأمونة ولا يضرب على الرأس ولا على الوجه بل يضرب على الافخاذ وأسافل الرجلين لان هذه المواضع لا يخشى منها مرض ولا غائلة «٢٧» .

كتاتيب البنات :

لم يكن تعليم المرأة في الاسلام بدعة لان المؤمنين والمؤمنات ، مكلفون جميعا بنص القرآن الكريم ولا تتيسر معرفة الدين الا بنوع من التعليم لذلك أفتى الفقهاء بوجوب تعليمهن بأسانيد دينية ، وليس ما يمنع تعليمهن كما يتعلم الصبيان أو ذهابهن الى الكتاتيب في الصغر . وقد رأى القابسي ان من الصلاح ومن حسن النظر أن لا يخلط بين الذكور والاناث خشية ما قد ينتج عن ذلك من فساد الاخلاق لذلك جعل الكثيرين يعلمونهن على حدة «٢٨» . ولا نريد هنا الافاضة في بحث تعليم المرأة في العصور المختلفة ولكننا نقول أن المسلمين الاوائل لم يقفوا مانعا في سبيل تعلم المرأة . بل على العكس ، فقد كان الامام أحمد بن حنبل مثلا ، يؤكد على اخراج الحرائر من عزلتهن العقية ولزوم تثقيفهن وتأديبهن «٢٩» . ولكن تطور الحياة وتدهورها كما رأينا في العصور المظلمة وتغير الاحوال تغيرا عظيما ، جعلت الناس ينظرون

٢٧ — تاريخ التربية الاسلامية المصدر السابق .

٢٨ — القابسي المصدر السابق .

٢٩ — مقال (الثقافة النسوية في العراق في العصور الاسلامية) بقلم الدكتور مصطفى جواد المعلم الجديد — الجزء الاول والثاني — السنة السابعة عشرة ايلول سنة ١٩٥٣ .

الى المرأة وكأنها قطعة أثاث في بيت الرجل يستخدمها لتوليد الاطفال وتربيتهم فقط «٢٠». • ولذلك كانوا يقولون أن للمرأة حقاً في الخروج من دارها مرتين طول عمرها ، المرة الاولى عندما تزف الى زوجها فتذهب من دار أهلها الى داره • والمرة الثانية عندما تموت فتخرج جنازتها من البيت الى القبر !!

نعم هذه هي النظرة التي كان ينظر بها الى المرأة في أكثر المدن العراقية ، فلا عجب اذن أن تقرأ كتاباً بعنوان (الاصابة في منع النساء من الكتابة «٣١») كان قد ألفه صاحبه سنة ١٣١٣ هـ المصادف ١٨٩٧ م يقول فيه •••

(••• فاما تعليم النساء القراءة والكتابة فأعوذ بالله ، اذ لا أرى شيئاً أضّر منه بهن ، فأنهن لما كن مجبولات على الغدر ، كان حصولهن على هذه الملكة من أعظم وسائل الشر والفساد • وأما الكتابة فأول ما تقدر المرأة على تأليف كلام بها ، فانه يكون رسالة الى زيد ، ورقة الى عمرو ، وبيتا من الشعر الى عذب وشيئاً آخر الى رجل آخر •

فمثل النساء والكتب والكتابة ، كمثل شرير سفيه ، تهدي اليه سيفاً أو سكيراً تعطيه زجاجة خمر • فالليب من الرجال هو من ترك زوجته في حالة من الجهل والعسى فهو أصلح لهن وأتق •

وبعد هذا فلاستاذ خير الدين الالوسي رحمه الله كان يرى أن في جهل المرأة منعا للمفاسد عنها اذ يقول •••••

(••• ان تعليم المرأة سيجرها الى المفاسد ، لان الكتابة ، ان تعلمتها توصلت الى أغراض فاسدة ، وأمكن توصل الفسقة اليها على وجه أسرع وأبلغ من توصلهم اليها بدون ذلك • لان الانسان يبلغ بكتابته في أغراضه الى غيره ما لا يبلغه برسوله ، ولان الكتابة أخفى من الرسول ، فكانت أبلغ في

٣٠ — خطط الموصل ج ٢ المصدر السابق •

٣١ — تأليف خير الدين نعمان بن أبي الثناء الالوسي وهو مخطوط في مكتبة الاوقاف بغداد •

الحيلة وأسرع في الخداع والمكر) .

وعلى هذا يمكن أن نقول أن وضع المرأة العراقية أبان العهد العشائري كان في غاية التأخر بسبب ضغط الحياة عليها من جميع الجهات . ويمكن القول أن تعليم المرأة ، تلك العصور لم يكن شيئا يذكر وان كانت هناك بعض الكتاتيب تقوم بإدارتها بعض (المليات) يعلمن فيها بنات الاسر المتوسطة غالبا ، القرآن الكريم واصل الدينانة بينما كانت بعض الاسر الموسرة تخصص بعض المعلمين أو المعلمات من معلمي الكتاتيب لتدريس بناتهم .

ولابد من الإشارة في هذا الباب الى أن كتاتيب البنات كانت تكثر في العتبات المقدسة والمدن التي أكثرتها من الجعفرية ، بسبب ما تحتضنه الضرورة من وجود (مليات) يقرأن مقتل الحسين (ع) في شهر محرم أو في الأشهر الأخرى أو قراءة الموالييد في المناسبات السنوية المختلفة « ٣٢ » .

ومهما يكن من شيء فإن كتاتيب البنات على قلتها كانت تجري في بيوت (المليات) وهي تجري عادة على نفس النمط المتبع في كتاتيب الصبيان مع اختلاف في تلاوة بعض السور وتدريبهن على بعض الأشغال اليدوية . ومن (المليات) اللاتي ساهمن في تعليم الفتيات في بغداد الاتي اسماءهن « ٣٣ »

محلة الكتاب

اسم الملية

الحيدر خانة

١ - الملية قبورة

باب الشيخ

٢ - الملية أسماء الحاج حسن الهندي

باب الشيخ

٣ - الملية مرزوكة

السيد عبد الله

٤ - الملية نعيمة

العاقولة

٥ - الملية فطومة بنت اسماعيل

٣٢ - أقدم أصدقائي العرب . الدكتور جون فانيس . ترجمة جليل

عمسو بغداد ١٩٤٩ .

٣٣ - البغداديون : أخبارهم ومجالسهم المصدر السابق .

- | | |
|---------------------------------|---------------|
| ٦ - الملاية بيبة | رأس الساقية |
| ٧ - الملاية زهرة | سراج الدين |
| ٨ - الملاية ملكة | رأس الساقية |
| ٩ - الملاية بهية | دربونة العطار |
| ١٠ - الملاية حياة الامام | باب الشيخ |
| ١١ - الملاية شفيقة | الحيدر خانة |
| ١٢ - الملاية يبي | الكرخ |
| ١٣ - الملاية عطية | الكرخ |
| ١٤ - الملاية خجاوي | الكرخ |
| ١٥ - الملاية أمونة الخضيري | الدسايل |
| ١٦ - الملاية درويشة القرصي | قنبر علي |
| ١٧ - الملاية رازقية (ام ناجي) | الكرخ |
| ١٨ - الملاية مهنية المولى | الكرخ |

الكتاتيب في آخر العهد العثماني .

كانت الكتاتيب كما رأينا هي المرحلة الدراسية الوحيدة لتعليم الصبيان في العهد العثماني قبل أن تقوم الدولة العثمانية باتباع اسلوب التعليم الحديث وذلك في أوائل القرن التاسع عشر ، حيث قامت تلك السلطة بفتح (المكاتب) الاولى والابتدائية تدريجيا لتحل محل هذه الكتاتيب . أما في العراق فقد جاء هذا النظام اليه متأخرا اذ لم يكن فيه من المكاتب الا عدد ضئيل جدا وانها وان كانت تحمل اسم (مكتب) الا أنها كانت ناقصة المناهج ، ولم تزد العناية بها الا بعد إعلان المشروطة عام ١٩٠٨ ومع كل تلك العناية ما كانت لتزيد عن (١٣٠) مدرسة ابتدائية في كافة أرجاء البلاد .

وعلى هذا فان تلك الحالة لم توقف مهمة الكتاتيب وعملها في ميدان التعليم بل ظلت مستمرة في عملها ، لا سيما اذا ما علمنا أن الدراسة في المكاتب

الحديثة كانت تجري باللغة التركية •

أما في المناطق الشيعية فقد بقيت تلك الكتابات على نشاطها لان الاتراك لم يفتحوا فيها الا بعض المكاتب التي لا تزيد عن أصابع اليد الواحدة فسي بعض المدن الكبيرة ، وعليه يمكن القول أن الاخذ بأسلوب التعليم الحديث لم يغير من وضعية الكتابات في العراق ان لم يكن قد زاد منها لا سيما في السنوات الاخيرة من الحكم العثماني •

وليس لدينا احصاء رسمي نستطيع منه الوقوف على عدد هذه الكتابات قبل أن تنطوي صفحة الحكم العثماني في العراق غير أن التقرير الصادر من وزارة المعارف العراقية لسنة ١٩٢٣ — ١٩٢٤ م يكشف لنا عددها استنتاجا • فلقد جاء في هذا التقرير أن عدد الكتابات في العراق سنة ١٩٢٣ بلغ نحو (٣٠٠) كتابا يدير كل واحد منها (ملا) واحد • فاذا ما علمنا أن المدارس الحديثة بعلمها كانت قد انتشرت في أكثر المدن العراقية تدرس العلوم بلغة البلاد أدركنا أن عدد الكتابات بهذه الحركة العلمية قد تناقص حتى أصبح (٣٠٠) في سنة ١٩٢٣ • ولذا يمكننا أن نقول أن الكتابات في العراق أيام العهد العثماني الاخير ما كان عددها يقل عن الـ (٤٠٠) كتاب • ومهما يكن من شيء فقد كان الكتاب يؤدي واجبه في نشر التعليم على تلك الصورة التي ذكرنا صفحة منها • وأنه وان زال الان من الميدان فيستل الكتاب في تاريخ التعليم في العراق معهدا طرق بابيه كثير من الصبيان في تلك العصور المظلمة •



المدارس^(١)

كان العلم في الصدر الاسلامي الاول يث بكل مكان من مسجد أو منزل أو سفر أو حضر وحتى في الاسواق ولم يخص له مكان بعينه ينتابه الناس ، والمدارس انما حدثت بعد الاربعماية من سني الهجرة «٢» .

ويعتبر فتح السلاجقة للعراق ودخولهم بغداد في ٢٥ محرم سنة ٤٤٧ هـ أول عهد بإنشاء (المدارس) . أنشأها الوزير نظام الملك (الذي وزر لآل ب أرسلان وملك شاه) فنسبت هذه المدارس اليه وعرفت باسم (المدارس النظامية) . وقد اقتدى الناس به من حينئذ في بلاد العراق وخراسان وما وراء النهر وفي بلاد الجزيرة وديار بكر ومن ثم في مصر وبلاد الشام وغيرها من الامصار الاسلامية . وبتأسيس (المدرسة النظامية) صار الناس يشعرون بصبغة حكومية ، يراد بها السيطرة على العلماء وأن لا يكون العلم حراً كما يراد بها من طرف خفي التحكم فيها وتحديد أمرها ، فعُتد هذا أول تدخل في أمور العلم . لذا أبدى البغداديون النفرة وأكبروا أمر التدخل في حريته . ولم يقفوا عند أمر احباط هذا المشروع أو الاحتجاج عليه بعرقلة التدريس أو غير ذلك من الوسائل بل قاموا بأمر خيري من نوعها . فأكثروا من المدارس ولم يدعوها مقصورة على النظامية ولا على المدرسة الاعظمية . اذ لم تمض نحو مائة سنة الا وبلغت المدارس نحو ثلاثين مدرسة لها مستغلات عظيمة ، ولم يجعلوا العلم محددًا في مدرسة واحدة أو اثنتين ، بل رفعوا القيود المتوقعة ، بهذا العمل وزال الخوف مما كانوا يخشون ولم يصروا على محاربة المدارس

١ - ان كلمة مدرسة كانت تطلق في تركية وايران على المعاهد الدينية فقط وهذه تلي (الكتاب) عادة أي أن من ينهي الكتاب يكمل تحصيله في هذه (المدارس) . وان الاتراك خصصوا اسم «المدرسة» للمدارس الدينية والمدارس الحديثة سموها (مكاتب) .

٢ - تاريخ مساجد بغداد وآثارها - المصدر السابق .

مواطن العلم ولا كرهوا المدرسة لذاتها •
وهكذا تقدم أهل الخير لهذه المشاريع ، فتكونت ثقافة لا تزام • أما
هذه المدارس فقد كانت أشبه شيء بالمساجد الا أن الوجة الثقافية فيها
غالبة وفي المساجد وجهة العبادة غالبية والتلازم مشهود ، فأدت هذه المعاهد
خدمات عظيمة واشتركت الواحدة مع الاخرى أو تعاونوا معا على التهذيب
والتثقيف فقامت كل مؤسسة بمهمتها والغاية واحدة «٣» •

وبسرور الزمن أخذت هذه المدارس تفقد ما كانت عليه من علو المركز
والاهمية ، كما أخذ عدد الطلاب يتناقص شيئا فشيئا مع الايام ، حتى أصبح
أكثرها أثرا بعد عين • ولعل النهاية الاليمة التي نزلت بالمدارس النظامية خير
دليل على ذلك فقد اختفت نظامية بغداد في ظروف غامضة وبعد أن (كانت
روضة من رياض الجنة وماوى الكتاب والسنة ومشرق أنوار العلوم ومطلع
بدور علماء المنطوق والمفهوم ، قد أصبحت مسكنا لاراذل اليهود ومجمعاً
لاقذارهم وجيفهم مع أنها كانت أول بيت يبنى للعلم وشيد لنشر الفضائل ؟
وان ما جرى عليها وعلى أمثالها نتيجة تلاعب أقوام كانوا أعداء المعارف وآفة
العدل وخصوم الانصاف الذين أهملوا أسباب الحضارة وجدوا في الافساد
وتخريب البلاد «٤» • فلقد تعرض العراق كما مر بنا الى ضروب المحن
والمصائب من حروب طاحنة بين الاتراك والفرس ومعارك وفتن بين الولاة
والامراء ونكبات وأرزاء من الامراض والابوثة والفيضانات ، حتى اذا انتهى
الامر الى تسلط العثمانيين كانت الثقافة في حالة من الانحطاط لان وضعاً
اجتماعياً كهذا لا يؤمل منه فلاح ولا يتيسر فيه نشاط أدبي أو علمي ، غير أن
هجوم المتغلبة على هذه الربوع سواء كانوا من الفرس أو العثمانيين لم يمكنهم
من الهجوم على (الجوامع والمدارس) فهذه أصل (مناهج تعليمية ثابتة)

٣ - من كلمة للاستاذ عباس العزاوي المحامي في كتاب (الدليل لاصلاح
الاقواف) للاستاذ محمد احمد العمر بغداد ١٩٤٨ .
٤ - مساجد بغداد وآثارها المصدر السابق .

ومؤسسات دينية لا تتناولها أيدي العدوان في الاكثر لان الحرمة للمساجد والمدارس مرتكزة في النفوس ولكنها لم تسلم دائما بل لم يصبها الاعتداء من كل الوجوه «٥». ولذلك فقد كادت تندثر هذه المؤسسات ، لولا أن أعيد بعضها ، وأسس القليل منها لا سيما وأنها كانت المخرج الوحيد للعلماء والادباء والموظفين والتجار وسائر الصنوف في ذلك العهد ، غير أن هذه الظروف والاحوال الطارئة كانت قد شوشت أمرها وأثرت عليها كثيرا «٦» .

ولقد كان العراق أيام حكم المماليك «٧» أشبه ما يكون بدولة مستقلة لا يربطها بالباب العالي غير الاسم وغير ارسال الهدايا والاتاوى . ولذلك كانت سلطتهم سلطة تستند الى اخوة عنصرية تجتمع أهل البلد الواحد في بلاد غريبة كانوا يبقون فيها عبيدا لو لم يتسن لهم حكمها ، فأصبحت سلالة نصف وراثية غير تركية ، حتى بقى السلطان العثماني مدة خمسين عاما لا يعد العراق الا جارا محترما «٨» . ولقد اشتهر من هؤلاء في تشجيع الثقافة، سليمان باشا الكبير أبو سعيد ، اذ ذكر عنه انه أول وزير تركي أحيا العلم والادب في العراق وخصوصا في بغداد ، اذ قرب العلماء والادباء واحترمهم وبذل الاموال اليهم تنشيطا على نشر العلم فرغب الناس في عهده بالعلوم والآداب وبنيت عدة مدارس وكثر طلاب العلوم والآداب .

ولكن أشهر وزراء المماليك في هذه الناحية هو (داود باشا) الذي بذل جهده في سبيل ارجاع عز بغداد ومجدها العلمي فقرب اليه العلماء والادباء واحترمهم وأكرمهم وحرص الناس على الاشتغال بالعلوم والآداب والفنون

٥ — العراق بين احتلالين ج ٤ عباس العزاوي .

٦ — العراق بين احتلالين ج ٥ العزاوي .

٧ — دام حكمهم نحو مائة سنة ابتدأت بوزارة سليمان باشا الكبير وانتهت بعزل داود باشا ومفادته بغداد سنة ١٨٣١ .

٨ — أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث المصدر السابق .

فبنى عدة مدارس وجوامع ومساجد فتقدم العلم والادب والشعر وتنافس العلماء والكتاب وتنفتت بغداد في زمانه ودب فيها بعض الشعور العلمي حتى بلغت المعاهد العلمية بسبعه ثمانية وعشرين معهدا «٩» . ومهما يكن من أمر هذه العناية فان كثيرا من هؤلاء المماليك سلكوا هذا السبيل ترويجا لسياستهم وتوطيدا لاركان حكمهم ، فلما استتب الامر لهم وشاعت الطمأنينة بين السكان ساعد هذا الوضع على نشر الثقافة ونموها ويسر الاتصال بثقافة الاقطار المجاورة . وتمكنت المعرفة وفاضت وكان العراقيون يفضلون المماليك لحمايتهم للمعرفة ولكن الاهليين لم ينتفعوا من ثقافتهم للادارة انما كان ميلهم وانصرافهم الى العلوم الدينية ، ولذا كانت الثقافة في هذا العهد يدير شؤونها رئيس العلماء ومن معه من العلماء «١٠»

أما الدور الذي تلا أيام المماليك في العراق فقد عد عهد اغفال للثقافة واهمال لامرها، ولو أن (المدارس) ظلت سائرة بقوة الاستمرار، ولكن الدولة لم يكن لها يد في انشاءها ولا في التغذية العلمية ، بل ربما كانت المساعي مكيئة في احباط ما بذل في العلم وتقويته مما أدى الى اختلال أمرها بسبب صمود الحكومة عنها «١١» .

ولئن كانت العناية منصرفة الى انشاء بعض المدارس خلال العهد العثماني في بغداد فان الحواضر العراقية الاخرى كالموصل والبصرة لم يكن فيها شيء من النشاط في هذا المجال لان تدهور الحياة الاجتماعية والاقتصادية في العراق وتعرضهما للمعارك والغزوات والسلب والنهب قد أخر النظر في مثل هذه المطالب وان كان التاريخ يحدثنا عن بعض الولاة الذين قاموا بانشاء بعض المدارس وأوقفوا لها بعض الاوقاف اسوة بما كان يعمل امراء وولاة بغداد .

٩ — مختصر تاريخ بغداد . علي ظريف الاعظمي .

١٠ — العراق بين احتلالين ج ٦ العزاوي .

١١ — العراق بين احتلالين ج ٨ العزاوي .

وهكذا ما أن دخل القرن العشرون حتى كانت علائم التأخر بارزة للبيان في كافة أنحاء البلاد وقد وقف المرحوم العلامة انتاس الكرملی (مجلة لغة العرب - الجزء الاول - عام ١٩١٢) متسائلا قائلا ٠٠٠ (لا أدري ما السبب لهذا التأخر ؟ غير أن النواميس الطبيعية التي وضعها الحكيم جئ وعلا هي أقوى دليل على اثبات الاسباب ، فقد قضى ربك أن يكون لكل شيء ناموس طبيعي يجذبه الى العلو ويرفعه الى فوق واذا فسد مجراه عاد الى الوراء أو هوى الى تحت • وقد كانت هذه البلاد ، لما كان القائمون بها رجالا يسرون بها على مقتضى القانون والحكمة التي وضعها الله سببا لرقى الامة : منبع الحكمة ، وكعبة العلم ، وأم المدنية ، وعروس الحضارة ، والتقدم في العلم والادب والصناعة والتجارة والزراعة والحكمة والفلسفة والطب والهندسة وغير ذلك ، فنبغ في ذلك الاوان أولئك الرجال الكبار الذين كانوا السبب الاعظم في كشف كثير من الاسرار الغامضة في عالم الطبيعة •

أما اليوم وقد بدل من على هذه الارض وتغيرت تلك الاحوال وطست الآثار وتهدمت صروح العلم وسلط ربك على هذه البلاد الغرق والحرق والطاعون والتفرقة ، غدت العريضة تندب رجالها وتبكي المنازل أبطالها والمدارس طلابها وأمست الى ما تراه ، أي لا تجد من الناس الا القليل ممن يعرف تاريخ بلاده وحياة آبائه أو يحسن النطق بلغته وهل بعد هذا الهوان العظيم أعظم وأدهى؟! وكلما سرحت طرفي في تاريخ هذه البلاد وأخذت افتش عن المعاهد والمنتديات وتلك المدارس والكليات وتلك المعالم والمستشفيات لا أجد فيها الا آثارا قائمة على جرف هار كالمستنصرية وقد أصبح قسم منها دارا للمكس وآخر مطبخا للآكلين وشطراً منه مشرب قهوة للبطلين وأهل الفراغ » ! •

مدارس بغداد (١٢)

ومن المدارس والمعاهد التي كانت تجري فيها الدراسة والتي زال أثرها ، والمدارس التي لا تزال آثارها موجودة حتى اليوم هي :

١ - المدرسة النظامية : كانت أقدم مدرسة في مدينة السلام ، بل أول بيت وضع للعلم في بلاد الاسلام ، وكانت في جانب الرصافة وسط سوق الثلاثاء ، بناها أبو علي الحسن بن علي بن اسحق بن عباس الملقب بنظام الملك قوام الدين الطوسي ، تم بناؤها سنة ٤٥٩ هـ . ولما جرى على بغداد من المصائب احترقت مرتين ثم أعيدت ثم اندرست رسومها وانسحت علومها وتفرقت جموعها وعمها الخراب وتناثر منها التراب وألفها الوحش الياب . ولم يبق منها سوى بقايا مئذنة وكانت تسمى (المنارة المقطوعة) والمحلة التي حولها قرية من الشوارع العام تسمى محلة المنارة المقطوعة وكانت على مقربة من جامع مرجان .

٢ - المدرسة المستنصرية : شيد هذه المدرسة أبو جعفر المستنصر بالله العباسي سنة ٦٣٠ هـ و سنة ١٢٣٢ م اذ افتتحت في هذا العام وباشرت بتأدية واجبها العلمي على أعظم وجه الى أن حدثت حادثة التاتار وخراب بغداد على أيدي الفجار فنال المدرسة ما نالها . وبعد أن تولى أمر بغداد من تولى عاد شمل المدرسة وأهلها الى ما كان عليه ولم تزل مجمع الافاضل والفضائل الى أن دخل العراق في حوزة الدولة العثمانية فهناك اختل أمر المدرسة وانتظامها ، وغابت عن أفقها شمس العلم وتفرق عنها جموع الطلبة والمشتغلين وخلت ربوعها من العلم والعلماء العاملين . وهكذا ظلت ربوع المستنصرية في هذا العهد خالية من الانيس ومجالسها لا يسمع فيها صوت تدريس ، حتى اذا

١٢ - لقد اعتمدنا في الكتابة عن مدارس بغداد العلمية ، على كتاب (مساجد بغداد وآثارها) تأليف المرحوم العلامة محمود شكري الالوسي وكتاب (البغداديون اخبارهم ومجالسهم) تأليف الاستاذ ابراهيم الدروبي .

ولي بغداد سليمان باشا الكبير ، جعل المستنصرية (خانا) ووقفها على مدرسته (السليمانية) اخمادا لنورها ونسيانا لذكرها ولم تزل موسومة من يومئذ بخان الموصلين • وكان المجلس العسكري في أواخر العهد العثماني قد استأجرها من دائرة الوقف وجعلها مخزنا للملابس الجنود • وقد أسف لذلك كل ذي دين وبكتها الاقلام بدمع معين ، وقد رثاها الشعراء منهم المرحوم معروف الرصافي والمرحوم جميل صدقي الزهاوي ••••• فقد جاء في قصيدة الرصافي عن لسانها هذه الايات •••

وضيعني الالى عرفوا بمجدي	وبي كم قد غدا لهم انتفاع
وبعد اولئك العلماء صارت	بعين الجهل ترمقني الرعاع
وبعت بأبخس الاثمان بيعا	على زهد كما بيع المتاع «١٣»
فيا بغداد كيف نبذت عهدي	كما نبذت يراعيتها الصناعات
فها أنا فيك أنشد عند يوعي	(أضاعوني وأي علا (أضاعوا)

أما الزهاوي فقد جاء في قصيدته •••

وقفت على المستنصرية باكيا	ربوعا بها للعلم أمست خواليا
وقفت بها أبكي قديم حياتها	وأبكي بها الحسنى وأبكي المعاليا
وقفت بها أبكي لشعري بناتها	وأنعى سجاياها وأنعى المساعيا
بكيت بها عهدا مضى في عراضها	كريما فليت العهد لم يك ماضيا

٣ — مدرسة الامام الاعظم : شيدت هذه المدرسة بجوار مشهد الامام الاعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ، شيدها شرف الملك أبو سعيد محمد بن منصور الخوارزمي سنة ٤٥٩ هـ • وقد سارت في العهد العثماني في

١٣ — لقد باعها الحكومة العثمانية بالزاد العلني فاشترها سليمان باشا الكبير سنة ١٢٠٦ هـ والحققا بوقف المدرسة السليمانية ، ثم استولت عليها المالية وجعلتها من أملاكها ولكنها سلمت الى دائرة الاوقاف ، وقد استأجرتها منها مديرية الآثار العامة فيما بعد حيث قامت بترميمها .

تأدية رسالتها على أتم وجه اذ كانت آهلة بالعلماء والطلاب ، وقد درس فيها كثير من العلماء المشهورين . وقد استمرت في أداء مهمتها الدينية حتى أيام جمال بك (السفاح) والي بغداد الذي شيد الطابق العلوي فيها لتكون كلية تدرس فيها العلوم الاسلامية والفنون الحديثة وقد فتحت أبوابها للطلاب حتى زوال الحكم العثماني «١٤» .

٤ — المدرسة السليمانية : هي المدرسة التي انشأها أبو سعيد سليمان باشا والي بغداد وأوقف عليها أوقافا عظيمة للصرف على لوازمها والحق بها مكتبة عظيمة ، وبنى فيها الحجر الكثيرة لطلاب العلم ، وقد خصصت من هذه المدرسة شقة اتخذت مسجدا جامعاً تقام فيه الصلاة ، وبناء المدرسة في الوقت الحاضر تقع على مقربة من مديرية شرطة بغداد بينها وبين الاعدادية المركزية للبنين .

٥ — المدرسة العلية : كانت هذه المدرسة قد شيدت على شاطئ دجلة غربي جانب الرصافة ، شيدها علي باشا الشهيد والي بغداد سنة ١١٧٦ هـ . وقد أمر بانشاء هذه المدرسة لتدريس العلوم الدينية وتعليم الفنون العقلية والثقيلة ، وقد ازدهرت بالطلاب وتصدر فيها للتدريس فطاحل العلماء آخرهم العلامة السيد محمد أفندي الطبقچلي ، حيث اندرست معالمها فيما بعد ولم يبق اسمها ولا رسمها ذلك أن مدحت باشا والي بغداد سنة ١٢٨٥ هـ غيرها وجعلها مدرسة للصنایع ومطبعة لجريدة الزوراء وقد اتخذت مقراً للبرلمان فيما بعد .

٦ — المدرسة المرادية (مدرسة نائلة خاتون) : تقع هذه المدرسة أمام جامع الحيدرخانة في بغداد . وكانت أول أمرها مسكناً لمراد أفندي ، أحد رجال الدولة العثمانية وامرائها ، فلما توفي وافته زوجة (نائلة خاتون) واتخذته مدرسة تشتمل على غرف كثيرة ، وعلى مصلى للعبادة ووقفت عليه بساتين وعقاراً . أما مدرسة جامع المرادية الواقع في الميدان فقد كانت مدرسة

تدرس بها العلوم العقلية والنقلية وآخر من تصدر للتدريس فيها العلامة
المرحوم الشيخ قاسم القيسي والعلامة السيد عبدالرحمن المشهور بالسيوطي .
٧ — مدرسة جامع علي أفندي : يقع هذا الجامع في محلة البارودية
ببغداد ، شيده الحاج علي أفندي ابن مراد من أهالي القرم سنة ١١٢٣ هـ
وشيد فيه مدرسة علمية لتدريس العلوم والمعارف وعين في الجامع مدرسا
واماما وخطيبا وثلاثة مؤذنين وقارئ القرآن العظيم وقارئ دعاء الختم ومعلم
صبيان . وشيد فيه ثلاث غرف لسكن الطلاب الغرباء . وشرط أن تعطى
لكل طالب علم تخصيصات يومية . وآخر من تصدر للتدريس في هذه المدرسة
امام الجامع السيد عبد الرزاق .

٨ — المدرسة الداودية : أو مدرسة جامع الحيدرخانة الواقع على شارع
الرشيد اليوم ، شيده الوزير داود باشا وفرغ من تعميره سنة ١٢٤٢ هـ وشيد
فيه مدرسة تدرس فيها العلوم العقلية والنقلية وسماها المدرسة الداودية ورصد
لها اوقافا كثيرة ، وكانت المدرسة في كل زمان عامرة بطلابها وتصدر للتدريس
فيها كثير من العلماء الاعلام آخرهم العلامة الشيخ عبد المحسن الطائي .
٩ — مدرسة جامع الوزير : هذا الجامع واقع في سوق السراي في بغداد
وهو جامع كبير ومن المساجد القديمة ، جدد عمارته الوزير حسن باشا . وفيه
مصلى كبير مظل على نهر دجلة ، وشيد فيه مدرسة علمية تدرس فيها العلوم
العقلية والنقلية وقد تصدر للتدريس فيها أكبر العلماء منهم العلامة الشيخ طه
السنوي وغيره .

١٠ — مدرسة مسجد آل شاكر أفندي : يقع هذا المسجد في محلة
جديد حسن باشا بالقرب من سوق الصاغة وهو مسجد صغير فيه مدرسة
تدرس فيها العلوم العقلية والنقلية وفي سنة ١٣١٨ هـ جعل فيه مدرسة ابتدائية
رسمية تحت رئاسة (الخوجة علي أفندي) والمدرس الثاني شقيقه محمد

أفندي • ثم في سنة ١٣٢٥ هـ نقلت منها المدرسة الابتدائية وبقيت مدرسة العلوم الأصلية •

وكانت هذه المدرسة تزخر بطلابها ومدرسيها هو العلامة (الخوجة الحاج علي أفندي) ، أمين الفتوى سنة ١٣٣٦ هـ الذي تخرج عليه العلامة محمد فيضي الزهاوي • وقد درس في هذه المدرسة الاستاذ منير القاضي •

١١ — مدرسة جامع الآصفية : ان جامع الآصفية من المساجد القديمة في بغداد وهو واقع الان على رأس الجسر القديم • مطل على نهر دجلة وكان يسمى بجامع (المولى خانة) جدد عمارته (محمد جلبي) كاتب الديوان في عهد أحمد الطويل سنة ١٠١٧ هـ ، ثم ان الوزير داود باشا جدد عمارته أيضا وسمي (بجامع الآصفية) نسبة الى داود باشا المنعوت بـ (آصف الزمان) وجعل فيه مدرستين اولى وثانية ووقف على لوازم الجامع والمدرسة بعض الاملاك المدونة وقد تصدر للتدريس في هذه المدرسة فطاحل العلماء آخرهم العلامة المرحوم الشيخ عبد الجليل أفندي آل جميل •

١٢ — المدرسة الطبقة : هذه المدرسة واقعة في محلة العاقولية • كانت في الاصل دار للعلامة السيد محمد أفندي الطبقةجلي (١٥) • فجعلها مدرسة علمية وألحق بها مكتبة من نواذر المخطوطات ووقف على لوازمها بعض العقارات وتصدر للتدريس فيها جماعة من أكابر العلماء آخرهم الفاضل السيد صالح السهروردي •

١٣ — المدرسة العمرية : هذه المدرسة واقعة في جانب الكرخ على شاطئ دجلة شرقي جامع القمرية ، شيدها عمر باشا والي بغداد سنة (١٠٩٠ هـ)

١٥ — ذكر الاستاذ محمد بهجت الاثري في (الفوائت) من كتاب (مساجد بغداد وآثارها) ان (الشيخ أحمد بن اسماعيل مفتي بغداد المتوفى سنة ١٢١٣ هـ) هو الذي وقفها على طلاب العلم ثم اتخذها بعض الشيوخ دارا يسكنها ولا يزال ابناؤه وأحفاده يقيمون فيها وهي في محلة (الحيدرخانة) •

وسنة ١٧٦٩ هـ واتخذ فيها غرضا لطلاب العلوم وعين فيها مدرسا العلامة الشيخ عبد الرحمن بن محمود من أهل ما وراء النهر . وقد وقف وحبس عليها بعض الاملاك وقد كانت هذه المدرسة مجمع الفضلاء ومثابة الاعلام ، وتحتوي خزانة يعجز عن وصفها لسان التحرير كما يقول العلامة محمود شكري الالوسي حيث أصبحت في زمانه « خراب لا مدرس ولا طلاب ولا تقرير ولا كتاب » .

١٤ — المدرسة السويدية : شيد هذه المدرسة على نهر دجلة في الجانب الغربي (الكرخ) سنة ١٢٣٩ هـ و ١٨٢٣ ميلادية العلامة الشيخ محمد أمين ابن الشيخ علي السويدي ، وكانت قبلا محل سكناه واشترط التدريس فيها بجميع العلوم العقلية والنقلية وقد كانت مزدهرة بطلاب العلم الا أنها منذ ما يقرب من أربعين سنة حولت الى مسجد سمي بمسجد (خضر الياس) .

١٥ — مدرسة جامع القبلاية : يقع جامع القبلاية في سوق الهرج ، وهو من مساجد بغداد القديمة ، جدد بناءه (قبالان مصطفى باشا) والي بغداد سنة ١٦٧٧ م كما أن والي سليمان باشا الكبير ، جدد عمارته وشيد فيه مدرسة علمية وجعل فيها خزانة كتب تضم نواذر المخطوطات . وقد تصدر للتدريس في هذه المدرسة علماء اعلام منهم العلامة يوسف العطا مفتي بغداد ومن بعده العلامة الشيخ قاسم القيسي ومن بعده العلامة الشيخ نجم الدين الواعظ .

١٦ — المدرسة المرجانية : تقع هذه المدرسة على شارع الرشيد الآن عند مدخل سوق الشورجة ، شيدها أمين الدين مرجان بن عبد الله بن عبد الرحمن السلطاني من موالي السلطان أويس بن الشيخ حسن الايلخاني أحد أمراء التاتار وذلك سنة ٧٥٨ هـ وشرط التدريس فيها على المذاهب الاربعة ووقف على لوازمها ما كان يملكه من العقارات في بغداد وخارجها وقد بنى غرضا في الطابقين وجعلها مسكنا لطلبة العلم وأجرى عليهم الجرايات

فلما توفي مرجان المذكور سنة ٧٧٤ هـ دفن في المدرسة وشيد على قبره قبة بديعة الشكل ، ثم أن الوزير سليمان باشا الكبير اتخذ من هذه المدرسة مسجدا جامعاً تقام فيه الصلوات الخمس والجمعات والاعياد . وقد درس في هذه المدرسة عدد كبير من فطاحل العلماء الاعلام .

١٧ — مدرسة جامع حسين باشا : هذا الجامع من مساجد بغداد القديمة يقع في محلة الحيدرخانة ، جدد عمارته (حسين باشا) والي بغداد سنة (١٠٨٥ هـ) وتسمى باسمه وشيد فيه مدرسة علمية تدرس فيها العلوم العقلية والنقلية وعلوم القرآن وعين مقدار الطلبة الذين يدرسون فيها في كل سنة ، وقد وقف هو وغيره من ذوي الاحسان ، الاوقاف الكثيرة . وقد تصدر للتدريس فيها علماء اعلام آخرهم العلامة الشيخ محمد القزلي ، وكانت هذه المدرسة تحوي مكتبة تضم نواذر الكتب المخطوطة والمطبوعة .

١٨ — مدرسة جامع الفضل : جامع الفضل من مساجد بغداد القديمة يقع في محلة الفضل ، كانت فيه مدرسة عامرة يدرس فيها جميع العلوم وفيها حجر لطلبة العلم ، جدد عمارته وأحيا رسومه الوزير سليمان باشا سنة ١٢١٠ هـ ويقال أن هذا الوزير هو الذي شيد هذه المدرسة وأوقف على لوازمها أملاكاً . وقد تصدر للتدريس فيها العلامة الشيخ عبد الوهاب النائب والعلامة الشيخ سعيد أفندي . وفي هذه المدرسة مكتبتان احدهما مكتبة العلامة المرحوم الشيخ عبد الوهاب النائب والثانية مكتبة الشيخ سعيد أفندي وهاتان المكتبتان تضماني نواذر الكتب المخطوطة والمطبوعة .

١٩ — مدرسة جامع العادلية الكبير : يقع هذا الجامع اليوم في شارع المستنصر قبالة المحكمة الشرعية ، شيدته عادلة خاتون بنت أحمد باشا والي بغداد وتمت عمارته سنة ١١٦٨ هـ وشيدت فيه مدرسة لتدريس العلوم في المعقول والمنقول واشترطت تعيين مدرس لهذه المدرسة وأمام للحنفية وامام للشافعية وخطيب ومؤذن وخادم ، كما شرطت أن يكون في هذه المدرسة (١٥)

طالباً كل سنة وخصصت لكل طالب مخصصات يومية ، وجعلت في صدر كل طالب اشارة يعلقها في صدره مكتوب عليها (طلبة مدرسة العادلية بغداد) وقد وقفت على هذه المدرسة أوقافاً خاصة بها . وقد تصدر للتدريس فيها أعلام علماء منهم العلامة السيد محمود الألوسي مفتي بغداد والعلامة صبغة الله الحيدري وغيرهما .

٢٠ — مدرسة جامع الاحسائي : أو التكية الخالدية ، ويقع هذا الجامع شرقي المحكمة الشرعية على نهر دجلة . كان فيه مدرسة للعلوم العقلية والنقلية تزخر بالطلاب وقد جددته ومدرسته الوزير داود باشا والي بغداد سنة ١٢٣١ هـ وقد اتخذ هذا المسجد زاوية للشيخ خالد النقشبندي . كما أن الوزير الحاج محمد نجيب باشا والي بغداد أجرى اصلاحات في التكية الخالدية ومدرستها ، كما أن موقوفات عظيمة قد أوقفت على هذا الجامع ومدرسته في أوقات مختلفة . وقد تصدر للتدريس في هذه المدرسة علماء كبار منهم العلامة الشيخ خالد النقشبندي والعلامة الشيخ عبد الرحمن الروزياني والعلامة الشيخ ابراهيم فصيح الحيدري والعلامة السيد أحمد التكية والعلامة الشيخ سعيد النقشبندي وغيرهم . وفي هذه المدرسة خزانة كتب ثمينة تضم نوادر المخطوطات نشأت من ضم كتب السيد أحمد التكية الى مكتبة السيد ابراهيم فصيح الحيدري الذي أوقفها سنة ١٢٩٢ هـ .

٢١ — مدرسة جامع الحاج أمين الباجهجي : يقع هذا المسجد في محلة رأس القرية ، شيده الحاج أمين جلبي الباجهجي سنة ١٢٣٧ هـ وشيد فيه مدرسة علمية لتدريس العلوم العقلية والنقلية ، وأوقف على لوازمها أملاكه . وأول من تصدر للتدريس فيها هو العلامة السيد محمود أفندي الألوسي مفتي بغداد ، وفي هذه المدرسة مكتبة تضم الكتب المخطوطة النادرة .

٢٢ — مدرسة مسجد الحاج نعمان الباجهجي : شيد هذا المسجد نعمان جلبي الباجهجي سنة ١٢٣٦ هـ وكان فيه مدرسة علمية يدرس فيها العلوم

العقلية والنقلية ، وأوقف عليها وعلى المسجد أوقافا معلومة وشرط صرف غلتها على لوازم المسجد والمدرسة . وقد درس فيها أكابر رجال الدين منهم العلامة (غلام رسول الهندي) وغيره وفي هذه المدرسة مكتبة غنية بمخطوطاتها .

٢٣ — مدرسة جامع السيد سلطان علي : هو الجامع المعروف بهذا الاسم المجاور لبناية (اورزدي باك) على شارع الرشيد ، لا يعلم تاريخ بنائه على وجه التحقيق ويقال أنه بني في زمان يقارب العصر الذي بني فيه المدرسة المرجانية . وفي سنة ١٣١٠ هـ جدد عمارته السلطان عبد الحميد خان العشاني وأنشأ فيه مبرستين لتدريس العلوم العقلية والنقلية وبني فيه حجرا لطلاب العلم . وقد درس في هاتين المدرستين العلماء السيد أحمد شاکر الالوسي والسيد محمود شکري الالوسي والعلامة محمد درويش الالوسي ، والعلامة الشيخ ابراهيم الراوي . وفي هذه المدرسة مكتبة قيمة تضم نوادر الكتب المخطوطة والمطبوعة .

٢٤ — مدرسة جامع النعمانية : يقع هذا الجامع تجاه دائرة البرق والبريد المركزية ، بنته السيدة فاطمة خاتون بنت السيد بكتاش ابن السيد ولي سنة ١٧٧١ م وألحقت به مدرسة علمية لتدريس العلوم الدينية ووقفت على لوازمها عقارات كبيرة . آخر من درس في هذه المدرسة العلامة الشيخ قاسم البياتي .

٢٥ — مدرسة مسجد بابا كوركور : يقع هذا المسجد في رأس سوق الميدان المدعو (سوق الهرج) وكان سابقا تكية للبكتاشية ثم حول الى مسجد وألحق فيه مدرسة علمية تدرس فيها العلوم الدينية . وتصدر للتدريس العلامة الشيخ عبد الرحمن القره داغي وولده العلامة الشيخ علي القره داغي .

٢٦ — مدرسة جامع الخاصكي : يقع هذا الجامع بين شارع المستنصر وشارع الرشيد في محلة رأس القرية ، شيده محمد باشا الخاصكي والي بغداد سنة ١٠٩٤ هـ ، فيه مصلى تقام فيه الصلوات الخمس والجمع والاعیاد ، وفيه مدرسة كانت تزخر بالطلاب وكان يدرس فيها العلوم العقلية والنقلية وآخر

من تصدر للتدريس فيها السيد عبد المجيد بن عبد المالك المشهور بملوكي .
٢٧ — مدرسة جامع الخلفاء : وهو الجامع الذي كان قد شيده الخليفة
المكتفي بالله خلال الست سنوات من حكمه (٢٨٩ — ٢٩٥ هـ) وكان يعرف
بجامع القصر ثم أطلق عليه اسم جامع الخليفة ثم جامع الخلفاء . وقد كان
الجامع الرسمي للدولة العباسية . وقد شييد في هذا الجامع سنة ٦٨٧ هـ
مئذنة لا تزال قائمة الى يومنا هذا وهي تعرف بشارع سوق الغزل لان الجامع
قد قطعت أرضه وانشئ في احدى القطع الشرقية منه سوق للغزل . وشييد
سليمان باشا والي بغداد (١١٩٣ — ١٢١٧ هـ) جامعا في غرب المنارة بقى
قائما الى سنة ١٩٥٧ هـ ويعرف بجامع سوق الغزل ثم هدم من أجل الشارع
الجديد . وكانت فيه مدرسة علمية تدرس فيها العلوم العقلية والنقلية وقد
تصدر للتدريس فيها علماء بغداد وأعيانهم الاعلام منهم العلامة السيد يحيى
الوترى والعلامة الشيخ عبد الله الموصللي « ١٦ » .

٢٨ — مدرسة جامع الرواس : يقع هذا المسجد في محلة دكاكين حبوب
على مقربة من شارع الكيلاني ، شيده السلطان عبد الحميد سنة ١٣١٣ هـ
وخصص له موارده اللازمة ، وشييد فيه مدرسة علمية لتدريس العلوم العقلية
وجعل فيها مكتبة قيمة تضم نواذر المخطوطات والمطبوعات . وتصدر للتدريس
فيها علماء منهم الشيخ عبد المحسن الطائي . وقد أزيل المسجد والمدرسة
بمناسبة فتح الشارع الطولاني .

٢٩ — مدرسة جامع الشيخ سراج الدين : يقع في محلة سراج الدين
— الصدرية — وهو من المساجد القديمة ، جدد عمارته الوزير حسن باشا
والي بغداد سنة ١١٣١ هـ وشييد فيه مدرسة علمية لتدريس العلوم العقلية
والنقلية وبنى فيه حجر لطلبة العلم . وفي سنة ١٣١٢ هـ كان الشيخ عبد

١٦ — دليل خارطة بغداد قديما وحديثا الدكتور مصطفى جواد والدكتور
أحمد سوسة .

الرحمن ثنيان قد شيد في هذا الجامع مدرسة أخرى لتعليم علم التجويد . وقد أوقف له كثيراً من الاوقاف . أما اليوم فليس لهذا المسجد أثر لان الاوقاف قد هدمته .

٣٠ — المدرسة القادرية : مدرسة جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني وهي مدرسة قديمة العهد شيدها العالم الفاضل أبو سعيد المبارك المخرمي وفوضها الى تلميذه العالم شيخ الاسلام الشيخ عبد القادر الكيلاني . وقد تصدر للتدريس في هذه المدرسة بعد وفاته أولاده وعلماء أعلام غيرهم منهم العلامة الشيخ عبد الله السويدي والعلامة أبو الثناء شهاب الدين الالوسي والعلامة خليل أفندي الرحبي والعلامة الشيخ عبد السلام الشهير بالشواف والعلامة السيد يوسف العطا والعلامة الشيخ قاسم القيسي والمدرسة باقية حتى هذا اليوم تزدهر بطلابها وقد خصص لها تخصيصات من غلة الاوقاف القادرية . أما المكتبة فانها عامرة تضم ما يقرب من سبعة آلاف مجلد بين مخطوط ومطبوع

٣١ — مدرسة جامع الخاتون : هذا الجامع يقع الآن في محلة الحيدر خانة وهو على اتصال بدار المعلمات الابتدائية اليوم (المكتب السلطاني في العهد العثماني) شيده (منورة خاتون) زوج سليمان باشا والي بغداد سنة ١٢٦٧ هـ وألحقت به مدرسة علمية يدرس فيها العلوم العقلية والنقلية وفي هذا الجامع حجر للطلبة في الطابق العلوي والسفلي . وقد أوقفت على لوازم الجامع والمدرسة بعض العقارات والمسقفات وقد تصدر للتدريس في هذه المدرسة علماء أعلام منهم العلامة الشيخ عبد الوهاب النائب .

٣٢ — مدرسة جامع خضر بك : يقع هذا الجامع في محلة قنبر علي ، شيده خضر بك سنة ١٢٠٠ هـ ، وشرط أن يكون فيه مصلى تقام فيه الصلوات الخمس والجمع والاعياد ومدرسة علمية يدرس فيها العلوم العقلية والنقلية . وقد أوقفت أملاك كثيرة على هذا الجامع والمدرسة ، وقد شرط خضر بك

صرف الغلة على مصالح الجامع والمدرسة وشرط أن تكون خزانة الكتب في داره وإذا احتاج الطلبة أو المدرس للمطالعة ترسل إليه أو إلى الطلبة ثم تعاد إلى البيت بعد المطالعة وشرط أن يمنح للمدرس (٣٠ أقبجة) في اليوم • ولكن الجامع والمدرسة استولى عليهما الخراب وبقي مدة تنوف على عشرين سنة فتصدى لتعيرها المتولي عبد الله بك بن علي بك بن محمد باشا آل عبد الجليل بك ، غير أن التدريس قد ألغي •

٣٣ — مدرسة مسجد الشيخ الانصاري : أو مسجد الحاج عبد الرزاق جلبي الخضيرى وهو مسجد صغير وفي سنة ١٣٠٣ هـ عمه الخراب وجده الحاج عبد الرزاق جلبي الخضيرى ، وقد شيد فيه طابقا ثانيا جعله مدرسة علمية يدرس فيها العلوم العقلية والنقلية • وكان قد عمر دكاكين في أطراف المسجد وجعل صرف غلتها عليه وعلى المدرسة •

٣٤ — مدرسة جامع حمام المالح : وهو من مساجد بغداد القديمة يقع في شرقي جامع الفضل ، فيه مدرسة علمية يدرس فيها العلوم العقلية والنقلية • جدد بناءه أحمد باشا بوشناق سنة ١٠٩٩ هـ وأوقف على لوازمه ولوازم مدرسته أوقافا وخصص (١٠ أقبجات) يوميا للمدرس ثم توقف التدريس في هذا الجامع لقلة رواده ثم أعيد إليه في سنة ١٣٢٧ هـ •

٣٥ — مدرسة مسجد السيف : يقع هذا المسجد على شاطئ دجلة الغربي من بغداد وهو من مساجد بغداد القديمة وفيه مصلى تقام فيه الصلوات الخمس وفيه مدرسة علمية لتدريس العلوم العقلية والنقلية ، وقد استولى عليه الخراب مدة طويلة إلى أن جدد عمارته داود باشا سنة ١٢٣٦ هـ وأوقف على مصالح المسجد ومدرسته أوقافا معلومة ، وآخر من درس في هذه المدرسة العلامة الشيخ عبد الحليم الحافى •

مدرسة الشيخ شكر في بغداد

ان المدارس المار ذكرها كانت خاصة بأبناء السنة في بغداد أما الجعفرية فلم يكن لهم فيها الا مدرسة واحدة هي (مدرسة الشيخ شكر) (١) .

كانت هذه المدرسة قد اتخذت لها احدى زوايا (جامع المصلوب) في محلة (صبايغ الآل) مكانا للتدريس وقد تولى الشيخ شكر بنفسه شؤون التدريس فيها ، حيث كان يدرس الطلاب دروس (المقدمات) التي تتألف من علوم النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والبلاغة وشيئا من العلوم الفقهية .

ومن تلامذته الذين درسوا في مدرسته هذه في أواخر القرن التاسع عشر السادة : المرحوم الحاج كاظم أبو التمن والرحوم الشيخ مهدي الازري والرحوم السيد حسين السيد عباس والرحوم الشيخ عباس حمدي ، والحاج عبد الرزاق الغبان ، وقد سافر هؤلاء بعد انتهاء دراستهم فيها الى النجف الاشراف حيث أكملوا تحصيلهم العالي فيها وأصبح بعضهم من المبرزين بين العلماء من رجال الدين والمجتهدين .

أما طلابه الذين لم يسافروا الى النجف الاشراف ، بل أكملوا تحصيلهم فيما بعد في بغداد فقد كان منهم الحاج محمد حسن كبة والرحوم السيد جعفر حمدي والسيد كاظم شكارا والسيد عباس شكارا والسيد عباس مهدي وعبد الحميد مهدي وغيرهم .

ومن الجدير بالذكر أنه على الرغم من قيام هذه المدرسة بتلقين الطلاب وتدريسهم العلوم العقلية والنقلية شأنها في ذلك شأن (المدارس) الخاصة بأبناء الطائفة السنية من حيث الطريقة والاسلوب ، على الرغم من ذلك فان (السلطة) لم تعترف بها ، ومعلوم أن عدم الاعتراف هذا يحرم طلابها من

١ - كان المرحوم الشيخ شكر عالما فاضلا ومحل اعتماد وثقة العلماء الجعفرية .

امتياز يتمتع به طلبة المدارس السنية ، ذاك هو اغفأؤهم من الخدمة العسكرية، وفي هذا الموضوع بالذات يتكشف لنا جانب من جوانب المحبة والاخوة بين أبناء البلد الواحد على الرغم من تفريق السلطة الحاكمة ورغبتها في توسيع شقة الخلاف بين الطائفتين . فقد حدثني الاستاذ السيد كاظم شكاره «٢» عن هذه الناحية قائلاً (ان أحدا من طلاب مدرسة الشيخ شكر لم يخدم العسكرية، بل أنهم جميعا قد نالوا امتياز الاعفاء ، لا لكونهم (طلاب علم) في مدرسته ، بل لانهم (طلاب علم) مسجلين في المدارس السنية المعترف بها لدى السلطة . فقد كان للشيخ شكر صلات ود وصداقة بينه وبين رجال الدين من علماء السنة الاعلام وبسبب هذه المودة تم تسجيل طلابه في مدارسهم تسجيلاً (سوريا) حتى اذا ما حلت (قرعة) أحدهم أخذ من المدرسة التي قد سجل اسمه فيها كتابا الى دائرة التجنيد يشير الى كونه طالبا فيها وعلى أساسه يحال للامتحان أمام اللجنة المختصة حيث يعفى بعدها من الخدمة العسكرية !!) .

أما مسألة اعتراف السلطة العثمانية آنذاك بالمدرسة فلها قصة طريفة تكشف لنا جانبا آخر من جوانب اضطهادها لابناء الطائفة الجعفرية ، أما هذه القصة فخلاصتها

ان أحد طلاب مدرسة الشيخ شكر وهو المدعو (سيد جعفر) قد رأى أن مُفاتيحة السلطة بمسألة الاعتراف بالمدرسة أمر ضروري ، اذ ليس هناك ما يدعو الى ممانعتها ، وحرمان طلبتها مما يتمتع به زملاؤهم في مدارس المذاهب الاسلامية الاخرى ، من امتيازات وحقوق ، ولذلك فاتح الشيخ شكر بالامر وحرر (مضبطة) لترفع الى ادارة الاوقاف لاختذ موافقتها بهذا الاعتراف . ثم أنه سلم هذه المضبطة الى الشيخ شكر نفسه ليؤيدها له وجهاء الطائفة ،

٢ - أحد طلاب الشيخ شكر ومدير حسابات المدارس الجعفرية في الوقت الحاضر ..

فلما رآها الوجيه (عبد المجيد المختار) « ٢ » وهو الذي سعى لبناء جامع المصلوب ، بادر بتمزيقها ولم يقبل بالفكرة لا خوفا مما يترتب على ذلك الاعتراف من تدخل ، وانما خوفا من أن يكون ذلك الاعتراف سببا في اخراج (جامع المصلوب) نفسه من أيدي الشيعة ! ولو أن الامر انتهى عند هذا الحد لهان ، ولكن ذلك الخوف حمل (المختار) على أن يسد أبواب الجامع بوجه الطلاب ويمنع الشيخ شكر من الاستمرار بالتدريس فيه . فلم يجد الشيخ بدا من الانتقال الى مكان آخر في نفس المحلة حيث اتخذ من (بئراني) دار (السيد حسين الحيدري) أو ما يدعي آنذاك بـ (الديوة خانة) مدرسة له . وكان عدد طلابه زهاء الخمسين طالبا يأتون يوميا من جانب الكرخ والكرادة والمحلات المجاورة الاخرى .

وقد ظلت هذه المدرسة مشارة على عملها في تدريس العلوم وبث الثقافة حتى عام ١٩٠٨ ، اذ تم في ذلك التاريخ تأسيس مكتب (الترقّي الجعفري العثماني) حيث تولى الشيخ شكر نفسه شؤون ادارته والتدريس فيه .



مدارس الموصل

كانت ولاية الموصل هي الاخرى عرضة للحروب والغزوات في ذلك العهد، فانحطت فيها العلوم لاسيما في عهد الدولة الايلخانية والدول التركمانية ثم في زمن سيطرة الاعجام عليها ، ولما استولت الدولة العثمانية على الموصل وفوضت حكمها غالبا الى الوزراء الجليليين، أحدث هؤلاء الوزراء نهضة علمية بما بذلوه من المساعي الحثيثة في سبيل نشر الثقافة بالمدارس التي شادوها «١» .

ومن يطلع على كتاب (مخطوطات الموصل) لمؤلفه الدكتور داود الجلبي المطبوع سنة ١٩٢٧ م ، يجد خلاصة وافية عن المدارس العلمية التي كانت في الموصل في العهد العثماني . ويرى أن هذه المدارس كثيرها من المدارس الاسلامية أما أن تكون ملحقة بالمساجد والجوامع أو في دور خاصة . وان الكثير منها كان قد شيده الولاة والامراء وبعض ذوي الخير ووقفوا عليها العقارات الكثيرة .

وقد اشتهرت من هذه المدارس . مدرسة الباشا ، ومدرسة الرابعة ، ومدرسة النعمانية ، ومدرسة يحيى باشا . واشتهر من المعلمين في هذه المدارس أكابر العلماء منهم الشيخ يوسف العمري والشيخ قاسم المعروف بابن الخباز والشيخ علي محضر باشي ، والشيخ المفتي عبد الرحمن أفندي الكلاك والملا محمد أمين أفندي ابن الملا عبيدة وغيرهم .

ومن يطالع سجلات مديرية الاوقاف العامة يجد أن هناك نحو ثلاثين مدرسة دينية كانت ولا تزال مرتبطة بها . تجري فيها تدريسات العلوم العقلية والنقلية «٢» .

أما أهم مدارس الموصل التي كانت موجودة في العهد الاخير من الحكم العثماني فهي :

١ - تاريخ الموصل ج ١ القس سليمان الصائغ . مصر . ١٩٢٣ .

٢ - معجم العراق ج ١ للمؤلف .

المحلة	اسم المدرسة
محلة الشهبان	١ - مدرسة ابن يونس النحوي
محلة السراي	٢ - » الاحمدية
سوق باب الجسر	٣ - » جامع الاغوات
سوق باب الطوب	٤ - » جامع باب الطوب
سوق السراجين	٥ - » جامع الباشا
راس الكور	٦ - » جامع بكر أفندي
جمشيد	٧ - » جامع جمشيد
الباب الجديد	٨ - » جامع الجويجاتي
قرب سوق الميدان	٩ - » جامع حمو القدو
حوش الخان	١٠ - » جامع الخاتون
خزام	١١ - » جامع خزام
راس الكور	١٢ - » جامع عبد الله بك
راس الحمام	١٣ - » جامع العراقة
الشيخ محمد	١٤ - » جامع العمريّة
المحمودين	١٥ - » جامع المحمودين
باب المسجد	١٦ - » جامع الحاج حسين بك
باب النبي	١٧ - » جامع الجبار
القنطرة	١٨ - » جامع الحجيات
الرابعة	١٩ - » جامع الحسينية
الامام علي	٢٠ - » الخياط
الحانوتية	٢١ - » ديوان أفنديسي
الشيخ محمد	٢٢ - » الرضواني
الامام عون الدين	٢٣ - مدرسة سعد الدين

الامام ابراهيم	عبد الرحمن جلبي الصائغ	» — ٢٤
الميدان	الطغرائسي	» — ٢٥
باب السراي	العبدالية	» — ٢٦
الرابعة	العثمانية	» — ٢٧
قبالة جامع الرابعة	فتحية خاتون	» — ٢٨
باب البيض	المحمدية	» — ٢٩
باب النبي	محمود بك محضر باشي	» — ٣٠
سوق الصاغة	مسجد بنات الحسن	» — ٣١
باب السراي	الحاج شريف	» — ٣٢
جامع جمشيد	السيلخانة	» — ٣٣
باب النبي	الشالجي	» — ٣٤
أبي العلا	الشيخ أبي العلا	» — ٣٥
الشيخ أبي العلا	عثمان الخطيب	» — ٣٦
السرچخانه	النعمانية	» — ٣٧
السرچخانه	يحي باشا	» — ٣٨
باب المسجد	منصور الحلاج	» — ٣٩
عمو البقال	عمو البقال	» — ٤٠
جامع النبي جرجيس	النبي جرجيس	» — ٤١
مسجد النبي دانيال	النبي دانيال	» — ٤٢
جامع النبي شيت	النبي شيت	» — ٤٣
عمو البقال	المدرس	» — ٤٤

وهناك غير هذه المدارس الدينية حوالي (عشرين مدرسة) دينية منتشرة في الاولوية والاقضية التي كانت تابعة لولاية الموصل كالسليمانية وأربيل وكركوك .

مدارس البصرة

كانت ولاية البصرة أيام العهد العثماني ، من بدايته حتى نهايته عام ١٩١٤ مسرحا للحروب والمعارك وغزوات السلب والنهب . وكانت في حالتها القوضى والهدوء أبعد من أن تفكر في شؤون العلم والثقافة ، لان حكامها على اختلاف أجناسهم وعناصرهم كانوا في شغل شاغل عن سلوك مثل هذا الطريق . فقد تعرضت البصرة لهجمات الايرانيين والعثمانيين وهجمات المنتفكين واستيلائهم عليها ثم دخولها في قبضة الفرس ثانية والمنتفكين مرة اخرى وحوزة العثمانيين مرة ثانية ثم استيلاء كريم خان الزندي عليها وتعرضها مرارا وتكرارا لغارات المنتفكين وأمير نجد وأمير خزاة وبني كعب . الى أن استقر الامر في حكمها نهائيا للعثمانيين حتى بداية الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ .

ولم نجد واليا من ولايتها قام بمثل ما قام به ولاية بغداد أو الموصل الا واليها الوزير (عبد الرحمن باشا سنة ١٠٩٤ هـ) اذ قام ببناء المساجد وأحيا بعض المدارس وأسس المدرسة المعروفة (بالرحمانية) نسبة اليه «١» . ولدي الرجوع الى مجموعة المدارس الدينية الملحقة بالمعابد في العراق والتي تشرف عليها مديرية الاوقاف العامة وجدنا أن هناك مدرستين آخرين هما (مدرسة الحلية) و (مدرسة الرحمانية) أما الزبير فقد كان فيها (٨) مدارس دينية «٢» ومدرستان في مدينة العمارة ، احدهما في الجامع الكبير والاخرى في جامع الحاج سالم وهناك مدرسة ثالثة في جامع قلعة صالح «٣» .

المدارس والاوقاف :

ان تاريخ التعليم الاسلامي يحدثنا أن التعليم كان يجري قبل (بيت الحكمة) في أمكنة غير مخصصة له ، اذ كان يلتقي العلماء بالطلاب في المساجد، كما كان الراغبون في العلم يسعون الى دور الشيوخ للسمع منهم فيها . وهكذا

١ — مختصر تاريخ البصرة علي ظريف الاعظمي بغداد ١٩٢٧ .

٢ — سائنة البصرة لسنة ١٣٠٨ هـ .

٣ — معجم العراق ج ١ للمؤلف سنة ١٩٥٣ .

ومن أجل هذا لم تكن هناك نفقات معينة تبذل في سبيل نشر العلم «٤» . ومع مساعدة الخلفاء والامراء والاعيان للعلم والعلماء وأمر التعليم ، فإن تلك المساعدة لم تكن منظمة قائمة على خطة أو اساس حتى زمن نظام الملك الذي وضع أساسا قانونيا لمالية المدارس ورتب ميزانيتها ، فبعد أن كان المدرس يدرس مجانا أو في مقابل أجر يتقاضاه من التلاميذ أصبح يأخذ راتبا في كل شهر . وبعد أن طلب الناس العلم في الجوامع أصبحوا يدرسون في المدارس «٥» .

وفي العراق عندما أسس نظام الملك (المدرسة النظامية) وصار الناس يشعرون بصبغة حكومية ، وأكبروا التدخل في حرية العلم ، سارعوا من جانبهم بالقيام بأمر خيري وهو الاكثار من المدارس ، اذ تسابق الناس في تكثيرها ، وتقدم أهل الخير لهذه المشاريع باعتبارها معاهد خيرية وراحوا يوقفون عليها العقارات والاملاك المختلفة ، ما دامت تستهدف عين الاهداف ، من تلقين العبادة والاتصال بالعامّة وتعليمهم امور دينهم وتلقينهم الصلاح «٦» . فلما تعددت هذه المؤسسات وكثرت الموقوفات عليها ، على مر الزمن كان لابد من مراقبتها فصار من واجب (الحسبة) القيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والنظر في أعمال المتولين وتقصيراتهم والمدرسين وواجباتهم الخ . ومن تاريخ الحسبة وتاريخ منصب القضاة يرجع تكثون مراقبة الاعمال الخيرية . حتى اذا حل عهد المغول وتشكلت في العراق (ادارة الاوقاف) راحت تصدر القرامين بالتدريس والامامة وغير ذلك . وعلى الرغم من الفترة التي تلت ذلك يمكن القول أن الدولة العثمانية لم تتعرض في أيامها بالموقوفات ولا بالاوقاف ذاتها لذلك كانت تدر الخيرات على المدارس والمساجد والتكايا . وأكثر

٤ - تاريخ التربية الاسلامية المصدر السابق .

٥ - التربية عند العرب الدكتور طوطح .

٦ - الدليل لاصلاح الاوقاف المصدر السابق .

المؤسسات الخيرية الجديدة كما مر بنا كانت أيام المماليك • غير أن اضطراب أمر الدولة العثمانية في عهدها الاخير قد أدى الى اعتلال أمر الاوقاف والتعليم في تلك المدارس • ولما كانت (ادارة الاوقاف) قد أصبحت مسؤولة عن ادارتها وعن تنفيذ شروط الواقفين، فقد ترتب عليها الاهتمام بأمر التدريس والمدرسين، ولهذا كان (نظام توجيه الجهات) الذي صدر عام ١٩١٢ م يتضمن ما يلي :

١ - يطلق اسم الجهات على خدمات المؤسسات الوقفية كالتدريس والخطابة والامامة والقيمية ومحافظة الكتب والتولية •

٢ - الجهات قسمان : - الجهات التي يتوقف القيام بوظائفها على تحصيل العلم وتسمى الجهات العلمية ، كالتدريس والخطابة والامامة ومحافظة الكتب والجباية •

والجهات التي تتعلق بالعمل والصناعة ولا يحتاج فيها الى تحصيل علم وتسمى الجهات البدنية كالقيمية والفراشية وخدمة الضرائب •

٣ - توجه الجهات المشروطة وفقا لاصولها الشرعية الى المشروطة له ، الذي تتحقق كفاءته •

٤ - يجب أن يجري امتحان الجهات العلمية في استانبول من قبل شورى الاوقاف باشتراك ذاتين يعينهما مقام المشيخة الاسلامية • وفي الخارج من قبل هيئة مؤلفة من خمس ذوات هم (حاكم الشرع • مفتي البلد • ثلاثة من العلماء) ويرأسها حاكم الشرع وذلك بمحضر من مأمور الوقف • وينتخب العلماء الذين يؤلفون الهيئة الامتحانية في الخارج حاكم الشرع والمفتي ومدير الوقف أو مأموره •

٥ - يعين لامتحان التدريس مقدار مناسب لا يقل عن عشرة أسطر من كتاب (المطول) ويطلب من المستحن أن يضع عنائم الاعراب عليها ، وفقا لقواعد اللغة العربية ، ويحرر مضامينها ويترجمها ويصورها • وكذلك يستنبط من هذه العبارات سؤالان من كل علم من علوم الصرف والنحو والمنطق والبيان والمعاني واصول الفقه وعلم الكلام وتلقى عليه •

٦ - يجب أن يرجح المجاز على غيره عند حصول التساوي كفاءة في
مسابقة التدريس «^٨» .

لقد اقتطفنا هذه المواد من نظام توجيه الجهات العثماني ، وهي توضح
للقارئ الطريقة الواجبة الاتباع لانتخاب المدرسين آنذاك للتدريس في
المدارس العلمية ، وتبين كذلك الهيئة الممتحنة وسهولة المعلومات المطلوبة من
يود الاشتراك في هذه الامتحانات .

ومهما يكن من شيء فإن عدد المدارس الدينية الملحقة بالمعابد في العراق
والتي تُشرف عليها ادارة الاوقاف ، حوالي (١٣٣) مدرسة انتشرت في كافة
أرجاء العراق على الصورة الآتية «^٩» : -

المدينة	عدد المدارس	المدينة	عدد المدارس
بغداد	٢٥	الزبير	١
سامراء	١	العمارة	٢
الدور	١	قلعة صالح	١
البصرة	١	الموصل	٢٥
عقرة	١	بيارة	١
دهوك	١	مخمور	١
زاخو	١	الرمادي	١
العمادية	٣	هيت	١
كركوك	٢٠	عانة	١
ألتون كوبري	١	راوة	١
كفري	١	الفلوجة	١
طوز خرماتو	١	بعقوبة	١

٨ - الدليل لاصلاح الاوقاف المصدر السابق .

٩ - معجم العراق ج ١ للمؤلف .

٢	حليجة	٨	كويسنجق
١	بنجوين	١	المنصورية
١	خائقين	٥	أرييل
١٣٣	المجموع	٢١	السليمانية

أساتذة المدارس

لقد اشترطوا منذ زمن مبكر جدا في أساتذة المدارس شروطا يمكن اجمالها فيما يلي «١» :

- ١ — أن لا ينتصب أحد لهذا المنصب العلمي الخطير الا بعد أن يستكمل عدته ويشهد له بذلك أفاضل أساتذته وكبار علماء عصره أو بلدته على الاقل .
- ٢ — أن يتفرغ للتعليم ، ولا يشرك بعمله الشريف هذا عملا آخر .
- ٣ — أن يستعلم عن أسماء طلبته وحاضري درسه وأنسابهم ومواطنهم وأحوالهم لما في ذلك من تقوية الصلات بينه وبينهم ، والتعرف الى ماضيهم .
- ٤ — أن لا يمتنع عن تعليم أحد منهم علما أو بحثا اذا أنس منه الفهم .
- ٥ — أن يطرح على التلاميذ أسئلة كثيرة يفهم منها مقدار ما استوعبوه من دروسه فان وجدهم قد فهموا منه أثنى على البارع منهم وشجع المتوسط ، فان وجدهم لم يستفيدوا منه أعاد الكرة .
- ٦ — أن يختبر مقدار فهم تلاميذه ، فيوصي كل واحد منهم بقراءة الكتب التي تلائم مستواه الفكري ومقدار علمه .
- ٧ — أن يصون مجالس درسه عن الفوغاء ، واللغو ، وسوء الادب ، والمباحثة .

١ — راجع في هذا الباب كتاب ، تاريخ التربية الاسلامية ، والتعليم في رأي القابسي ، والتربية عند العرب والتعليم في الاسلام .

- ٨ — أن يراعي مصلحة طلابه في تعيين مواعيد الدروس وساعاتها ، وأن لا يدعي علم ما يجهل • فإذا سأله تلاميذه عن شيء يجهله قال (لا أعلم) •
- ٩ — أن يهتم مع طلابه بالدروس المهمة فيقدم ما تكثر حاجتهم اليه على غيره • وأن يكون مطلق الحرية في توجيه الطلاب بالشكل الذي يريده ما لم يخالف الشريعة والتقاليد الاسلامية •
- ١٠ — أن يكون مهذباً متديناً متحلياً بالاخلاق النبيلة كاظماً لغيظه ، حليماً وقوراً متبداً رفيقاً بطلابه • وأن يكون متقيداً بشروط واقف المدرسة منفذاً لرغباته ، وأن يكون حريصاً على حفظ أثاث المدرسة وكتبها وأدواتها وأن يوصي الطلاب بذلك •
- وقد كانت هذه الشروط متوافرة في معظم المدرسين الذين مارسوا التدريس في مدارس بغداد والموصل ولا سيما في العهود العثمانية المتأخرة • غير ان المدارس المنتشرة في بقية المدن العراقية لم يكن لها نصيب في تهيئة أمثال أولئك المدرسين •
- ومهما يكن من أمر فان اضطراب الاحوال وانشغال الدولة العثمانية بالحروب لا سيما في العهد الاخير أدى الى اغفال شؤون المدارس ، اذ باتت جهة التدريس توجه كما رأينا في (نظام توجيه الجهات) الى كل من يستطيع الاجابة عن الاسئلة التي توجه اليه مما لا يقل عن عشرة أسطر من كتاب (المطول) • ويضع علائهم الاعراب على ما يقرأ منها الى آخر ما جاء في المادة المنصوص عليها في النظام • وتمتحنه هيئة مؤلفة من (حاكم الشرع • والمفتي • ومأمور الوقف) وبإمكان القارئ أن يتلمس مقدار اهتمام هذه الهيئة بالامتحان وبالعلم والثقافة بعد الاطلاع على هاتين النادرتين •

النادرة الاولى (٢)

يحكى أن (شيخ الاسلام) كان مديناً لشخص يقال أو غيره من أرباب

الحرف ولم يكن يريد وفاء دينه ، وهذا كل وقت يطالبه • فقال له الشيخ
 — أتريد أن أعينك قاضيا في أحد الاقضية ؟ فقال له البقال ، ومن أين لي
 علم لكي أدير القضاء ؟ فأجابه الشيخ :
 — القضاء ليس بشيء ، واني أعلمك كلمة تقولها لمن يأتي في خصومة •
 فقال ما هي ؟ قال الشيخ
 — قل لمن يأتيك (شاهدك زوجاك !! هل لديك بينة ؟) !!
 فصار هذا بعد أن تولى القضاء يقول لكل من يأتيه هذه الكلمات !!

النادرة الثانية (٣)

يروى أن قاضي الشرطة الذي انتهت مدته ، رغب في إعادة تعيينه في
 (سوق الشيوخ) أو (الحي) فأبرق البرقية التالية الى القاضي ببغداد يلتمس
 منه ترشيحه لاحد هذين المنصبين قائلا (ان سقتم الشيخ الى السوق فممنون
 بخمسين ! وان أودعتم الميت الى الحي فممنون بستين !!) وأخيرا عين في الحي
 بعد أن دفع الى قاضي بغداد ستين ليرة ذهبا ؟!
 ان هاتين النادرتين ، وغيرهما كثير ، تظهران لنا حقيقة الوضع العلمي في
 تلك الايام ، أما بعد صدور التنظيمات الخيرية والمباشرة فيما بعد بتأسيس
 (المكاتب) على النهج الغربي فقد أهملت المدارس العلمية وزادت عناية الناس
 بهذه المدارس الجديدة بعد اعلان الدستور عام ١٩٠٨ • فحدث كما يقول
 الاستاذ العزاوي (تيار النفرة من جهة والجهل من جهة اخرى) (٤) •

العلماء والمدرسون الاعلام

قلنا أن مدارس بغداد ومجالسها العلمية ظلت مزدهرة على الاكثر ،
 وكانت الثقافة فيها ماضية على نهجها العلمي الادبي الاسلامي ، وكلها كما رأينا
 راحت تتعثر في العهود الاخيرة • ولما كانت هي المخرج الوحيد للعلماء والادباء

٣ — في غمرة النضال ص ٥٥ — سليمان فيضى بغداد ١٩٥٢ •

٤ — العراق بين احتلالين ج ٨ • بغداد ١٩٥٦ •

والموظفين والتجار وسائر الصنوف ، لخلو البلاد من معاهد العلوم الاخرى ، فقد ظلت هذه مرجعا لتدريس العلوم العقلية والنقلية . وقد تصدر للتدريس فيها أكابر العلماء وأساتذة العلوم وأقطاب الشريعة ، يلقون فيها دروسا خاصة لطلابهم ودروسا عامة للمسلمين كافة « ١ » .

ونظرا لطول العهد العثماني في العراق فاننا سنحاول ذكر أكابر العلماء الذين كان لهم الفضل في نشر العلم والثقافة في بغداد وغيرها من المدن العراقية ابتداء من عهد المماليك أي عام ١٧٤٩ م وهم :

- ١ — آل السويدي وأولهم الشيخ عبد الله السويدي وأولاده وأحفاده
 - ٢ — آل الحيدري صبغة الله الحيدري وأولاده وأحفاده
 - ٣ — آل الراوي — السيد عبد الله واخوه عبد الرحمن وعبد الفتاح وابنه اسماعيل والسيد عمر
 - ٤ — آل الالوسي — ومنهم السيد عبد الله والد السيد الاستاذ أبي الثناء
 - ٥ — آل الواعظ — ومنهم السيد عبد الفتاح
 - ٦ — آل الشواف — ومنهم عبد العزيز الشواف استاذ أبي الثناء
 - ٧ — آل المدرس
 - ٨ — أحمد الزندي
 - ٩ — علي علاء الدين الموصللي
- أما علماء الحقبة التي تلت عهد المماليك في العراق والتي تبتدىء سنة ١٨٣١ م فمنهم :

- ١ — آل الطبقجلي — ومنهم السيد محمد سعيد المفتي وأسعد ومحمد
- ٢ — عبد الغني بن محمد جميل بن عبد الجليل المفتي
- ٣ — أبو الثناء الالوسي
- ٤ — محمد أمين الزند

٥ — محمد فيضي الزهاوي — وآل الزهاوي أولاده وأحفاده

٦ — آل الحيدري — منهم صبغة الله الحيدري الثاني وابنه ابراهيم
فصيح الحيدري •

٧ — عيسى صفاء الدين البندنجي

٨ — آل الشواف — ومنهم عبد الرزاق الشواف وعبد العزيز الشواف
الذي كان في عهد المماليك •

٩ — عبد الفتاح الشواف — من فرع آخر من آل الشواف وأخوه
العلامة عبد السلام الشواف •

١٠ — آل الواعظ — وهم آل الادهبي منهم محمد أمين الواعظ •

١١ — آل الراوي — اشتهر منهم في هذا العهد السيد محمد بن السيد
حسين آل عبد اللطيف الراوي •

١٢ — آل الروزياني — منهم الروزياني وابنه عبد الرحمن الحاج
رسول الكردي •

١٤ — السيد أحمد الموالي •

أما العلماء والاسر العلمية التي اشتهرت في العهد العثماني الاخير فمنهم :

١ — الشيخ داود النقشبندي وأولاده •

٢ — ابراهيم فصيح الحيدري •

٣ — الشيخ طه السنوي •

٤ — الاستاذ محمد فيضي الزهاوي وآل الزهاوي جماعة
منهم محمد سعيد الزهاوي وأمجد الزهاوي •

٥ — الاستاذ نعمان خير الدين الالوسي وآل الالوسي كثيرون منهم
الاستاذ السيد أحمد شاکر •

٦ — أحمد بك الشاوي •

٧ — الحاج أحمد السمين

٨ — حسين البيشدري •

- ٩ — السيد ثابت الالوسي •
- ١٠ — السيد جعفر الواعظ •
- ١١ — السيد عبد اللطيف الراوي •
- ١٢ — نجم الدين النائب
- ١٣ — مصطفى وفي من آل الجميل •
- ١٤ — عبد الوهاب نيازي •
- ١٥ — الشيخ طه الشواف •
- ١٦ — السيد مصطفى الواعظ •

أما العلماء الذين بقوا أحياء الى ما بعد احتلال بغداد أو الى ما بعد الهدنة عام ١٩١٨ فهم :

- ١ — الاستاذ محمود شكري الالوسي •
- ٢ — السيد علي علاء الدين الالوسي •
- ٣ — عبد الوهاب النائب •
- ٤ — عبد الرحمن القرداغي «٢» •

علماء الموصل ومدرسوها

أما العلماء الذين نبغوا في الموصل لا سيما أيام ولاية الجليليين وبعدهم ممن تصدر للتدريس فنذكر منهم «٣» :

- ١ — عبد الله أفندي الدمولوجي
- ٢ — عبد الله أفندي العمري
- ٣ — محمد أمين أفندي الخطيب
- ٤ — عبد الباقي الغوري العمري

٢ — لقد استخرجنا هذه الاسماء اللامعة من كتاب العراق بين احتلالين للاستاذ العزاوي •

٣ — تاريخ الموصل — القس سليمان صائغ مصر ١٩٢٣ •
وأخذنا هذه الاسماء من رسالة بعث بها اليها الاستاذ الفاضل المرحوم صديق الدمولوجي بتاريخ ٦-٩-١٩٥٣ جوابا على رسالة منا حول هذا الموضوع •

- ٥ — الحاج محمد سعيد الجوادي
٦ — الشيخ يوسف العمري
٧ — الشيخ قاسم الخباز
٨ — الشيخ علي محضر باشي
٩ — عبد الرحمن أفندي الكلاك
١٠ — الشيخ محمد سعيد الغلامي
١١ — يوسف أفندي الرمضاني
١٢ — سليمان بك الجليلي
١٣ — محمد أفندي الصوفي
١٤ — عثمان أفندي الديوهجي
١٥ — عبد الله أفندي فيضي
١٦ — محمد أفندي الفخري
١٧ — الشيخ طاهر أفندي
١٨ — محمد أفندي عبد الرحيم
١٩ — عبد الرحمن الخباز
٢٠ — الحاج محمد الرضواني
٢١ — السيد حبيب العبيدي

هذا ولم نستطع العثور على أسماء العلماء الذين تصدروا للتدريس في مدارس البصرة ومع هذا فان عددهم ان وجدوا فلا يتجاوز أصابع اليد الواحدة بعد أن وقفنا على الحالة العلمية فيها .

مناهج الدراسة في المدارس

يجدر بنا ونحن في صدد بحث هذا الموضوع في العراق ، الوقوف على رأي فلاسفة الاسلام من الذين عَنُوا بمثل هذه الابحاث . ولما كان العلامة ابن خلدون قد كتب في مقدمته فصلا متعا عن العلوم ومناهج دراستها فقد رأينا من المفيد جدا أن نُثَبِّت للقارئ أدناه ما يقول . . .

« اعلم أن العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولها في الامصار تحصيلًا وتعليمًا هي على صنفين :

١ — صنف طبيعي ، للانسان يهتدي اليه بفكره وعقله .

٢ — وصنف ثقلي يأخذه عمش وضعه .

والصنف الاول يضم العلوم الحكيمة الفلسفية وهي التي يمكن أن يقف عليها الانسان بطبيعة فكره ويهتدي بمداركة البشرية الى موضوعاتها ووسائلها وانماء براهينها ووجوه تعليمها حتى يقفه نظره ويحثه على الصواب

من الخطأ فيها من حيث هو انسان ذو فكر .
والثاني : هي العلوم العقلية الوضعية وكلها مستندة الى الخبر عن
الواضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل الا في الحاق الفروع من مسائلها
بالاصول . وأصل هذه العلوم العقلية كلها هي (الشرعيات) من الكتاب
والسنة التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله وما يتعلق بذلك من العلوم التي
تهيؤها للافادة . ثم يستتبع ذلك علوم اللسان العربي الذي هو لسان الملة وبه
نزل القرآن .

وأصناف هذه العلوم العقلية كثيرة لان المكلف يجب عليه أن يعرف أحكام
الله تعالى ، المفروضة عليه وعلى أبناء جنسه ، وهي مأخوذة من الكتاب والسنة
والنص . أو بالاجماع أو بالالحاق فلا بد من النظر بالكتاب ببيان ألفاظه أولاً
وهذا هو علم (التفسير) ثم باسناد نقله وروايته الى النبي (ص) الذي جاء به
من عند الله واختلاف روايات القراءة في قراءاته وهذا هو علم (القراءات) .
ثم باسناد السنة الى صاحبها والكلام في الرواة والناقلين لها ومعرفة أحوالهم
وعدااتهم ليقع الوثوق بأخبارهم بعلم ما يجب العمل بمقتضاه من ذلك وهذه
هي (علوم الحديث) . ثم لابد من استنباط هذه الاحكام من اصولها من
وجه قانوني يفيد العلم بكيفية هذا الاستنباط وهذا هو علم (اصول الفقه) .
وبعد هذا تحصل الثمرة بمعرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين وهذا
هو (الفقه) . ثم أن التكاليف منها ما هو بدني ومنها ما هو قلبي وهو المختص
بالايمان وما يجب أن يعتقد مما لا يعتقد ، وهذه هي (العقائد الايمانية)
والحجاج عن هذه بالدلة العقلية وهذا هو (علم الكلام) . ثم النظر في
القرآن والحديث لا بد أن تتقدمه العلوم اللسانية لانه متوقف عليها وهي
أصناف منها ، (علم اللغة) و (علم النحو) و (علم البيان) و (علم الآداب) .
هذه هي العلوم العقلية كلها مختصة بالملة الاسلامية وأهلها .
أما العلوم العقلية : — التي هي طبيعية للانسان ، من حيث أنه ذو فكر ،

غير مختصة بملة ، بل يوجه النظر فيها الى أهل الملل كلهم ، وهذه العلوم هي —
علوم الفلسفة والحكمة وهذه تشتمل على أربعة علوم هي :

١ — المنطق

٢ — العلم الطبيعي

٣ — العلم الآلهي

٤ — التعاليم — وهذا يشتمل على أربعة علوم أولها (علم الهندسة)
وثانيها (علم الارتماطيقى) وثالثها (علم الموسيقى) ورابعها (علم الهيئة) .
ولكل واحد منها فروع تتفرع عنه فمن فروع الطبيعيات (الطب) ومن
فروع علم العدد (الحساب) والفرائض والمعاملات . ومن فروع الهيئة
(الازياج) وهي قوانين لحساب حركات الكواكب « ١ » .

وعلى هذا الاساس كان المسلمون يسرون سيرة طبيعية حيث اتخذوا
لهذا الدين الحنيف مدارس ومعاهد علمية عالية يتلقون فيها علوم الشريعة وفقه
اللغة وفنون العقل والنقل ، حتى اذا دخل العراق فى حوزة الدولة العثمانية
سارع السلاطين والامراء والولاء بانشاء المدارس فيه ، لم تكن مناهجها لتختلف
فى جوهرها عن مناهج الدراسة فى العصور الاسلامية الاولى الا قليلا .

طريقة التدريس

وقد رسم الاستاذ الكبير محمد بهجت الاثرى صورة واضحة لمنهج
الدراسة فى المدارس العلمية فى العراق فى العهد العثماني وكيفية الدراسة فيها
حيث يقول « ٢ » . . .

كانت العادة فى المدارس الاسلامية — التى تدرس فيها علوم الدين
واللسان — أن يبدأ الناشئ بعد أن يشدو القرآن الكريم ، ويتعلم الكتابة فى
الكتاتيب ، بدراسة النحو والصرف . فأول ما يتناوله من النحو (متن

١ — مقدمة بن خلدون .

٢ — اعلام العراق محمد بهجت الاثرى القاهرة ١٣٤٥ هـ .

الاجرومية) أو (شرح الكفراوي) على الاجرومية • ثم شرح (الشيخ خالد) عليها بحاشية (الطار) • ثم الازهرية بحاشيتها • ثم شرح (القطر) بحاشية السجاعي ثم (الشدور) ثم (الفاكهي) ثم شرح (السيوطي) على ألفية بن مالك • ثم شرح (الاشموني) عليها بحاشية (الصبان) ثم (مغني اللبيب) لابن هشام •

ومن كتب الصرف : الامثلة والبناء والمراح والغزي والمقصود والشافية وما عليها من شروح وحواشي وتقارير • ويحفظ من النحو (الاجرومية) و (متن القطر) و (ألفية بن مالك) •

ومن الصرف الامثلة والبناء والمراح • وان شاء حفظ متن الشافية أيضا حتى اذا حصل على ملكة ما ، وميز بين المرفوع والمنصوب والمجرور ، كلف قراءة شيء من (الفقه) فان كان (حنفيا) قرأ (نور الايضاح) ثم شرحه (مراقي الفلاح) بحاشية الطحاوي ، فسائر كتب المذهب (كملتقى الابحر) و (الدرر على الغرر) و (الدرر) بحاشية بن عابدين •

وان كان شافعيا قرأ ، (متن القاضي أبي شجاع) ثم شرح (ابن قاسم الغزي) عليه بحاشية (البرماوي) ثم شرح (الخطيب الشرييني) عليه ثم شرح (التحرير) ثم شرح (النهج) •

وقد يبدأ بقراءة (الفقه) و (النحو) معا قبل أن يقوم لسانه • ثم يقرأ (فرق المنطق) (فالبلاغة) (فالعقائد) (فاصول الفقه) ويعني بهذه عنايته بالصرف والنحو • فيقرأ من الوضع (عصام الدين) ومن المنطق (اليساغوجي) و (التهذيب) و (الشمسية) وما عليها من شروح وتقارير • ومن البلاغة (شرح عصام) على متن (السمرقندية) • ثم شرح (سعد الدين التفتازاني) على تلخيص (الخطيب القزويني) • ومن العقائد (النسفية) وشرحها • ومن أصول الفقه (الشاشي) و (شرح المحلي) على (جمع الجوامع) بحاشية (البناني) •

وقد يقرأ من الحديث (شرح الاربعين) ومن التفسير طرفا من (تفسير

البيضاوي (أو (الكشاف) للزمخشري • وإذا سميت بالطالب الهمة ، شدا
متنا في (العروض والقوافي) ومتنا في (الحساب) وكتيبا في (الهيئة القديمة)
وكتيبا في (الحكمة) وحفظ بضع مقامات من (مقامات الحريري) •



الدراسة في النجف الاشرف

كانت المدارس التي ذكرناها في الصفحات المتقدمة ، خاصة بتعليم أبناء السنة أما المدارس الخاصة بتعليم أبناء الجعفرية في تلك العهود ، فقد تنقلت خلالها من مدينة الى اخرى تبعا لانتقال (دار العلم) وعواصم التدريس عندهم . ولقد انحصرت الدراسة ابان العهد العثماني بين مدن النجف الاشرف والحلة وكربلاء بالدرجة الاولى في حين قامت مدارس دينية اخرى في مدينتي الكاظمية وسامراء اقتضاها استقرار بعض العلماء من المجتهدين الاعلام فيهما واتخاذهما دارا للتدريس .

ويرجع تاريخ اتخاذ النجف دارا للعلم وعاصمة للتدريس على المذهب الجعفري كما رأينا الى عام ٤٤٨ هـ ، عندما هاجر اليها من بغداد شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي ، هربا من اضطهاد السلاجقة . وقد ظلت مدينة النجف تؤدي واجبها العلمي حتى قامت مقامها مدينة (الحلة) عاصمة (آل مزيد) « ١ » . اذ أصبحت مقرا لأكابر علماء الشيعة الامامية زهاء الاربعة قرون حيث حلت محلها فيما بعد مدينة (كربلا) . ولكنه ما أن حل القرن الثالث عشر الهجري ، حتى انتقل التدريس منها ليعود ثانية الى مدينة النجف الاشرف في عهد العلامة السيد محمد مهدي بحر العلوم الطباطبائي « ٢ » . وهكذا عادت النجف مرجعا للتقليد وعاصمة للتدريس ، يهاجر اليها الراغبون في تحصيل العلم والاجتهاد ، من شتى أقطار العالم الاسلامي . ولقد بلغ عدد (الطلبة) الذين كانوا يدرسون في مدارسها في أواخر العهد العثماني زهاء العشرة الاف طالب وهم ما بين العراقي والسوري واللبناني والبحريني

١ - آل مزيد : امراء الحلة الذين يرجعون بنسبهم الى عشيرة بني اسد ومؤسس امارتهم هذه هو أبو الحسن علي بن مزيد الاسدي أسسها سنة ٤٠٣ هـ ودامت حتى عام ٥٤٥ هـ وكان آخر امرائها هو علي بن دبيس بن صدقة .

٢ - تاريخ الشيعة محمد الحسن المظفري النجف الاشرف .

والكويتي والایراني والهندي والترکمانی والافغانی وغيرهم • ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد هو أن المدارس التي كانت تقوم في النجف انما كانت تقوم بجهود العلماء والافراد من أبناء الشيعة الامامية أنفسهم • أما الصرف عليها وعلى طلبتها فيتم بواسطة العلماء والمجتهدین مما یرد اليهم من أموال الخمس والزکات وحق الامام والترکات والهبات والتبرعات التي يقدمها المحسنون أينما وجدوا في هذا الحقل • وليس للحكومة أي صلة بتلك المدارس أو بشؤون الصرف عليها كما هو الحال في المدارس الأخرى •

مدارس النجف الاشرف

أما أهم المدارس في النجف الاشرف ابان العهد العثماني والتي كانت تقوم ببث العلوم والثقافة الدينية والعربية فهي :

- ١ - المدرسة السليمية أسسها سليم خان الشيرازي سنة ١٢٥٠ هـ
- ٢ - مدرسة المعتد تم تأسيسها في سنة ١٢٨٥ هـ
- ٣ - المدرسة المهديّة تم تأسيسها في سنة ١٢٨٩ هـ
- ٤ - مدرسة الشيرازي أسسها الامام محمد حسن الشيرازي ١٢٩٨ هـ
- ٥ - مدرسة القوام تم تأسيسها في سنة ١٣٠٠ هـ
- ٦ - مدرسة الايرواني أسسها الامام الايرواني سنة ١٣٠٥ هـ
- ٧ - مدرسة الحاج ميرزة حسين الخليلي أسسها الميرزة حسين سنة ١٣١٦ هـ
- ٨ - مدرسة الشرياني أسسها العلامة الشرياني ١٣٢٠ هـ
- ٩ - مدارس الاخوند (الثلاث) أسسها الامام محمد كاظم الخراساني ١٣٢٦ هـ

١٣٢١ هـ

١٣٢٩ هـ

١٠ - مدرسة الخليلي	أسسها العلامة الخليلي سنة ١٣٢٢ هـ
١١ - مدرسة القزويني	أسسها الحاج محمد القزويني سنة ١٣٢٤ هـ
١٢ - مدرسة البادكو بني	تم تأسيسها سنة ١٣٢٨ هـ
١٣ - مدرسة كاظم اليزدي	أسسها الامام اليزدي سنة ١٣٢٧ هـ
١٤ - مدرسة الهندي	تم تأسيسها سنة ١٣٢٨ هـ
١٥ - مدرسة البخاري	أسسها العلامة البخاري سنة ١٣٢٩ هـ
١٦ - مدرسة الصدر	أسست في زمن الحاج محمد حسين الازصفهاني

طريقة التدريس

كانت طريقة التدريس المتبعة في مدارس النجف تتردد بين الطريقتين اليونانيتين القديمتين وهما •

أولا - طريقة التحليل

وهي أن يتناول الاستاذ المدرس موضوع البحث ويجزؤه الى أقسام ، ثم يتناول كل قسم ويحلله الى أجزاء وهكذا يحلل ويجزيء حتى يصل الى أدق تلك الاقسام ، حيث يتناولها باحثا في الاسباب والمعاني والالفاظ •

ثانيا - طريقة التفسير والشرح

وهي أن يضع الاستاذ أولا نص القضية فيدرسها ويأخذ بتفسيرها على صورة (سؤال وجواب) أو طريقة (فان قلت كذا) - (قلت كذا) • ففي هذه الطريقة يبدأ الاستاذ بطرح الاسئلة ، ثم يجيب عليها الجواب الذي يتوقعه من ذلك الطرف المفروض ، فيتدرج اليه بالاسئلة حتى يصل به الاستجواب الى الحقيقة التي يحذقها نفسه « ١ » •

ولقد ظلت الدراسة في النجف تجري على نفس الاسلوب والطريقة

المتوارثة منذ القرن الخامس الهجري مع بعض التجديد والتشذيب اقتضاها
تغير الزمان وتطور الامور والاحوال ، اذ كان التدريس يجري على أساس
نظام الحلقات ، حيث يرقى الاستاذ منبرا أو يتخذ له ركنا من أركان المجلس
ويحيط به الطلبة من كل جانب للاستماع اليه والاخذ عنه .

وليس للدراسة في النجف محل معين للتدريس يلتزم به الطالب ، فربما
يكون في مدرسة علمية أو جامع عام أو حسينية ، على حسب الاتفاق المتبادل
بين الاستاذ وطلابه . كما وان الطلاب مخيرون في انتقاء الاساتذة دون أن
يفرض عليهم شخص معين . ومن طريف ما يرويه المرحوم العلامة السيد محسن
الامين في هذا الباب هذه الحادثة اذ يقول «٢»

(جاءني نجفي (من الطلبة) فقال فلان يباحث في الفقه وهو جد فقيه
فوجدت أنه لا يحضر درسه الا هو واثنان من العاملين من نوعه وبعض
الشروقيين ، فقلت له ، ان أعمى تزوج ببصرة فقالت له وددت انك كنت
بصيرا لترى جمالي وصباحة وجهي ! فقال لها لو كنت كما تقولين لما تركت
البصرة الي !! ولو كان هذا الشيخ كما تقولون لما انحصر تلاميذه في هؤلاء) .
والدراسة فيها تستمر طول السنة لا تتأثر بفصل ولا يؤثر فيها حر أو برد
أو مآساكل ذلك ماعدا التغير الذي يحدث في شهر رمضان المبارك ، اذ تجري فيه
الدراسة ليلا مراعاة لحالة الطلاب والاساتذة الصائمين .

مراحل الدراسة :

تنقسم الدراسة في النجف الى مرحلتين هما

١ - دراسة المقدمات

ويقصد بها الدراسة التمهيدية وهي التي تقابل في العصر الحاضر ، الدراسة
الابتدائية والثانوية ، وتسمى هذه الدراسة حسب العرف المصطلح عليه
عندهم بدراسة (السطوح) وهي مرحلة القراءة من سطح الكتاب في ذلك

العلم ، اذ يقرأ المدرس عبارة الكتاب ويفسرها • وان كان له نظر خاص أو اعتراض ، شرحه وبينه • ومن كان له من الطلاب قابلية الرد عليه ومباحثته ، رد عليه وباحثه «٢» • ان العلوم التي تدرس في هذه المرحلة تضم العلوم الآتية :

١ — علوم العربية وتشمل النحو والصرف واللغة والمعاني والبيان الخ •

٢ — العلوم الرياضية وتشمل الحساب والهندسة والفلك •

٣ — العلوم الاجتماعية : وتشمل التاريخ والجغرافية •

٤ — العلوم العقلية : وتشمل المنطق والحكمة والفلسفة والفقه والاصول

والتفسير وعلم الكلام «٤» •

ويتدرج الطالب في دراسة هذه الموضوعات حسب الكتب المقررة لها ففي الصرف والنحو يقرأ كتاب (الاجرومية) و (قطر الندى) و (ألفية بن مالك) أو كتاب (مراح الارواح) وكتاب (شرح الخلاصة) • فاذا أنهى الخلاصة ، يكون قد قرأ كثيرا من الصرف ، فينتقل بعد ذاك لقراءة كتاب (مغني اللبيب) •

وفي علم المنطق لا يقرأ الطالب الا (حاشية الملا عبد الله) وكتاب (شرح الشمسية) • واذا أراد التوسع قرأ (شرح المطالع) ، ويقرأ مع هذا العلم بعض الرسائل الفقهية مثل (التبصرة) و (الرسالة العملية) التي يضعها مجتهد الوقت لمقلديه •

وبعد هذا يقرأ في علم المعاني والبيان كتابي (المختصر) و (المطول) للتفتازاني ، ثم كتاب (الشرائع) في الفقه •

ومن ثم يشرع في قراءة اصول الفقه ، وأول ما يقرأ كتاب (المعالم) وقد يقرأ قبله كتاب (المبادي والمعارض) ثم الكتاب الاول من (القوانين)

٣ — اعيان الشيعة لمصدر السابق •

٤ — كتاب الامام السيد ابو الحسن . بقلم احد خدام الشريعة . النجف الاشرف •

- وكتاب (شرح اللمعة) وكتاب (الوسائل) وكتاب (الكفاية) .
- وفي علم الكلام يقرأ (شرح تجريد الاعتقاد) .

أما في الرياضيات فيقرأ (خلاصة الحساب) للشيخ البهائي . وكتاب (أشكال اقليدس) في الهندسة ، وكتاب (المجسطي) في علم الهيئة « ٥ » .

٢ - دراسة الخارج

وتقابل هذه الدراسة ، الدراسة في المعاهد العالية ذات الاختصاص في العصر الحديث ، وهي الدراسة الخارجة عن الكتاب ، اذ في هذه المرحلة لا يلتزم الطلبة بكتاب ، انما يتلقون معلوماتهم عن طريق محاضرات الاساتذة وكبار العلماء ، اذ يلقي الاستاذ محاضراته ببيان الموضوع ، ثم يشرح لهم جميع الاشكالات الموجودة حوله ، مستعرضا ما أدى اليه اجتهاده واستنباطه مؤيدا ومفندا ، ناقضا ومبرما بحسب الموضوع وما يستلزمه ثم يختتم محاضراته أو بحثه باختيار ما يرتأيه في المسألة ، مفندا جميع الوجوه المعارضة الاخرى . وفي مثل هذه الدراسة يكون المجال حرا للمناقشة والاستفادة حتى وان كانت المناقشة ردا لرأي الاستاذ المحاضر نفسه « ٦ » .

ان هذه الدراسة هي التي تؤهل الطالب للوصول الى درجة الاجتهاد فيما بعد اذ يواصل الدرس بصورة لا تنقطع معه الى آخر العمر ، سالكا في ذلك طريق التبحر في العلم . حتى اذا ما وصل الى هذه المرحلة نال شهادة من كبار العلماء المجتهدين تدل على أنه قد أصبح ذا ملكة قادرة على استنباط الفروع من الاصول وأنه بات ثقة عدل يصح أخذ الكلام عنه .

العلماء والمدرسون الاعلام

لقد نبغ من العلماء أبان العهد العثماني عدد كبير ممن ساهموا في نشر

٥ - مقال (كتب القراءة وطريقة التدريس عند الشيعة في العراق) بقلم نجفي . مجلة لغة العرب ج ١ سنة ١٩١٣ .

٦ - من رسالة بعث بها للمؤلف سيادة الاستاذ ضياء شكارا (عندما كان قائم مقاماً للنجف عام ١٩٥١) جوابا لاسئلته المتعلقة بهذا الموضوع .

التعليم وتصدروا للتدريس في مدارس النجف والحلة وكربلا والكاظمية
وسامراء وقد كان في المقدمة ، هؤلاء الاعلام وهم :

العلامة الكبير الشيخ جعفر صاحب كتاب - كشف الغطاء -

العلامة الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر

العلامة الحاج ملا علي الخليلي

العلامة السيد ميرزا محمد حسن الشيرازي

العلامة الشيخ مرتضى الانصاري

العلامة السيد محمد كاظم اليزدي

العلامة الامام محمد حسين النائيني

العلامة الشيخ مهدي كاشف الغطاء

العلامة الشيخ محمد - الفاضل الايرواني -

العلامة الشيخ محمد - الفاضل الشرياني -

العلامة الشيخ محمد كاظم الخراساني - الاخوند - صاحب الفقيه

العلامة الشيخ عبد الحسين آل صاحب الجواهر

العلامة الشيخ علي كاشف الغطاء

العلامة الشيخ حسن المامقاني

العلامة الشيخ محمد طه نجف

العلامة السيد محمد تقي الطباطبائي آل بحر العلوم

العلامة الشيخ زين الدين المازندراني

العلامة الشيخ محمد تقي التستري

العلامة السيد حسن الصدر

العلامة الشيخ مهدي الخالصي

العلامة السيد محمد سعيد الجبوبي

محمد شيخ فضل الله الحائري

معدن غلامرضا

آداب التدريس والمدرس

كان السلطان عبد الحميد الثاني قد أصدر ارادته السنية الى والي بغداد (الحاج حسن باشا) في سنة ١٣١٠ هـ بتعيين خمسة من علماء بغداد (مدرسين سيارة) في الالوية والاقضية ، وقد اعتمد الوالي في تنسيب انتخاب هؤلاء العلماء الى السيد مصطفى الواعظ . فانتخب لهذا الغرض خمسة من العلماء الاعلام «١» . ثم طلب منه الوالي أن يحرر له نظاما لآداب التدريس والمدرس فوضع هذه الرسالة ، وها أنذا أثبتها بنصها لاهيتها بالنسبة للإرشاد للتعليم في تلك الايام

بسم الله الرحمن الرحيم ويقيني بالله يقيني

لما كان قوام الدين ونظام الملك وانتظامه بالعلم ، الذي هو باعث للسعادة الابدية ، والمعرفة التي هي السبب الاقوى للنجاة والنجاح والفوز والفلاح ، وبهما يمتاز الانسان وينال أقصى مراتب الشرف الذي لا غاية بعده ، وبتدني الزمان وانحطاطه ، نبذ العلم ظهريا واستولى الجهل على كافة الاكناف باغواء دعاة الضلال . وعم جميع الآفاق خصوصا أقطار العراق ، تداركه الله سبحانه بحضرة خليفته في خليقته أمام المسلمين ، وأمير المؤمنين ، ونائب سيد المرسلين (صلعم) الملك المظفر المطاع ، والخليفة الواجب الاتباع ، حميد الذات فاروقي الصفات ، فانه خلد الله تعالى ملكه وأدام شوكته وأعلى كلمته وأعز دولته منذ رقي ذروة منبر الخلافة وجلس على عرش السلطنة ، وقام في محراب الامامة ، أحيما ما أنمحي من مراسم الدين المبين ، وأسس على التقوى ما عفى من آثار

throw
it
behind

١ - هم : -

آ - طه الشواف : لقضاء الدليم

ب - الملا قاسم الملا احمد : لقضاء الجزيرة

ج - الملا عمر الجبوري : لقضاء الكوت

د - الشيخ أحمد داود النقشبندی : لقضاء بعقوبة

هـ - المولوي غلام رسول الهندي : لقضاء مندلي

المساجد والمعابد ، وغمر بانعامه المسلمين ، وتعاهد امور مملكته وتفقده
أحوال تبعته .

وحينما عرض على أعتابه الملوكية وسداته الخاقانية ، صاحب الدولة
حسن باشا أدام الله اجلاله ، أحوال العراق من استيلاء ظلمه الجهل على أكثر
العشائر والقبائل ، واستعطفه بتعيين علماء مدرسين وفضلاء مرشدين لتخليصهم
من أسر الجهل واطلاقهم من قيد الضلال وايقاظهم من نوم الغفلة وتعليمهم
أمور الدين والاسلام وأحكام أركان الايمان . صدرت الارادة السنية بأسعاف
مطلوبه وأجابه دعوته ، وسنحت العواطف الملوكية رأفة بتبعته ، وعناية
برعيته ، وخصص لهم الوظائف الكافية وأجرى عليهم الجرايات الوافية . ومن
المعلوم أن هذا الامر الخيري المنتج للمصالح النافعة العامة ، هو قريب من
الهمة بعيد من الاهمال ، ولا يتم الا بوضع مواد مخصوصة تكون (دستور
العمل) ليكون المدرس على بصيرة في سعيه واقدامه ، ويكون عمله انشاء الله
مبرورا وسعيه بمنه الله تعالى مشكورا .

المادة الاولى :

ينبغي أن يكون المدرس عالما عاملا عاقلا مجرب الاطوار متضلعا في
العلوم ، فصيحاً ، بليغاً ، مقتدرا على البيان وأداء المواعظ الحسنة ، والنصائح
المؤثرة ، عارفا بصناعة التعليم ، واقفا على فن الارشاد ، مطلعا على الامور
السياسية وأحوال العشائر والمواقع ، سيارا في أطراف مركز القضاء ليعم نفعه
ولا يضيع سعيه .

المادة الثانية :

يلزم على المدرس رعاية مصلحة التعليم ، فيكلم كل أحد بما يفهمه ، من
تقريب البعيد الذي يجهله بالامثلة والادلة النقلية والعقلية ، قولاً وفعلاً وعملاً
مع حسن خلق وتديير ، وسعة صدر ، مجتنباً عن الالفاظ المستهجنة ، متحرراً
عن الاقوال الموجبة للتغيير ، هينا ، لينا ، وقورا ، متواضعا متبسطا مع كمال

الاحتياط ورعاية الحال ، ولا يكن فظا غليظا متهورا ، فانه أقرب لحصول المقصود وأكثر نفعا وأتم وضعاً !

المادة الثالثة :

يجب على المدرس أولا ، تعليم الناس بالدرس الخاص والعام كل يوم بلا امهال ولا اهمال ولا فتور ولا قصور ، أحكام الايمان والاسلام ، وأركان الدين والمسائل الاعتقادية والفقهية ، وليتكلم على صفات الباري عز وجل ، وليذكر لهم ما يجب له تعالى ، وما يجوز وما يستنع عليه فاذا علموها فيجب عليه أن يعرفهم حكمة ارسال الرسل وانزال الكتب السماوية ، ويبين لهم عدد الانبياء والرسل والفرق بين النبي والرسول ويحثهم على الايمان بهم كلهم بلا فرق ويبحث عن معجزاتهم القاهرة وآياتهم الباهرة وما يجب لهم وما يجوز وما يستنع عليهم ، ويثبت بالادلة القطعية عصمتهم عن الذنوب صغيرها وكبيرها قبل النبوة وبعدها وعدم بلوغ ولي من أولياء الله تعالى درجة نبي من أنبياء الله سبحانه أصلا فمن فضل أحدا من الاولياء على أحد من الانبياء فقد افترى وضل سواء السبيل .

المادة الرابعة :

ينبغي للمدرس أن يبين للناس فضائل آل البيت النبوي ومناقبهم ومآثرهم معلنا بقوله (حب أهل البيت ايمان وبغضهم تفاق) والحكمة في ذلك أولا بيان الواقع ونفس الامر ، وثانيا اخراج ما استقر في قلوب ضعفاء اليقين بتسويل دعاة الضلال من أن أهل السنة والجماعة لا يحبون آل البيت النبوي ، ومهما استطاع المدرس بالروايات الصحيحة المنقولة عن الصحابة في فضائل آل البيت خصوصا روايات حضرات الخلفاء الثلاثة في حقهم ، وليذكر من تعظيم الصحابة للآل والثناء عليهم وحسن معاملتهم معهم ، والروايات الصريحة المقبولة ثم ليعطف العنان بالمناسبات الحسنة الى ذكر مناقب الصحابة ومآثرهم وسرد روايات آل البيت في فضائل الصحابة ليحيط الناس خيرا بأنهم كما أخبر الله

تعالى عنهم بقوله سبحانه : رحماء بينهم ، مع كمال الاحتياط عند ذكر الآل
والصحابه (رضى الله عنهم) وليجتنب عن الروايات المنفرة ، بل يجد غاية الجد
بتأليف الفريقين على الوجه المشروع بلا افراط ولا تفريط ولا تعصب يفضي
الى الجدل ويوجب القيل والقال فانه نافع انشاء الله تعالى .

المادة الخامسة :

يقتضي من المدرس تعليم الناس فضائل أولياء الرحمن من الصديقين
والشهداء وصلحاء الامة والعلماء العاملين ، وليذكر مناقبهم وكراماتهم وليحذر
من الطعن بأحد منهم عموماً وخصوصاً من غير تصريح بذكر طائفة مخصوصة
من المبتدعة بل يخاطب بالخطاب العام فانه أبلغ بالنصح وأعظم تأثيراً في الزجر
وأقرب في القبول للنفع .

المادة السادسة :

إذا قرر المدرس مسألة خلافية بين أرباب الملل والنحل وكان المجلس عاماً
فليقرر المسألة على الوجه اللاحق بالدلة الواضحة بعبارات سهلة المأخذ قريبة
التناول ، حتى يعلم السامع ما يقول ويفهم ما أراد ، ثم ان شاء ورأى المصلحة
في ذكر قول المخالف فليذكر قول القائل كقوله مثلاً - وخالف بعض الناس
هذه المسألة - وقالوا كذا كذا وقولهم مردود بكذا . ثم يقول وما قلناه هو
الحق وما عداه باطل ونحو ذلك مما يقارب ما شرحناه ، قال تعالى (فماذا بعد
الحق الا الضلال) .

المادة السابعة :

الواجب على المدرس أن يعلم الناس بعد الايمان والاسلام أحكام
الصلاة وبقية أركان الدين على الوجه الذي ذهب اليه الائمة الاربعة
والمذاهب المتبعة ، وليعلمهم الشرائط والاركان والواجبات والمكروهات
والمفسدات ، وليعرفهم كيفية الوضوء والاغتسال والصلاة قولاً وفعلًا وعملاً .
والاجراء بالفعل أوقع في النفس وأقرب من القول، وليتوضأ بمحضرهم ويصلي

بهم وبعد الصلاة يعظهم ويأمرهم وينهاهم ، فيحضهم على أداء الصلوات الخمس والمواظبة عليها وصلاتي الجمعة والعيدين ، وكيفية صلاة الجنازة • وينهاهم عن تركها ويذكر لهم ما جاء عن الله تعالى ورسوله (ص) من الوعيد والعقوبة لتاركها • وبعد ختام الدرس يرفع يديه بالدعاء لحضرة أمير المؤمنين أعز الله نصره ثم يدعو لآخوانه المسلمين •

المادة الثامنة :

الواجب على المدرس ، المبادرة بالامر وعدم التواني والقصور و الفتور والتراخي في وظيفته من كافة الجهات • وأن يجتنب عن الشواغل الدنيوية غير الضرورية كالبيع والشراء • وأن يحافظ على مسلك العلم وشرف التدريس وصيانة المقام مع التواضع والوقار ، محرزاً عن ضياع الاوقات بالبطالات وارتكاب الهزليات وما لا ينبغي من العبث وعن كل ما يخل به • وليعلم أنه مأمور بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعليم ونصح المسلمين ، وان خالف شرطاً من هذه الشروط المشروحة يكن مسؤولاً باجراء الايجاب عليه بما يقتضيه الحال من العزل والتبديل •

المادة التاسعة :

ينبغي اعطاء الاوامر العلية بتعظيم التدريس واحترامه ووقايته وحمايته وصيائمه وترويج اشعاراته وتشبثاته ان كان للمصلحة موافقا وللحقيقة مطابقا •

المادة العاشرة :

يجب على المدرس حث الناس على السمع والطاعة عقب الصلاة وسائر الاوقات الى حضرة حامي حوزة الدين المبين السلطان الغازي عبد الحميد نصره الرحمن ، والالتقياد الى أوامر أولياء الامور ، فهو من أهم المهمات وأوجب الواجبات بحكم منطوق آية (وأطيعوا الله ورسوله وأولى الامر منكم) •

المادة الحادية عشرة :

ينبغي أيضا من المدرس اعطاء المعلومات باجراءاته الفعلية ونتائج عمله وان رأت الحكومة السنية واقتضى الحال لاجراء البحث والتفتيش عن المدرسة بالسنة ولو مرة ، فهو منوط الى رأيهم العالي باجراء الايجاب وبالله التوفيق ، والله بقول الحق وهو يهدي السبيل •

خاتمة :

هذا ما ظهر وورد على خاطر القاتر من تنظيم المواد المقتضية لوظائف التدريس وأوصاف المدرس وآدابه • وأما تعديل هذه الصور واصلاحها وقبولها ، فهو منوط الى أمر وارادة ملاذ الولاية الجليلة والامر لولي الامر •

تحريرا في ٧ شعبان سنة ١٣١٠ «٢»

الداعي مفتي لواء الحلة
السيد مصطفى نوري
غفى عنه
أمين



اسلوب الدراسة :

لم تكن الاساليب الدراسية وطرق التعليم عند المسلمين الاوائل على ما هو عليه الآن . وليس من شك في أن تطور الحياة الاسلامية من عصرها الذهبي حتى العصور المتأخرة ، قد جعل أسلوب التدريس وطريقة التعليم ، طريقة ساذجة لا تستند في الغالب على أي مبدأ من مبادئ اصول التدريس . لان التعليم كما يقول بن خلدون صناعة اختلفت فيها الاساليب والاصطلاحات . فلكل امام من الائمة المشاهير ، اصطلاح في التعليم يختص به شأن الصنائع كلها .

وغير خاف ، ان الطرق المتنوعة التي كانت متبعة في التدريس ترجع الى اسلوبين أو الى طريقتين هما (التعليم ، والتعلم) .
فالشرح والالقاء والاملاء والمحاضرة كلها وسائط ، تمكن المعلم من ايصال معلوماته وأفكاره الى تلاميذه .

أما اسلوب المناظرة والمناقشة والمطارحة والسؤال والجواب والاخذ والرد ، فهو واسطة تمكن الطالب من التعلم ، والتفكير والاستنتاج والنمو الذهني . والذي يبدو ، أن القرن الثامن الميلادي ، وهو القرن الذي عاش فيه العلامة بن خلدون ، كانت أساليب الدراسة فيه متأخرة ، فأراد ابن خلدون أن يضع طريقة لزملائه من المدرسين يسلكونها في التدريس فكتب في مقدمته فصلا بعنوان (الصواب في تعليم العلوم وطريق افادته) قال فيه «١»

« اعلم ان تلقين العلوم للمتعلمين ، انما يكون مفيدا اذا كان على التدريج شيئا فشيئا ، وقليلًا قليلًا ، يلقي عليه أولا ، مسائل من كل باب من الفن . هي اصول ذلك الباب . ويقرب له في شرحها على سبيل الاجمال ويراعي في ذلك قوة عقله ، واستعداده لقبول ما يرد عليه ، حتى ينتهي الى آخر الفن وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم . الا أنها جزئية وضعيفة ،

وغايتها انها هيأتها لفهم الفن وتحصيل مسائله ، ثم يرجع الى الفن ثانية فيرفعه الى التلقين عن تلك المرتبة الى أعلى منها ، ويستوفى الشرح والبيان ويخرج عن الاجمال ويذكر له ما هنالك من الخلاف أو وجهه ، الى أن ينتهي الى آخر الفن ، فتجود ملكته ثم يرجع به ، وقد شد ، فلا يترك عويصا ولا مهما ولا مغلقا ، الا وضحه له ، وفتح له مقفله . فيخلص من الفن وقد استوحى على ملكته ، هذا وجه التعليم . ثم يصف ابن خلدون ما لمسه في المعلمين الذين درسوه أو زاملوه في التعليم فيقول ...

« وقد شاهدنا كثيرا من المعلمين لهذا العهد الذي أدركنا يجهلون طرق التعليم وافاداته ، ويحضرون للمتعلم في أول تعليمه ، المسائل المقفلة من العلم ، ويطالبونه باحضار ذهنه في حلها . ويحسبون ذلك مرانا على التعليم وصوابا فيه . ويكلفونه وعي ذلك وتحصيله . ويخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في مبادئها ، وقبل أن يستعد لفهمها ، فان قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجيا . ويكون المتعلم أول الامر عاجزا عن الفهم بالجملة الا من الاقل ، وعلى سبيل التقريب والاجمال والامثال الحسية ، ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلا قليلا بمخالفة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه والاستعداد ثم في التحصيل ويحيط هو بمسائل الفن . واذا ألقيت عليه الغايات في البداءات وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعي وبعيد عن الاستعداد له ، كل ذهنه عنها حسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه ، فتكاسل عنه ، وانحرف عن قبوله وتنادي في هجرانه . وانما أتى ذلك من سوء التعليم » . ومهما يكن من أمر فان ما شاهده ابن خلدون في بلاده أو في مصر مما أشار اليه ، في شؤون التربية والتعليم كان ولا شك أحسن حالا عما كان عليه التعليم في العراق ، الذي كان آنذاك تحت حكم الدولة « الجلائرية » ، ومسرعا للحروب والاتفاضات المتوالية في سبيل الحكم والسلطان . ثم ان توالي الاحداث والنكبات على العراق بتعدد عناصر حاكميه وأهوائهم

وانشغال القسم الاعظم منهم في غير أمور العلم والثقافة ، أدى الى تدهورها ومن ثم أثرت في طرق تحصيل العلم وتدريسه . ومع كل هذا التأخر والانحطاط فان التاريخ يحدثنا عن نبوغ عدد كبير من طلاب المدارس العلمية في تلك العهود ، تضلعت في مختلف العلوم والفنون العقلية منها والنقلية كما مر بنا . ولكن هذه الحقيقة وحدها لا تدل على ان الفضل راجع وحده الى أساتذتهم ، بل لعل الجانب الاعظم منه يعود الى الطلاب أنفسهم ، فان البيئات التي وجد فيها معظم اولئك الطلاب ، كانت في الاساس بيئات ، اما علمية ، واما أدبية فلا عجب اذا ما رأينا نبوغ أفراد متعددين من العائلة الواحدة كأبناء العائلة الآلوسية والعائلة السويدية والعائلة الحيدرية وعائلة آل الجميل أو آل الواعظ أو آل الزهاوي أو آل الراوي أو آل الشواف أو آل الطبقجلي وغيرهم من العوائل العلمية التي برزت في تلك العهود ، كما ان حدة ذكاء هؤلاء وعدم وجود ما يشغل الطالب آنذاك من الامور نظرا لتردي الحياة الاجتماعية وانحطاط مستواها من جميع الوجوه ، كل هذه من العوامل هي التي ساعدت على انصراف هؤلاء الطلاب الى الدراسة وانكبابهم عليها مما كانت الطريقة التي يتلقون بها ذلك العلم ، ومهما كان اسلوب الاستاذ الذي يدرسون عليه .

أما كيفية تدريس الطلاب العلوم ، فقد كانت تجري في هذه المدارس على صورة (الحلقة) اذ كان الطالب يأخذ مكانه فيها والاستاذ قد اسند ظهره الى اسطوانة من اساطين المسجد أو المدرسة ، جالسا على كرسى وقد أمر أحد تلامذته بقراءة الفصل أو موضوع الدرس . اذ كان لهم (مقرأون) واجبهام القيام بتلاوة النص بينما يقوم الاستاذ بشرحه وتفسيره . كما كان للاستاذة (معيدون) يقومون بالتدريس عند غيابهم ، وينتخب هؤلاء المعيدون عادة من بين الطلاب الذين تتجلى فيهم حدة الذكاء والنباهة وقابلية الفهم السريع (٢) . ولقد كانت الدراسة في المدارس قبل ادخال الطباعة في

المملكة العثمانية تجري عن طريق قيام الاساتذة بتلقين الدروس على الطريقة الاملائية اذ كان المدرس يملئ دروسه املاء وقد لبث الحال مدة من الزمن حتى كثر التدوين والتأليف فشرعوا بعد ذلك العصر بدراسة الكتب وتفهم أغراض المؤلفين منها ، مبالغين في ذلك مبالغة أدت الى وضع شروح للمتون وحواش للشروح وتقريرات للحواشي حتى زاد الاهتمام بها عن المتون «٣» .
والدراسة في المدارس لم تكن تخضع لجدول دروس معين أو موضوعات وفصول محددة يجب السير بموجبها ، بل كانت الامور متروكة للاستاذ نفسه شريطة ان لا يخالف شروط واقف المدرسة ولا بأس بمخالفة تلك الشروط اذا كانت تلك المخالفة لمصلحة الطلاب ، وكانت لا تخالف روح الشريعة والتقاليد الاسلامية المرعية (٤) . لقد كان الاعتماد كله على المدرس لا على المنهج . فأساس التعليم هو (المدرس والكتاب) اذ كثيرا ما قرأ أو ما زلنا نسمع من أشياخ الماضي من يقول (قرأت على الشيخ الفلاني) ، الكتاب الفلاني » .

وهكذا وبعد ان يجوز الطالب بنجاح قراءة وتفهم مواد الدراسة ، العقلية منها والنقلية ، يكون قد بلغ مرحلة تؤهله لكي يصبح فاضلا ، يأخذ طريقه في ميدان العلوم الدينية ويسير في طريق أساتذته أو ييزهم في علم من العلوم وفي هذه المرحلة ينال الطالب (الاجازة) في الفرع الذي أتقنه ، وبرز فيه ، سواء كان ذلك في العلوم النقلية او العقلية ، وهذه (الاجازة) تجيز له التدريس مستقبلا بما أجز فيه .

الاجازة

بينما أن الاكثريّة من طلاب المدارس في العهود السالفة كانوا يسعون

٣ - تاريخ التعليم في عصر محمد علي - المصدر السابق .

٤ - التربية والتعليم في الاسلام - الدكتور محمد أسعد طلس بيروت سنة ١٩٥٦ .

لطلب العلم ما أتيح لهم الفراغ والمال والموهبة ، ويكتفون بالقليل من العلم أو يجمعون منه الكثير على حسب ظروفهم الخاصة . أما اذا كان أحدهم يريد أن يكون مدرسا فانه يترك له أن يقرر وقتما يرى ذلك ممكنا ، أنه أصبح ذا كفاءة تؤهله لان يجلس مجلس الشيوخ . غير أن مجلس الشيوخ هذا لم يكن يسيرا ، ولهذا كان الطالب يتردد طويلا قبل أن ينقل نفسه من مجلس (التعلم) الى « مجلس التعليم » . وكان مجلس التعليم يربى ، بسبب الاسئلة الكثيرة التى يطرها الطلاب على المدرسين وبخاصة اولئك الذين هم حديثو عهد بهذه المنزلة ، فاذا استطاع أن يثبت أمام النقاش والاسئلة واذا وفق فى الاجابة عنها واقناع الذين تحلقوا حوله ، فانه حينئذ يستطيع أن يستمر فى عمله ويواصل التدريس بعد اجازته من قبل أساتذته . وقد كانت الاجازة مقتصرة على (الحديث وروايته) . ثم انتقل هذا من الحديث الى سواه من العلوم . فاذا ثابر الطالب على الاستماع لامالى الشيخ فى الادب أو التاريخ أو غيرهما أو الشرح يقوم به المدرس لكتاب ما ، وتأكد المدرس من استفادة الطالب . كتب له شهادة على الورقة الاولى أو الاخيرة من الكتاب (أتم فلان قراءة هذا الكتاب . وأجزت له تدريسه .) . وعلى هذا كان يمكن أن يحصل الطالب على (اجازة) فى موضوع ما فى حين يظل طالبا بالنسبة لموضوع آخر .

والاجازة تدل على المستوى العلمى لمن منحت له ، اذ أن الشيوخ ما كانوا يمنحون الاجازة الا لمن كان ذا معرفة تهى له أن يجيد تدريس الكتاب المجاز به ، أو رواية الاحاديث المأذون له فى روايتها . ويشترط لصحة الاجازة ، أن يكون الفرع معارضا بالاصل ، حتى كأنه هو ، وأن يكون المجيز عالما بما يجيز به ، ثقة فى دينه وروايته معروفا بالعلم ، وأن يكون المستجيز من أهل العلم متمسما بسمته حتى لا يوضع العلم الا عند أهله « ٥ » .

واذا كانت الشهادات أو الدبلومات اليوم تعطي للطلبة عند انتهائهم من دروسهم الرسمية ، فقد اختلفت الاجازة العربية الاسلامية عن (الشهادات العلمية الحديثة) لان الاولى كانت تعطي باسم المدرس ، بينما الثانية تقدم باسم المدرسة أو الكلية ، وكانت الاجازة تمنح كما رأينا لموضوع واحد من قبل استاذة . بينما الشهادات تمنح اليوم بعد اجتياز الطالب المناهج المقررة بنجاح . وكما أن الشهادة العصرية يحكم على قيمتها من شهرة وصيت الجامعة التي منحتها ، كذلك كان حكم (الاجازة) يستمد من شهرة الاستاذ الموقع عليها «٦» . وها أنذا أقدم فيما يلي نموذجين من هذه (الاجازة) . الاولى تعد أقدم شهادة معروفة وهي الصادرة سنة ٣٠٤ هـ وقد منحها محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري الى أبي عامر سعيد بن عمرو . وهي ...

بسم الله الرحمن الرحيم (٧)

(أطلقت لك يا أبا عامر سعيد بن عمرو أن تروي هذا الكتاب «٨» عني عن أبي علي ، تمام هذا الكتاب . وما كان فيه عن بكر الأزدي وسعدان ابن مسلم ... وكتب محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري بخطه في صفر سنة ٣٠٤ هـ)

أما النموذج الثاني ، فهي تلك الاجازة التي منحها السيد مصطفى نور الدين الواعظ لاحد تلامذة مدرسته العلمية بالحلة وهو (الشيخ أحمد المهنا) وذلك بتاريخ ١٣٣٠ هـ وهذا نصها ...

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العزيز سلطانه ، العظيم شأنه ، المتواتر فضله واحسانه . فمن

٦ - التربية عند العرب - المصدر السابق .

٧ - تاريخ التربية الاسلامية - المصدر السابق .

٨ - الكتاب الذي منحت الاجازة عليه هو كتاب (قرب الاسناد) .

وصل حبله بسلسل جنابه ، فاز بالحسنى ، ومن كرع من سلسيل فيضه الاسمى حاز المقام الاسنى ، والصلوة والسلام على سيدنا المشهور بين الامم شهرة نار القرى على علم، سيد الانبياء • ومنهاج الاصفياء ورسول العالم محمد (ص) صاحب اللواء المعقود ، ونخبة الخلق ، من أرسله الله بالهدى ودين الحق ، وعلى آله العترة الاطهار ، وصحبه الاخيار ، من المهاجرين والانصار الذين صحت منهم الاقوال ، وحسنت منهم الفعال ، ما عز عزيز ، وأجاز مجيز وسلم تسليما • أما بعد فيقول عيبة العيوب ، وذوب الذنوب ، المستعين بالله تعالى في تفريج الكروب ، أبو اسماعيل مصطفى نور الدين الحسيني البغدادي الواعظ مفتي لواء الحلة رفع الله في الدارين محله ، ان بقاء سلسلة الاسناد لما كان من شرف هذه الامة الامية والعصابة الاحمدية واتصالها بنبيها عليه الصلاة والسلام ، خصوصية لها من بين البرية ، رغب ولدي القلبي الذكي الزكي التقي النقي (مهنا زاده الشيخ أحمد أفندي) حفظه الله ، المعيد المبدي من كل ما يشين ويردي ، بعد أن قرأ علي قريبا من نصف صحيح الامام حجة الاسلام أبي عبد الله البخاري • قراءة تحقيق وتدقيق • وجزءا من صحيح الامام مسلم • ونبذة من كتب السنن الاربعة وبعضا من موطأ الامام محمد بروايته عن الامام مالك رحمهم الله تعالى ، وأجزاء من تفسير القاضي البيضاوي بيض الله غرته • وحضر مجلس الدرس وسمع كثيرا من الدروس المعبرة نحو الاصول والفروع ، والمعاني والبيان والبدیع ، وحل في سلك الطالبين لتحقيق العلوم من المنطوق والمفهوم ، في أن أجيزه بذلك بعد أن سمع مني الحديث المسلسل بالاولية وبسائر الكتب المعبرة من المنقول والمعقول وبقراءة دلائل الخيرات والصلوة والمشيشية وبكل ورد ، ورد من طريق حسن اجازة خاصة عامة في كل علم وفن حسب روايتي عن مشايخي وأسيادي الاعلام عليهم رضوان السلام ، فأجبت لما طلب وأعطيته بغبة ما فيه رغب طمعا في الثواب وطلبا لرضي العزيز الوهاب • وأجزته اجازة عامة مطلقة بالشرط الصحيح المعبر عند أهل

الحديث والاثار (بحق روايتي) لذلك ما بين القراءة والسماع ، والاجازة الخاصة والعامه ، وأذنت له برواية مؤلفاتي وسائر مروياتي وبكل ما صحت لدي روايته ، وتجوز عندي درايته حسبما هو مسطور في ثبتنا المسمى بـ (عقد الجيد الجامع لشذرات الاسانيد) ولنقتصر هنا على الاسانيد التي اخترناها من المرحوم شيخنا العلامة السيد الشيخ داود أفندي عليه الرحمة لانها الاقرب مما عداها والاعلى مما سواها . هذا وأوصي المجاز الشيخ أحمد أفندي نجل المرحوم علي بن حسن المهنا بما أوصاني به أسيادي وأشياخي من تقوى الله في السر والعلن والاجتناب عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وأن لا ينساني وأولادي وأحفادي واخواني من صالح دعواته عقيب قراءته وصلواته في خلواته وجلواته ، قال نفسه ورقمه بقلمه العبد الفقير الى لطف الله تعالى الخفي أبو اسماعيل السيد مصطفى نور الدين الحسيني الادهمي الحنفي نجل المرحوم الواعظ تغمده الله برحمته وأسكنه فراديس جنته . والحمد لله أولا وآخرا ، وباطنا وظاهرا ، وصلى الله على سيد المرسلين وعلى كافة الانبياء والمرسلين وآل كل وصحب كل أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



المدارس احر الدولة العثمانية

وقتنا في الابحاث المتقدمة على السياسة التعليمية في العهود العثمانية المختلفة وتلمسنا الاغراض والاهداف العليا التي كانت تهدف اليها السلطة في تربية واعداد أبناء البلاد . ورأينا كيف كانت الدراسة في (المدارس) خلوا من علوم الدنيا ، تلك العلوم التي تفيد صاحبها في زراعة أو صناعة أو غير ذلك من وسائل الحياة . فقد كانت عنايتها منصرفة الى تحقيقات لفظية ، ليس لعامة الشعب فيها غناء ولهذا لا نعدو الحقيقة اذا قلنا أنها كانت تعنى بتخريج جماعة تكاد تكون منفصلة عن المجتمع . سواء كانت هذه الفئة ممتازة بعقليتها أم لم تكن . فالثابت أنه لم يكن لهذه المدارس كبير حظ في تثقيف هذا المجتمع ، ذلك لان الاتصال لم يكن وثيقا بين العلم الذي يلقي فيها وبين سواد الناس ، اللهم الا ما كان يقوم به خطباء المساجد ورجال الوعظ والارشاد ، أو كبار العلماء الذين كانوا يختلفون الى المساجد أو المدن الاخرى ، اذ كان عامة الناس ومن اليهم ، اذا ما فرغوا من صلواتهم يختلفون اليهم في لذة وشغف ويقبلون عليهم في حسن استماع وأدب ، وكان هؤلاء العلماء والخطباء والمدرسون يفقهونهم في أوليات فرائض دينهم ، ويلقون اليهم بطرف من تفسير القرآن والحديث ويبسطون لهم ما قد يشكل عليهم فهمه من دقائق المعلومات أو يقصون عليهم من روائع القصص الديني ما ينزع بنفوسهم الى الخير ، وينأى بهم عن مواطن الزيف «١» .

ومهما يكن من شيء فان تطور الحياة السريع لا سيما بعد صدور فرمان التنظيمات الخيرية المعروف (بخط كلخانة) أيام السلطان عبد المجيد ، والرغبة الملحة الى الاصلاح وبعض العوامل الدولية الخارجية ، هي التي حملت الباب العالي الى اصلاح أساليب الحكم وتنظيم شؤون الدولة على أسس جديدة في مختلف الحقول سواء كان ذلك في تنظيم الشؤون الادارية أو المالية

أو القضائية أو التعليمية «٢» .

ولذلك فإن انشاء المكاتب الحديثة وافساح المجال أمام أبناء البلاد لتلقي العلوم والفنون والصناعات كان من جملة تلك المطالب التي أخذ بها لترقية الشعب ماديا ، وتحويل معاهد الدراسة الى معاهد علمانية يكون الاشراف عليها من اختصاص الدولة لا رجال الدين . وقد كانت الدولة العثمانية بادىء الامر منصرفه لنشر التعليم الابتدائي لذلك تركت أمر التعليم العالي ، لان (المدارس) الدينية أشبه بالمعاهد العالية ولم تكن تصلح الا لعدد محدود من الطلبة فقد تركت أمر الدراسة فيها يجري على ما كان عليه ولم تحاول أن تغير مجراه ، غير أنها أهملت أمرها اذ تركتها وشأنها ولم تنتزع منها سلطة رجال الدين عليها كيلا يتكرر ما جرى أيام السلطان سليم الثالث (١٨٠٧) من مآسي بسبب محاولاته الاصلاحية .

ان اعلان (خط كلخانة) يعتبر ضربة موجهة للمدارس العلمية بل والى العلماء أنفسهم كما يقول الاستاذ العزاوي «٣» . ولذلك يمكن القول أن التطور السريع الذي جرى في العهد العثماني الاخير ، قد غير بعض المفاهيم ، ولم تعد للعلماء ورجال الدين تلك المنزلة البارزة التي لا ينالها نقد أو تقييد فهذا هو المرحوم الاستاذ جميل صدقي الزهاوي — نائب بغداد — يقف في مجلس المبعوثان ويهاجمهم قائلا

جاء في الآية الكريمة (ان الارض يرثها عبادي الصالحون) فلا يظن أحد بأن القصد من (الصالحين) هم العباد والنساك !! انما هم الصالحون لاعمارها !! كما أن الاستاذ الزهاوي نفسه وقف يعارض صرف المخصصات على تلاوة كتاب (البخاري) في المراكب الحربية العثمانية قائلا
(اننا نعرف أن البواخر تسيّر بالبخر لا (بالبخاري) فلماذا لا تنفق تلك

٢ — البلاد العربية والدولة العثمانية — الحصري — المصدر السابق .

٣ — العراق بين احتلالين ج ٧ .

المخصصات على نشر التعليم ، ليتقن الناس استعمال البخار ما دام هو الذي يسير البواخر؟! بدل أن تنفقها الدولة على قراءة (البخاري) الذي ليس له في تسييرها منفعة أو شر؟! («٤») .

وهكذا لم يكد ينتهي الحكم العثماني في العراق حتى تغيرت حال (المدارس) وتبدلت نظرة الدولة لها ، وعزف عنها الدارسون ، اللهم الا اولئك الطلاب الذين قرروا الاستمرار في تحصيلهم العلمي الديني فيها ، أما الآخرون فقد وجدوا في (المكاتب) الجديدة التي أخذت تنشرها الدولة في كثير من المدن والحوضر لا سيما بعد اعلان المشروطة عام ١٩٠٨ ، وجدوا فيها المعاهد التي يربون أولادهم ويعلمونهم فيها .

المدارس والآداب

ظهر لنا من تتبع تاريخ المدارس ، بانها لم تكن الا معاهد دينية بالدرجة الاولى ، اذ كانت موضوعات الدراسة فيها مقتصرة على العلوم الدينية التي سار على تدريسها السلف الصالح من منقول ومعقول ، كما رأينا أن معظم المدرسين فيها كانوا من أكابر رجال الدين ، وعلمائه الاعلام الذين ظلوا قرونا عديدة يحتكرون شؤون التعليم في البلاد ، لذا كان من الطبيعي أن يكون الاتجاه في هذه المدارس اتجاها دينيا صرفا .

ولما كان التعليم الديني يتمتع بحرية مطلقة في وضع دراساته من قبل الاساتذة والمدرسين ، فقد كان لهذه الحرية الفضل في تكوين اعلام المفكرين من رجال الدين في عصور مختلفة . كما أن الاتصال الذي حصل بين العراق ومجاوريه من الترك والفرس ، وتأسيس المطابع الحديثة في العالم الاسلامي سهل لطلاب المدارس وأساتذتهم دراسة ما في بطون الكتب المطبوعة ، فارسية كانت أم تركية ، علمية كانت أم أدبية . كما أن تأسيس الخط التلغرافي وتنظيم

شؤون البريد واصدار الصحف والمجلات كان له الاثر البعيد في تنبيه الازدهار واكتشاف القابليات في مختلف مجالات الحياة الثقافية والعلمية والسياسية .
لقد كانت المدارس في ذلك العهد ، هي المخرج الوحيد للعلماء والادباء والموظفين والتجار وسائر الصنوف «١» . لانها كانت مدارس علم وأدب ، خرجت في مراحلها المختلفة العلماء الاعلام وفريقا من الشعراء والكتاب والخطاطين .

الشعر والشعراء

لقد كان اهتمام تلك المدارس بتدريس علوم العربية من نحو وصرف ومنطق وفلسفة وبديع وبيان وعلم العروض وغيرها ، كل هذا كان له الاثر الكبير في حفظ اللغة العربية . ان دراسة هذه العلوم مضافا اليها ما كان يدرس من علوم دينية ، كانت كفيلة بأن ترسم لصاحبها الطريق الذي سينهجه في حقل العلم والادب والثقافة .

ولما كانت الحياة أيام العثمانيين لا سيما في عهودهم الاخيرة حياة بسيطة خالية من أي نشاط ثقافي أو علمي يذكر ، فقد وجد الدارسون في هذه المدارس ، أن مجالهم الفسيح هو (الشعر) لا سيما بعد ما كان معظمهم يمتلك عدده ، ويجيد عروضه ، ويعرف فنونه ، لذلك أصبح ميدانه أمامهم في القرن التاسع عشر فسيحا ، غير أن آثار دراساتهم ، وأثر الحياة في أشعارهم كانت بارزة ظاهرة . وقد لخص مؤرخو الادب العراقي أهداف الشعر العراقي في ذلك العصر بأربع نقاط هي «٢» :

١ - مدح السلطان

٢ - خدمة الدين

١ - العراق بين احتلالين ج ٥ : العزاوي : المصدر السابق .

٢ - الشعر العراقي في القرن التاسع عشر . الدكتور يوسف عز الدين .

المصدر السابق .

٣ - الشعر الاجتماعي

٤ - الشعر القومي

أما الشعر في المناطق الشيعية ، فقد تأثر ، نتيجة للتعصب الذي كانت تبديه السلطة الحاكمة ضدهم ، واتجه وجهة لم يتجه لها الشعراء من أبناء السنة . لذا كان الشعر في مدح الامام الحسين (ع) يمثل (التيارات الصاخبة التي كانت تعتلج في نفوس الناس ، فكانت المآثم الحسينية وذكرى استشهاد ، أسواقاً أدبية يتبارى فيها الشعراء ، ويحاولون أن يأتوا بالجد من النظم والرصين من العبارة «^٢» . أما الشعراء الذين اشتهروا في العهود العثمانية ، لا سيما في القرن التاسع عشر ، والذين كانت لهم منزلة مرموقة آنذاك فنذكر منهم «^٤» .

الشيخ محسن الخضري

الشيخ محمد الجزائري

السيد حيدر الحلبي

عبد الغفار الاخرس

الشيخ محمد حمادي نوح

السيد ابراهيم الطباطبائي

ابو الثناء الالوسي

السيد محمد القزويني

السيد رضا القزويني

حسين العشاري

عمر رمضان

عبد الحميد الشاوي

الشيخ صالح التميمي

عبد الباقي العمري

الشيخ موسى محي الدين

الحاج محمد علي كمونة

الشيخ صالح الكواز

الشيخ عبد الحسين الطريحي

السيد موسى الطالقاني

السيد جعفر القزويني

الشيخ عباس القرشي

الملا كاظم الازري

عبد الجليل البصري

أحمد عزت العمري

٣ - المصدر السابق .

٤ - نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر . الدكتور البصير .

بغداد . ١٩٤٦ .

الملا حسين البزاز	الشيخ جابر الكاظمي
صادق اطيّمش	عبد الغني آل جميل
محمد أسعد النائب	صالح القزويني
أبو المحاسن	السيد عبد المطلب
السيد محمد سعيد الجبوي	السيد مهدي داود
الشيخ محمد حسن كبة	الشيخ رضا الطالباني
الشيخ محمد سعيد السويدي	السيا هبوش
محمود الغرابي	عبد القادر البغدادي
السيد حسين مير رشيد	السيد نصر الله الحائري
قاسم الهر «٥»	قاسم الحميري

ومن الشعراء الذين تخطوا العهد العثماني الى عهد الحكم الوطني
الشعراء الآتية اسماءهم ٥٥٥٥

جميل صدقي الزهاوي	الشيخ عبد المحسن الكاظمي
عبد الحسين الازري	معروف الرصافي
الشيخ جواد الشبيبي	السيد رضا الهندي
السيد محمد حبيب العبيدي	الدكتور محمد مهدي البصير
السيد خيرى الهنداوي	عبد الرحمن البناء

المؤرخون

وقد نهض في ذلك العهد بعض الكتاب من المؤرخين كان لهم الفضل في

-
- ٥ - شعراء الحلة ج ١ علي الخاقاني . النجف . ١٩٥١ .
عصور الادب العربي . محمد كاظم الكفائي . النجف . ١٩٤٩ .
العراق بين احتلالين ج ٨ - المصدر السابق .
مجموعة تراجم العلماء . محمود شكري الالوسي . مخطوط . مكتبة الآثار
العراق بين احتلالين . العزاوي . المصدر السابق .

الكشف عن تاريخ القطر نذكر منهم آل الغرابي ، مرتضى آل نظمي ، الشهابي ، يوسف المولوي ، آل السويدي ، نشاطي وغيرهم .

الخطاطون :

كان للخط في تلك العهود شأن كبير لانه لم يكن آنذاك لديهم المطابع الحديثة أو الآلات الكتابة ، فكانت عنايتهم (بالخط) بالغة منذ الصغر ، وأن درس (حسن الخط) من الدروس الهامة ، فلا عجب اذا ما برز عدد كبير من الخطاطين الذين تفننوا فيه ، ولقد كان الخط أيام العثمانيين من الفنون الجميلة التي نالت عناية السلاطين والامراء والولاة . ونذكر هنا بعض مشاهير الخطاطين في مختلف العهود العثمانية وهم «٦» :

الشيخ محمد أمين الانسي	الاستاذ درويش نعمان الذكائي
الاستاذ سفيان الوهبي	الاستاذ غالب الفوزي
السيد محمد بديع بك البغدادي	فضل الله أفندي كاتب الديوان
أحمد بن الحاج سفيان الوهبي	الشيخ عبد المحسن السهروردي
بكر الصدقي	الشيخ صالح المولوي
الشيخ قاسم البغدادي	السيد عبد القادر بن عبد الرزاق
محمد أفندي المشهور (ياودود)	العلامة الشيخ أحمد السمين
عبد الوهاب النيازي	السيد خضر السيد جميل
السيد محمد درويش بن عزيز	السيد محمد أمين العطا
محمود نديم بكر الصدقي	جميل بن عبد الرحمن المدرس
الحاج محي الدين عبد الحميد مكي	عبد الجبار آل خان زادة «٧»
رشيد آل خان زادة	صالح أفندي السعدي الكبير الموصلبي
الملا محمد الدوسكي	علي أفندي الصائغ
محمد أفندي الصائغ	اسماعيل أفندي الصائغ

٦ - البغداديون ، أخبارهم ومجالسهم - المصدر السابق .

٧ - من رسالة للمرحوم صديق الدملاجي بعث بها للمؤلف بتاريخ

سياسة الإصلاح في العهد العثماني

كانت الدولة العثمانية ، خلال القرن التاسع عشر ، تتخبط في دياجير الرجعية ، وتنوء بما خلفته تصرفات (الانكشارية) لا سيما بعد المصير الذي آل اليه السلطان سليم الثالث ، تنوء بمظالمهم وأعمالهم المنكرة ، فلقد عزم هذا السلطان على التجديد والإصلاح ، ولكن الانكشارية ومن ورائهم جماعة المحافظين ، قابلوا هذه الإصلاحات بالامتناع ، باسم الدين ، حيث أنهم استطاعوا أن يصدروا (فتوى) بخلعهم ، ثبت فيما يلي نصها « ١ »

(هل يحق للسلطان الذي يحارب مسلكه وأنظمته ، القواعد الدينية ، المقدسة التي نص عليها القرآن الكريم ، البقاء على العرش ؟ !
الجواب : كلا !!)

وهكذا خلع السلطان وبعد عام من خلعهم ، قتل ، وسارت الامور على حسب ما يشتهون ، حتى تولى السلطان محمود الثاني (١٨٠٩ - ١٨٣٩ م) حيث تمكن من القضاء على ذلك الجيش المفسد الفاسد ، وشرع يقلد أوروبا في اصلاحاتها الاجتماعية ، ولما خلفه على العرش السلطان عبد المجيد (١٨٣٩ - ١٨٦١ م) كانت الدولة العثمانية تحت رحمة الدول الاوربية . وقد بادر لاعلان الإصلاحات التي كانت تريدها تلك الدول ، رغبة منها ، في الظاهر ، لتحسين أحوال الاقليات في أنحاء المملكة العثمانية .

ففي عام ١٨٣٩ م أصدر (الخط الهمايوني) الذي قريء في قصر (غلخانه) فعرف باسم (خط غلخانه) . غير ان ما جاء في هذا الفرمان من دعوات للإصلاح لم يجر تنفيذها بسرعة أو بحرص لاسباب عدة ، في مقدمتها مقاومة العناصر الرجعية . ولذلك كان هذا التباطؤ سببا في زيادة ضغط الدول الاوربية ، مما حمل السلطان عبد المجيد لاصدار منشور آخر هو (منشور

التنظيمات الخيرية) وذلك في سنة ١٨٥٦ م . أكد فيه ما جاء بخط گلخانه ، مع اضافة مبدأ هام ألا وهو (معاملة جميع تبعة الدولة العثمانية معاملة متساوية مهما كانت أديانهم ومذاهبهم) . كما قرر تنظيم أمور الدولة بوجه عام باصدار قوانين جديدة .

ولما تولى العرش السلطان عبد العزيز (١٨٦١ — ١٨٧٦ م) نظمت في أيام حكمه الاولى معظم شؤون الدولة ، ولكنه سرعان ما تنكر لجميع الافكار والآراء الحديثة التي جاء بها أثر زيارته لاوروبا عام ١٨٦٧ م . سالكا الطريق الذي سار عليه أسلافه من السلاطين المستبدين ، وارتسى في أحضان الرجعية ، وأبطل ما وضعه وزيره المفكر (فؤاد باشا) من أنظمة وقوانين . وأعاد جهاز الدولة الى سيرته الاولى « ٢ » . أما (فؤاد باشا) ذلك الوزير المصلح فلم ينس حاجة بلاده الماسة الى الاصلاح ، فقد بعث وهو على فراش الموت ، الى هذا السلطان الاهوج رسالته المشهورة تقتطف منها هذه المواد ...

١ — يجب على سلطان العثمانيين ، نبذ التقاليد القديمة والسعي لتجديد قوى الدولة ، بادخال المدنية العصرية والعلم الصحيح لتتمكن من مجاراة باقي الدول الاوربية في مضمار الحضارة والعمران .

٢ — تسليم زمام الاحكام الى أرباب الحمية والضمير الصادق وعدم الاكتراث بوشايات الاجانب .

٣ — يقتضي السعي للجمع بين قلوب الرعية ، قتل التعصب الديني الناجم عن تعدد الاديان ، والعمل (ان أمكن) على نشر المعتقدات الفلسفية . ومجمل القول أن اعتزال الدولة ، أمر التدخل في شؤون الاديان خير لها وأبقى .

٤ — من الضروري انشاء المدارس المدنية والعسكرية ومد السكك الحديد ، ونصب دوائر للبرق في أنحاء المملكة قدر الامكان ، فان لم يصر الى تعميم العلوم والمعارف ، فلن تقوم للدولة قائمة ولن تغنيها جيوشها أو مالياتها

أو زراعتها أو فالعلم هو الأساس والباقي فروع له «٢» .
وقد حمل العبء ، بعد فؤاد باشا ، (أمين عالي باشا) اذ كان شأنه شأن
سلفه . ولكن السلطان ما كان يود سماع عبارات الإصلاح أو دعاوي التجديد ،
انما كان يحب عبارات المدح والاطراء والتزلف والنفاق . حتى اذا جاء دور
(أبي الاحرار) أحمد مدحت باشا راح يسعى مع رجال حزبه ، الى إيقاف
طغيان السلاطين وتقييد سلطانهم بنطاق القانون . فقد وجد الدولة في دور
الاحتضار ، كما رأى أن (التنظيمات الخيرية) التي شرعها أستاذه الاكبر
(مصطفى رشيد باشا) بقيت حبرا على ورق ، فقرر أن الإصلاح الشامل
وحده ، هو الطريق الوحيد لخلاص المملكة من الشر والفساد والتدهور
والانحطاط .

ولقد آثر الإصلاح الدستوري على الثورة ، مع علمه بأن الدستور
لا يقوي على العيش في ظل حكومة مستبدة ، فراح يعمل رغم المشبطات المحيطة
به ، فكان ما كان من أمر خلع السلطان عبد العزيز والايان بالسلطان (مراد
بن عبد المجيد) الذي لم يدم حكمه الا (٩٣ يوما) أقصى بعدها عن العرش ،
بدعوى اختلال قواه العقلية ، ليحل محله السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦
— ١٩٠٩) عندما كان مدحت باشا أبرز رجل في تركيا . لقد كان من رأي
مدحت باشا في مثل هذه الظروف ، ان الفرصة سانحة لتحقيق الإصلاح ،
وعندما بادل السلطان الجديد آراءه الحرة في الإصلاح ، أبدى له السلطان
الجديد حماسة فائقة للحكم الدستوري ، لذلك باشر مدحت باشا باعداد
لائحة الدستور ، فألف لهذا الغرض لجنة من ستة عشر موظفا مدنيا ، وعشرة
علماء (رجال دين) ، وقائدين كبيرين . فلما فرغت هذه اللجنة من عملها ،
نشرت اللائحة باسم (قانون أساسي) «٤» . وعندما رفعت الى السلطان عبد الحميد

٣ — مدحت باشا — المصدر السابق .

٤ — الاسلام في القرن السابع عشر . كارل بروكلمان . بيروت . ١٩٥٥ .

راح يحذف ويعدل ويضيف ما شاء من النصوص والعبارات ، ويكفي ان نقول ان من جملة ما حذف من المواد هذه المادة ٥٥٠ .

« تأسيس مدارس عامة يتلقى فيها أبناء البلاد على اختلاف طبقاتهم ومللهم مبادئ العلم الصحيح (٥) » .

وهكذا باشر السلطان بالتدخل بالامر وأخذ يتنكر لهذه الخطوات الإصلاحية . ولولا تردي الوضع الدولي لما أعلن الدستور ولكنه أعلنه مضطرا بتاريخ (١٢ / ١٢ / ١٨٧٦ م) . فكان هذا الاعلان من أهم الوقائع في تاريخ الدولة العثمانية ، ومنذ اللحظة التي أعلن فيها هذا الدستور أذاع مدحت باشا أمرا الى جميع الولاة ورجال الحكم والادارة يدعوهم فيه للعمل بمقتضى الدستور ونشر الحق والعدل بين جميع الطبقات وتطبيق قواعد المساواة دون تفریق بين طائفة وأخرى ، ثم باشر باتخاذ بعض الإصلاحات المستعجلة .

ولكن عبد الحميد كان يضمر عكس ما يظهر ، فما هي الا أيام حتى اعتقل وزيره ، وثفاه الى خارج المملكة ، وراحت الامور تجري على عكس ما يريد وتلفت يمنة ويسرة ، فلم يجد حوله الا عواطف المسلمين يلهبها لشد أزره ، فراح يستعين برجال الدين ، حاملا لواء الدعوة الى (الجامعة الاسلامية) ليجعل من نفسه حاميا حمى المسلمين . ولذلك زادت عنايته برجال الدين ، وعني بفتح المدارس والمعاهد الدينية حتى قيل أنه كان يعيش في استانبول وحدها أكثر من (اربعين ألفا) من طلبة المعاهد الدينية الاسلامية ، وأكثر من (٥٥٠ مدرسة دينية (٦)) . ولكن هذه الحال لم تهئ للسلطان ما كان يريد ، فقد اضطرته الحوادث في النهاية الى اعلان الدستور الذي عطله قرابة (٣٢ عاما) ، اذ أعلنه ثانية تحت ضغط الاحداث يوم (١٧ / ١٢ / ١٩٠٨) قائلا « لقد كافحت من أجل نشر الرقي في أرجاء مملكتي . واني احمد الله

٥ — عبد الحميد ظل الله على الارض . المصدر السابق .

٦ — غرائب الاغتراب ونزهة الالباب . ابو الثناء الالوسي . بغداد ١٣٢٧ هـ

أن حقق لى هذا الهدف ، فعمت الثقافة بين جميع طبقات السكان » •
وعلى الرغم من هذا التطور السريع وهذه الاحداث المتلاحقة فان القوى
المحافظة والرجعية التي كان يسندھا السلطان قامت بعمل باسم « الجمعية
الاسلامية » أو « الجمعية المحمدية » وتدعو لحماية « التقاليد القديمة ، ودين
الاسلام ، من عبث الماسون والمرتدين واليهود (٧) » • غير ان هذا النشاط
لم يجد نفعا ، فقد زحف الجيش من سالونيك بقيادة محمود شوكت باشا نحو
العاصمة لوضع حد لهذه الفوضى فلما دخل العاصمة ، ارتفع الهتاف بحياة
قوانين الاسلام ، وبموت عبد الحميد • ولكن عبد الحميد لم يمت انما نحي
عن العرش بقرار من المجلس الوطني فانهى عهده بسفره الى منفاه فى سلانيك
يوم ٢٨ نيسان ١٩٠٩ •

أما ثورة الجيش التي أطاحت بعبد الحميد فقد كانت من عمل جمعية
(الاتحاد والترقي) تلك الجمعية التي كانت سرية غايتها القضاء على استبداد
السلطان ، كان قد شكلها رجال (تركيا الفتاة) فى سالونيك ، فلما انتقلت الى
العاصمة واصبح زمام الامور بيدها ، فتحت لها فروعاً فى المدن العثمانية ،
وانضم اليها المواطنون العثمانيون على اختلاف أجناسهم وعناصرهم ، فأصبحت
الجمعية صاحبة السلطة المطلقة فى البلاد واستطاعت خلال السنوات الخمس
التي سبقت الحرب العالمية الاولى ان تستمر فى الحكم ما عدا فترات قليلة ،
وان تقيم ذلك الحكم على أساس من الاستبداد لا يقل عن استبداد عبد الحميد
ولا يختلف عنه الا بالنوع • ولقد طرح رجالها مبدأ المساواة بين العثمانيين
جانبا وراحوا يسعون لترويج المصلحة التركية على حساب اخوانهم العثمانيين
ولذلك راحوا يحكمون على أساس السيادة العنصرية للجنس التركي وفضلا
عن ذلك فانهم تشددوا بالاخذ فى مبدأ الحكم المركزي (٨) •

٧ - عبد الحميد ظل الله على الارض - المصدر السابق .

٨ - نقطة العرب - جورج انطونيوس - ترجمة علي حيدر الركابي

وعلى الرغم من مساويء هذه السياسة فإن رجال هذه الجمعية الاتراك لم يبالوا بالعواقب الوخيمة المرتقبة من هذه النعرة التي أثاروها، انما اتبعوا في سبيلها خطة رغاء لتتريك جميع الشعوب التي تتكون منها المملكة العثمانية، وركزوا جهودهم في هذا المجال بالدرجة الاولى على العنصر العربي (٩) • فلم يكتفوا باستعمال الصحافة والمنظمات السياسية لتحقيق أغراضهم بل اتخذوا الدين وسيلة لتحقيقها ، فقد اوعزوا الى احد علماء الدين المدعو (عبيد الله) بالدعوة للمذهب الجديد ، فراح يخطب في جامع أيا صوفيا قائلاً :

« أيها الاتراك المسلمون ، كفاكم وهنا ومسامحة انفضوا عنكم هذا الغبار ، وامحوا من مساجدكم أسماء الخلفاء الراشدين وآل الرسول ممن لا يعينكم أمرهم ، واكتبوا بدلها أسماء الابطال الاتحاديين أمثال ، طلعت وجمال وانور وجاويد الذين هم أولياء الله الصالحون قدس الله سرهم » • وقد جمعت الحكومة الاتحادية خطب هذا الشيخ في كتيب نشرته بعنوان (شعب جديد) وطبعت منه ملايين النسخ ووزعتها مجاناً على الشعب التركي (١٠) •

ان هذه السياسة الرغاء أثارت الروح القومي عند الشبان العرب الموجودين في استانبول فحمى الوطيس بينهم وبين الاتراك وأسسوا الجمعيات السياسية السرية والعلنية لهذا الغرض •

لقد كان للسياسة لتركية الطورانية التي لم تكن تعترف بحقوق القوميات الاخرى ، الاثر القوي في مختلف مجالات الحياة العامة في العراق وفي غيره من الاقطار العربية الاخرى ، برزت صورته واضحة في السنوات القليلة التي سبقت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ •

٩ - اسرار الكفاح الوطني في الموصل ج ١ عبد المنعم الغلامي بغداد ١٩٥٨ •
١٠ - في غمرة النضال - سليمان فيضي - المصدر السابق •

الاصلاحات الخيرية والمدارس

من الممكن القول بأن صدور (خط كلخانة) ومنشور (الاصلاحات الخيرية) ما كان يتم الا بسبب دافعين أساسيين هما (١) :

١ : — اقتناع رجال الدولة المستنيرين بضرورة اصلاح ماكنة الدولة وتجديدها على أساس اقتباس النظم الاوربية من غير مساس بالاحكام الشرعية .

٢ : — ضغط الدول الاوربية ، ومطالبتها باصلاح أحوال المسيحيين التابعين للدولة العثمانية .

فلقد وقفنا في الفصل السابق على الصراع العنيف بين القوى التقدمية الراغبة في الاصلاح ، والقوى الرجعية المحافظة ، التي كانت ترى في هذه الاصلاحات ، اعتداء على حقوقها وتقييدا لسلطانها ، ثم فوق هذا وذاك ، خروجاً على قواعد الدين الحنيف !!

ومهما كانت تلك المعارك او ذلك الصراع عنيفاً ، فقد استطاع بعض رجال الدولة المستنيرين من زحزحة هذا الحاجز عن الطريق ، وكان في مقدمة هؤلاء الرجال (مصطفى رشيد باشا) (ابو التنظيمات) . فلقد استطاع هذا الرائد أن يفتح ثغرة في صف تلك القوى الرجعية ثغرة نفذ منها لاصدار قوانينه الاصلاحية ، اما تلك الثغرة فلها قصة نلخصها بما يلي :

لقد كان التعصب الديني سائداً في الدولة العثمانية ، وكان رعايا الدولة العثمانية ، من غير المسلمين مضطهدين أقصى أنواع الاضطهاد . ويكفي أن نشير الى أنه لم يكن لاحد من غير المسلمين الحق في اداء الشهادة امام المحاكم . فتجاه هذه الحال اراد (مصطفى رشيد باشا) رفع هذا الحيف وغيره ، فاجتمع بسجل (العلماء) (٢) ووجه اليهم السؤال الآتي :

١ — البلاد العربية والدولة العثمانية — المصدر السابق .

٢ — أي اكابر رجال الدين .

— ألا يمكن قبول شهادة غير المسلم في الجهات التي لا يوجد فيها رعايا مسلمون ؟!

نظر العلماء بعضهم الى بعض ولكن سرعان ما جاء جوابهم ... (لا مساع شرعي لذلك على الاطلاق !!)

فلما سمع (مصطفى باشا) هذا الجواب ، استغرب ولكنه لم ييأس ، بل راح يجادلهم قائلا ... ان هذا يعني كثرة الاعتداءات على رعايا الدولة من غير المسلمين يرتكبها المسلمون الذين لا يشهد أحد ضدهم في المحاكم لا سيما اذا وقع الاعتداء منهم في مناطق أكثريتها غير مسلمة !! ان هذا غير معقول ، ولا بد من حل لذلك !!

وهكذا بعد الجدل والنقاش استطاع (الباشا) أن يستل من المجلس هذه الجملة المتضمنة للرأي الاول وهي ...

(الا انه يجوز للحكومة أن تتخذ ما تراه من التدابير الادارية في مثل هذه الحالات ، اذا صدر أمر سلطاني بذلك ، لان الاوامر السلطانية المبنية على المصلحة العامة ، تكون مطاعة وواجبة التنفيذ) . وعلى أساس هذا الترخيع الشرعي ، راح رجال التنظيمات يصدرن الانظمة والقوانين على شكل أوامر سلطانية يأمر بها (ولي الامر) . ولذلك يعتبر عهد التنظيمات ، بداية عهد تقدم ونهوض في الدولة العثمانية ، لا من وجهة الشؤون الحكومية فحسب ، بل من وجهة الامور الادبية والثقافية أيضا .

وعلى هذا الاساس كذلك أصدر السلطان عبد المجيد (خط كلخانة) ، ومنشور الاصلاحات الخيرية ، و (تشكيلات المعارف) ، الذي أمر فيه حكومته بانشاء (المكاتب الحديثة) ليتلقى فيها !بناء البلاد العلوم والفنون والصناعات ، كوسيلة لترقية الشعب ماديا ، ومحو الجهل في الشؤون الدينية والشؤون الدنيوية .

وهكذا عندما صدرت تشكيلات المعارف ، راحت الحكومة العثمانية

تهتم بشؤون التعليم الابتدائي • أما التعليم الثانوي والعالي فقد سكت عنه • وبعد أن كانت الاوقاف تغذي (المدارس) العلمية من وارداتها فقد أغفلت الدولة أمور الاوقاف أيضا ، ولم تحرك ساكنا بغية اصلاح حالة تلك المدارس تمشيا مع الحركة الاصلاحية ، فأدى هذا الاغفال واهمال الاوقاف ، فضلا عن التدهور الثقافي الذي تميز به ، العهد العثماني الاخير ، أدى الى أن تصبح المدارس تلك في حالة ضعيفة جدا من التأخر ، وأن تصبح الاوقاف لقلة العناية بها ، مأكلا لاناس عاطلين « ٢ » •

ولئن كان لتلك الاصلاحات الخيرية آثارها السريعة في دار الخلافة وبعض الامصار الاخرى الخاضعة للامبراطورية العثمانية ، فقد كان أثرها بطيئا جدا في العراق ، ولذلك لم يكن للتعليم الحديث أي أثر قبل عام ١٨٧٠ م ، لانه بفضل المصلح الكبير مدحت باشا (١٨٦٩ م — ١٨٧٣ م) وجدت مدرستان رشديتان ، (احدهما عسكرية والاخرى ملكية) ليس غير !

ولقد ظل العراق على الرغم من مرور فترة طويلة على صدور التنظيمات الخيرية ، والقوانين المستندة اليها ، ظل على درجة ملحوظة من التأخر الثقافي والتبلبل الفكري ، ولكن هذه الاصلاحات أثرت تأثيرا كبيرا في تنوير الافكار ، وزاد مفعولها وتعاضلها ، بعد اعلان المشروطية عام ١٩٠٨ م ، وقد وجد الناس ان ارتشاف العلم والمعرفة من المدارس الحديثة أجدى لهم وأنتفع ، فقد تفتحت آفاق الدنيا أمامها ، ولم يعد لاسلوب الدراسة القديم في المدارس من نصير ، لذلك سارعت بعض الاسر تدخل أبناءها ، أما في المدارس الاهلية ، وأما في المدارس الرسمية وأما بارسالهم الى استانبول لاكمال تحصيلهم العالي فيها • وهكذا أخذ شأن (المدارس) العلمية يقل كلما تقدمت الايام وتطورت الاحوال

على الرغم من كون (المكاتب الجديدة) ان هي الا وسيلة للاعلان ليس غير «٢» .
وقبل أن نختم هذا البحث لابد لنا من القول ، بأن فضل (المدارس
العلمية) على العراق كان عظيما بدون شك ، اذ لولاها لقضي على اللغة العربية
وعلى التراث العربي الاسلامي الذي ضمته خزائن الكتب فيها ، وحافظت عليه
من التلف والضياع ، مما يعتبر اليوم ، من نواذر المخطوطات ، وثمانين التراجم
والتأليف ، وفضلا عن كل ذلك فيكفي أنها أنجبت العدد الكبير من أكابر
العلماء ومشاهير الادباء والشعراء في تلك العصور المظلمة .



الدولة العثمانية والتعليم الحديث

يقتضينا التطور الذي حدث في حياة الدولة العثمانية لا سيما في عهدها الأخير ، أن نعطي القارئ فكرة تاريخية عن نشأة النظم التعليمية الحديثة وتطورها في أوروبا ، لنرى كيف وصلت فيما بعد ، وطبقت الى حد ما في الامبراطورية العثمانية .

كان القرن الخامس عشر مسرحا لنهضة أدبية في أوروبا . وقد اتخذت تلك النهضة في القرن الذي تلاه ، صبغة دينية نقدية ، وظهرت دعوات اصلاحية من بين تلك الصيحات ، وكان في مقدمة هؤلاء (لوتر) ، و (ملانكتون) وغيرهما . لقد رأى هؤلاء المصلحون ، بأن سعادة الامة تتوقف على تعليم كل فرد من أفرادها ليقوم بواجبه . ومع أن هذه الفكرة لم تختصر في مختلف البلدان الاوربية الا بعد انتشار الافكار والنظريات السياسية ، لا سيما في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، الا أنها كانت قد تركت آثارا بارزة ترتب عليها ما يلي :

- ١ - نشوء فكرة تعميم التعليم .
 - ٢ - وجوب جعل التعليم الزاميا يشمل جميع أفراد الشعب .
 - ٣ - ليس في وسع هيئة غير الحكومة أن تقوم بنشر التعليم الالزامي . ومن هذه الآراء والدعوات . نشأت فكرة انتقال الاشراف على التعليم من أيدي رجال الدين الى أيدي غيرهم من (العلمانيين) . وأهم من ذلك انتقاله الى الحكومات نفسها ، لأنها تملك من الوسائل والاسباب التي لا تملكها الهيئات الاخرى ، كما أنها يمكنها الاشراف عليه اشرافا مجديا ، وتنظيمه والاتفاق عليه واتخاذ الخطوات التي تسكن كل فرد من أفراد المجتمع من الحصول على القسط الكافي من التعليم .
- ولم يقتصر الامر على حد التعبير النظري ، بل جاوزه (ملانكتون) الى مسألة التطبيق العملي ، حين وضع خطة للتعليم في سكسونيا ، كان لها أثر كبير ،

اذ سارت عليها المدارس الالمانية فيما بعد ، ولذلك تعتبر هذه الخطة ، أول خطة نظامية يعرفها تاريخ التربية .

ثم جاء القرن السابع عشر ، فاتجه الميل الى العناية بالحقائق والمعاني ودرسها عن طريق الملاحظة والاستقراء . كما اتجه الى تعميم التعليم ، ونقل الاشراف عليه الى أيدي الحكومة وذلك عن طريق وضع نظم عامة للتعليم .

أما القرن الثامن عشر ، فقد تمخض عن تطور عظيم ، اذ كانت فيه نهاية نظام الاقطاع ، والقضاء على امتيازات الاشراف ، وتجلت فيه فكرة (الديمقراطية) في التربية ، كما نشأ فيه التعليم الاولي الالزامي وظهور الفردية في التربية والسياسة . وكما أعلنت حقوق الانسان أعلنت كذلك حقوق الطفل أيضا .

لقد احتضنت المانيا هذه الآراء . وطبقت فيها وأخذت سيادة الدولة تحل محل سيادة الكنيسة تدريجيا في شؤون التعليم .

أما فرنسا فقد تباطأت قليلا بالاخذ بنظرية المركزية هذه ، الى أن تولى نابليون . حيث أخذ في السنين الاولي من حكمه يقيم في البلاد نظاما مركزيا موحدا للتعليم . وفي عهد لويس فليب (١٨٣٠ - ١٨٤٨ م) نظم التعليم الابتدائي ، وجعل مجانيا ، فاجباريا ، وعلمانيا في عهد الجمهورية الثالثة . فقد صدر قانون (جيزو) الخاص بالمعارف الذي أقر فيه بمبدأ قيام السلطات بالاتفاق على التعليم الاولي . كما أنه نص على قيام ميزانيات محلية للاتفاق عليه ، ووجود مجلس محلي للتعليم يكون له حق الاشراف والتفتيش واصدار التعليمات وتعيين المعلمين وفصلهم الخ . ويمكن تلخيص المبادئ التي قام عليها قانون (جيزو) بما يلي :

١ - استبعد الالزام في التعليم لانه مضاد لحرية الاسرة .

٢ - المجان المحدود للاهالي .

٣ - جعل التنافس قائما بين الحكومة من جهة ، والافراد والهيئات من

جهة اخرى ، لنشر التعليم الاولى والاهتمام به وبشؤونه «١» .
وفى أوائل القرن التاسع عشر ، أي هذا العصر الذي برزت فيه هذه
النظريات التربوية الحديثة ، كانت الدولة العثمانية فى حالة الاحتضار ، اختلت
أمورها وساد الاضطراب شتى نواحيها ، فالبلقان فى ثورة مستمرة والعراق
والشام والحجاز واليمن والعسير وبلاد الكرد ، تشكو فساد الادارة المطلق .
والخديوي قد شق عصا الطاعة وأعلن على الدولة حربا شعواء واستولى على
سوريا ، كما برز من قلب الجزيرة الوهايون ، فى حين استشرى الجيش
الانكشاري ، واقلب داء عضالا ينخر فى جسم الدولة ، وكنتيجة لمثل هذه
الاضاع المتردية ، باتت (كما رأينا) الناحية العلمية والثقافية فى اسوأ درك ،
اذ قلت العناية بالعلوم الرياضية والفلسفية والطبيعية وبالعلوم العربية وآدابها ،
وطغت عليها اللغة التركية والعامية ، وانحطت حركة التأليف فيها انحطاطا كبيرا ،
وخمدت القرائح ، والتوت الاساليب ، وانعدم الابتكار ، فعمد المدرسون الى
ما أمامهم من حقائق العلوم . وما ألف فيها ، وراحوا يختصرونها اختصارا مخلا ،
فى (متون) منظومة أو منشورة ، وبأساليب ركيكة ، وعبارات غامضة ، ثم
صاروا فيما بعد يحاولون حل رموز تلك (المتون) فى كتب اخرى تسمى
(الشروح) ، ثم يأتي غيرهم ليوضح ما انطوت عليه تلك الشروح بـ (حواشي)
ليأتي بعدهم آخرون يعلقون على تلك الحواشي بـ (التقارير) «٢» .

وهكذا انحرفت العقول فى هذا العهد انحرافا بارزا ، وراجت فيه الكتب
الرازية على الدنيا ، الناعية على أهلها ولوعهم بها . وأكثر المؤلفون من ايراد
الحكايات عن الزهاد والمتصوفة ، فاشربت نفوس المسلمين ، الاستكانة
والذلة ، وتوجهت الى اثار الزهد والاقبال ، واعتمدوا على الاوهام ، وعولوا

١ — تاريخ التعليم فى عصر محمد علي — الدكتور عزت عبد الكريم
٢ — اصول التربية ونظام التعليم علي عبد الواحد وافي — القاهرة
ابراهيم ولي ١٩٥٥
الدكتور محمود زكي

في تصرفاتهم على الخرافات والاضاليل ، فانحطت مداركهم ، حتى اذا ما جاءتهم العلوم الاجنبية ، ظنوها كفرا ، فتألبوا على معارضتها لا سيما العلوم الطبيعية منها ، فقد أصبح هذا العلم عندهم من الرجس الذي لا يصح أن يقربه مسلم يؤمن بالله وباليوم الآخر !

وقد وقر في النفوس ، أن ليس في الامكان أبدع مما كان ، وان الامة يكفيها أن تكون عالة على أسلافها في جميع الكليات والجزئيات ، ليس فهي الامور العبادية ، بل وفي جميع المسائل الشرعية مما يختص بالمعاملات أيضا «٢» . وعلى الرغم من كون الدولة العثمانية على تماس مباشر مع الغرب ، فان سيطرة رجال الدين والقوى الرجعية عليها ، لم تتح لها فرصة الاستفادة من التطور العلمي الذي حل في الغرب ، لان كل فرصة كانت تنهياً لها في هذا المجال كانت تصطدم بهؤلاء ، ولعل قصة ادخال الطباعة الحديثة وهي عامل مهم في نشر الثقافة ، جديرة بالتسجيل في هذا البحث ، لانها تعطينا صورة عما وصلت اليه سطوة رجال الدين آنذاك ...

ان قصة الطباعة الحديثة ، ودخولها الى عاصمة السلطنة ترجع الى القرن السابع عشر ، اذ كانت أول مطبعة فيها ، مطبعة أسسها رجل يهودي يدعى (اسحق جرسون) . ولكنها كانت تطبع بالحروف العبرية فقط . أما الطباعة بالحروف العربية فدخلت الاستانة لأول مرة ، بتأييد وتشجيع من الصدر الاعظم (ابراهيم باشا) عام ١٧٢٠ ، اذ قام المدعو (ابراهيم متفرقة) بوضع أسس أول مطبعة عثمانية اسلامية في ذلك التاريخ . غير أن اقامة هذه الماكينة وتشغيلها ما كان يتم لولا الحصول على فتوى من شيخ الاسلام . ونظرا لاهمية هذه الفتوى ثبت نصها أدناه :

السبب

(ما قولكم دام فضلكم فيما يقوله زيد ويدعيه عمرو من أنه يقدر على نقش

صور كلمات وحروف المؤلفات في العلوم الآلية ، القواميس ، المنطق ، الحكمة ، الفلك ، وجمعها في قالب وطبعها على الورق واستحصل نسخ كثيرة من هذه الكتب ، فهل يجوز له ذلك شرعا ؟! افتونا ماجورين !!) .

الفتوى

(ان زيدا الذي برع في صناعة الطبع ، اذا نقش صحيحا على الورق فانه يحصل على نسخ كثيرة من غير عناء وتعب ، وهذا مما يستوجب رخص اثمان الكتب والمؤلفات ، ومن ثم تتداولها الايدي ، وبذلك تعم الفائدة وتشمل كل طبقات الناس . وعليه يجوز شرعا الطبع على الوجه المذكور ويستحسن تأليف لجنة لتصحيح الكتب المراد نقشها والله اعلم) (٤) .

وليس من شك في أن الجهود التي بذلها الصدر الاعظم ابراهيم باشا ، هي التي أصدرت هذه الفتوى . لان الوقائع أثبتت فيما بعد ، مقدار ما كان يضره العلماء لابراهيم متفرقة ، من بغض وعداء ، لانه لما مات عام ١٧٤٥ م وتوقفت مطبعته عن العمل ، تنفسوا الصعداء ، ولكنه على كل حال كان قد أشعل الجذوة وأثار الطريق ، لان الكتب التي نشرها كان لها الاثر البعيد في نشاط الحركة الثقافية في نهاية القرن الثامن عشر « ٥ » .

ان هذا التردي والانحطاط العام في كافة شؤون الدولة . ما كان يحدث لولا ضعف شخصيات السلاطين واستسلامهم المطلق للقوى الرجعية المؤثرة في الحكم ، الا أنه على الرغم من ذلك فقد قامت محاولات جريئة للإصلاح كان أولها ، القضاء على (الانكشارية) . فقد تمكن السلطان محمود الثاني ،

لقوته ، من استحصال (فتوى) توجب افناء هذه الفئة الباغية ، فأخذ بعد الخلاص منهم يسير في تنظيم جيشه على الاسس الاوربية ، كما أنه أمر بتأسيس مكاتب للصبيان على النهج الحديث عام ١٨٢٤ م «٦» . وقد حاول تحسين حالة رعاياه المسيحيين ، فأعلن نفسه نصيرا للتسامح ، ولكنه فشل في الحصول على مساعدين مخلصين في هذا المجال (٧) .

ولما تولى شؤون الملك ، السلطان عبد المجيد ، أظهر هو الآخر رغبة في التجديد والاقتراس من الغرب ، وكانت الدول الاوربية آنذاك تنظر الى الدولة العثمانية نظرتها الى (الرجل المريض) ، فراحت تتدخل في شؤونها ، وتطالبها باصدار التشريعات اللازمة للإصلاح ، وهكذا صدر (خط غلخانه) سنة ١٨٣٩ م الذي رسم الخطوط العامة للإصلاحات ، وعلى أساس ذلك قامت محاولات لإصلاح التعليم ، فتكونت عام ١٨٤٥ م ، لجنة خاصة لهذا الغرض ، قررت الاخذ بالنهج الغربي ، وعلى أساس توصياتها صدر منهج التدريسات سنة ١٨٤٨ م ، وان كان لم يطبق الا في عام ١٨٦٩ م (٨) . وفي ذلك التاريخ ايضا تم افتتاح (المكاتب الرشدية) والمدارس الفنية ، لتخريج الموظفين من مدنيين وعسكريين في المملكة (٩) .

ومهما يكن من شيء فان هذه الإصلاحات والاعمال ما كانت تتم لو لم يكن هناك رجل فذ مؤمن بها ، متفان في سبيل تحقيقها خدمة لبلاده ، ذاك

٦ - من رسالة خاصة بعث بها للمؤلف سيادة الدكتور ابراهيم عاكف الالوسي سفير العراق في أنقرة سنة ١٩٥٣ جوابا على أسئلة تخص شؤون التعليم في تركيا في ذلك العهد . وكان قد استحصل هذه المعلومات من وزارة المعارف التركية .

٧ - المسألة الشرقية ومؤتمر باريس . الدكتور محمد مصطفى صفوت . القاهرة ٩٥٨ .

٨ - المسألة الشرقية ومؤتمر باريس . المصدر السابق .

٩ - راجع بحث (التواريخ المهمة) في سالنامة ولاية بغداد لسنة ١٢٩٩ هـ

هو (مصطفى رشيد باشا) • غير أنه ما ان تخلص عن الحكم حتى خارت قوى الإصلاح وضعفت أمام القوى والعناصر الرجعية ، ولذلك لم يستطع الشعب من متابعة السير في تلك السياسة الإصلاحية التي نادى بها رشيد باشا •

ولكن ضغط الدول الأوروبية لم يفتربل تزايد ، حتى اصدر السلطان منشور الإصلاحات الخيرية سنة (١٨٥٦ م) ، أكد فيه ما قرره (بخط كلخانة) مضيفا اليه مبدأ هاما هو « معاملة جميع تبعة الدولة معاملة متساوية مهما كانت أديانهم ومذاهبهم » • وصرح في الوقت نفسه ، بابقاء الحقوق والامتيازات الممنوحة لرؤساء الملل (غير المسلمة) • كما أنه قرر تنظيم شؤون الدولة بوجه عام ، باصدار قوانين جديدة (١٠) •

ولما آل الامر الى السلطان عبد العزيز كان المأمول ان تسير الامور في زمانه في سبيل النهوض والترقي على الاسس العصرية الحديثة • لكنه كان على العكس، اذ أصبح مثالا سيئا من أمثلة الملوك المستبدين، ورمى بالخطوات الإصلاحية جانبا وأبطل جميع الانظمة والقوانين ، التي وضعها له وزيره المفكر (فؤاد باشا) ، بما فيها (نظام المعارف العامة الذي صدر سنة ١٨٧٠ م) وعاد جهاز الدولة في زمانه الى سيرته الاولى •

ثم تتابعت الايام ، وتتالت الحوادث ، حتى آل الامر الى السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٨٧٦ م • وكان مدحت باشا كما رأينا ، رجل تركيا الذي تزعم حركة الإصلاح في البلاد ، وتمكن من اعلان الدستور في تلك السنة ، ولكن السلطان أخذ ألقاسه • غير أنه عاد مرغما بعد ٣٢ عاما معلنا (المشروطة) عام ١٠٩٨ م • وبقدر تعلق الامر بشؤون التعليم في البلاد العثمانية ، ندرج فيما يلي النصوص الواردة في الدستور عنه وهي (١١) :

١٠ - البلاد العربية والدولة العثمانية . الحصري . المصدر السابق .
١١ - كنز الرغائب من منتخبات الجوائب . ج ٦ . المصدر السابق .

المادة الخامسة عشرة : أمر التدريس يكون مطلقا • وكل عثمانى مأذون بالتدريس خصوصيا كان أو عموما ، على شرط ، اتباع القانون المعين •
المادة السادسة عشرة : توضع جميع المكاتب تحت نظارة الدولة •
ويجب التثبيت في الاسباب التي تجعل التربية العثمانية على نسق واحد في الاتحاد والانتظام • ولا يقع خلل في أصول التعليم المتعلق بأمور معتقدات الملل المختلفة •
أما بالنسبة للتعليم في الولايات العثمانية المختلفة فقد نص عليه في هذه المادة :

المادة ١١٠ - ان وظائف المجالس العمومية ، كما سيصرح به القانون المذكور ، هي المذاكرة والمفاوضة في الامور النافعة لتنظيم الطرق والمعابر وترتيب الصناديق وترقية أسباب الصنائع والتجارة ، ونشر المعارف العمومية التي تعود منفعتها على العموم الخ •••
وبموجب المادة (١١٤) من الدستور أصبح التعليم في كافة أنحاء الامبراطورية الزاميا ، اذ تنص هذه المادة ••
المادة ١١٤ : - ان التعليم الابتدائي يجعل اجباريا على كل فرد من جميع افراد العثمانيين • وستعين درجات ذلك وفروعه في نظام مخصوص •



وهكذا وبعد مرور ما يقرب من المائة عام على مبدأ اهتمام الدولة العثمانية بشؤون التعليم ، وضرورة السير به على النهج الغربي الحديث أسوة بالدول الاوربية الاخرى ، فان تاريخها في هذا الحقل يمكن تلخيص النتائج التي تمخض عنها بما يلي :

١ : - ان الدولة العثمانية قد تأثرت وهي تتبع نظام المدارس الحديثة في بلادها بالنظام الفرنسي تأثرا واضحا •

٢ : - انها حاولت جعل التعليم الابتدائي الزاميا على كل فرد من الرعايا العثمانيين •

- ٤ : — انها طبقت نظام الولايات ، وجعلت نشر المعارف العمومية من اختصاصات مجالس تلك الولايات وكانت متأثرة الى حد بعيد بقانون (جيزو) الآنف الذكر .
- ٥ : — أصبحت الدولة هي المشرفة على جميع التدريسات في المدارس اذ أصدرت منهج التدريسات عام ١٨٤٨ (وطبقته عام ١٨٦٩) وعينت لهذا الغرض مفتشين خاصين .
- ٦ : — انها اعترفت تحت ضغط الدول الاوربية بحقوق الاقليات ، غير المسلمة في بلادها ، ومنحتهم حق انشاء المدارس الخاصة بهم شريطة أن يدرسوا العلوم علانية وتحت مراقبة الحكومة . وان لا تخل دروسها بالآداب والراحة العامة .
- ٧ : — منحت الارساليات التبشيرية حق الاقامة في أي جزء من امبراطوريتها وانشاء المعابد والمؤسسات الخيرية كالمدارس والمستوصفات وجعلت لقناصل دولهم حق حمايتهم والدفاع عنهم عند الحاجة ..



العراق والمدارس الحديثة

على الرغم من تلك الاحداث والتطورات التي حدثت في مقر السلطنة وأثرت تأثيرا كبيرا في مجرى الحياة السياسية عامة ، على الرغم من كل ذلك فقد كان العراق بعيدا عن مجرى هذه الاحداث ، لم ينل من آثارها شيئا يذكر . ولم يكن له من تلك التنظيمات والاصلاحات ، ولا سيما في حقل التربية والتعليم ، الا السماع بأخبارها التي كان يتلقاها بشيء من الريبة والحذر .

ولعل من المفيد أن نبين هنا ما تركه اعلان (خط گلخانه) واصدار (منشور الاصلاحات الخيرية) من رد فعل في العراق ، فلقد أوجس العراقيون خيفة مما جاء فيهما ، اذ كانوا يرون ان هذه التنظيمات ستؤدي الى تقوية سلطة الدولة عليهم (وكأنها لم تكن كذلك) فوققوا بوجهها ، يعارضونها ، ويعارضون ما جاء فيها من مبادئ ، لا سيما تلك التي تدعو الى المساواة بين رعايا الدولة كافة ، مهما اختلفت نحلهم ، وتعددت مللهم واجناسهم . وخصوصا لما تناهى لهم بأن هذه الاصلاحات ما صدرت الا تحت ضغط الدول الغربية ، بدعوى الانتصار (للنصارى) ، اذ تولدت فيما بينهم تيارات ضد الغربيين واصبحوا يخشون ، لا من تطبيق مبادئ تلك التنظيمات ، بل مما يكمن وراءها من شرور ، أظهرها الرغبة في اضعاف شوكة الدين وتفريق كلمة لمسلمين (١) .

ولذا يمكن القول ، ان ما جاء في تلك التنظيمات ، وما صدر عنها ، أو ما صدر استنادا اليها من انظمة وقوانين ، لم تطبق او تنفذ في العراق الا بصورة بطيئة جدا ، وأقل شمولاً من بقية الاقطار العربية الاخرى التي كانت خاضعة لحكم العثمانيين أيضا (٢) .

١ - تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ . العزاوي . المصدر السابق .

٢ - يقظة العرب . جورج انطونيوس . المصدر السابق .

لقد صاحب تلك التطورات الدستورية ، دعايات متباينة ، وأفكار مشوشة ، ازداد على أثرها التعصب الديني ، وكثرت التعديات على الطوائف غير المسلمة ، حتى صار المسيحيون يشعرون بأن الدولة العثمانية غريبة عنهم ، اذ كانت تعتبرهم رعايا ولكنهم يتوجهون نحو الدول الاوربية التي كانت تحميهم ، وتقدم لهم بعض المساعدات في كثير من المناسبات «٢» .

ولذلك فان صدور تلك التنظيمات أنتاج زيادة في الترابط بين الجماعات المسيحية بسبب تنظيم شؤون البطركيات ، والاسقفيات ، وتكوين المجالس الجسمانية والروحانية ، كما حمل هذا الوضع منتسبي هذه الطوائف على العمل المشترك في مؤسساتهم الدينية والخيرية بكل ودوتعاون . وفوق هذا أفسح ضعف الدولة العثمانية ، المجال للدول الاوربية بالتدخل ، بحجة حماية الاقليات المسيحية ، وقد ضمنت لها ذلك الحق بمعاهدة باريس (التي عقدتها بتاريخ ٣٠ مارت ١٨٥٦ م) . ومعاهدة برلين (التي عقدتها بتاريخ ١٣ تموز عام ١٨٧٨ م) وراحت تلك الدول تتنافس في نشر نفوذها في مختلف الارحاء العثمانية . فانتشرت ارسالياتها في المدن والقرى التي يكثر فيها المسيحيون . وراحت تنشر فيها المدارس والمؤسسات الخيرية ، كلك التي أنشأتها في الموصل وبغداد والبصرة .

وهكذا كان صدور تلك التنظيمات عاملا لنشر المدارس في الاوساط المسيحية أو الاسرائيلية ، بينما لم تتسرب مبادئ تلك الاصلاحات بالنسبة لعامة السكان في العراق الا ببطء . ولم تنتج شيئا يتفق وعظم شأن تلك المباديء التي دعت لاجرائها (٤) .

ولم يباشر باثشاء المدارس الحديثة ، الا في زمن المصلح الكبير الوالي مدحت باشا (١٨٦٩-١٨٧٢ م) على الرغم من مرور ما يقرب من الثلاثين

٣ - البلاد العربية والدولة العثمانية . الحصري . المصدر السابق .

٤ - اربعة قرون من تاريخ العراق . لونكريك . المصدر السابق .

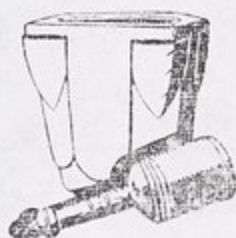
عاما على تأسيس المدارس في استانبول أو الولايات العربية الاخرى !! ومع هذا فان المدرسة التي أنشأها مدحت باشا عام ١٨٧٠ م ، لم تكن مدرسة بالمعنى الصحيح الا أنها على كل حال كانت خطوة في سبيل الاصلاح ، ومحاولة لاعتبارها نقطة انطلاق لنشر مثيلات لها في المدن والحوضر العراقية الاخرى ، وعلى الرغم من الدافع التقدمي الذي جاء به مدحت باشا ، فقد كانت الامية في العراق بنهاية القرن التاسع عشر متفشية جدا . ويمكن القول أن نسبة المتعلمين فيه لم تكن لتزيد عن (النصف بالمئة) !

غير ان التطور السريع الذي حصل في العهد الاخير ، نتيجة الصراع العنيف الذي كان دائرا بين لسلطان عبد الحميد الثاني والشبان العثمانيين المنضوين تحت لواء جمعية (الاتحاد والترقي) ، ومن ثم انتصارهم عليه ، واعلان المشروطة (بتاريخ ٢٣ تموز عام ١٩٠٨) ، قد أحدث رد فعل في الاوساط المحافظة أيضا ، ولكنه كان رد فعل بسيط هذه المرة ، لان العقول كانت قد تنبعت لاسيما بعد ما سهل الاتصال البرقي ، وقيام محمد علي في مصر ، وحفر قناة السويس ، وطبع الكتب ونشر الصحف والمجلات . كل هذه العوامل أثرت هذه المرة تأثيرا كبيرا . فعندما صدر الدستور كثر المتحدثون عنه وعن فوائده وغاياته واهدافه غير ان الميدان لم يخل بتاتا من معارضين ، فقد برز في الميدان أناس راحوا يفسرونه تفسيرات ذات أهداف خاصة ! ووجد من يقول ان صدور الدستور يعني ، أن يكون جبل المرء على غاربه ، يسوغ له أن يتعاطى ما شاء من الموبقات ، ويرتكب ما يريد من المنكرات «٥» .

ومهما يكن من امر ، فان اعلان الدستور ثانية ، أحدث نشاطا ملحوظا في الاوساط المثقفة ، لا سيما وان هذا الاعلان جرى في الوقت الذي كانت قد وصلت بغداد الهيئة الاصلاحية برئاسة (ناظم باشا) واعلنت عن فتح (٢٤

مدرسة) للذكور و (٣) للاناث (وذلك يوم ١٤ تموز عام ١٩٠٨) ، فكان عملها هذا بالنسبة لتأريخ التعليم في العراق ، من الاعمال الخالدة التي وضعت حدا فاصلا بين عهدين ، عهد الجهل والتظاهر بخدمة الثقافة ، وعهد الرغبة الصادقة في نشر العلم والعرفان .

وهكذا ازدادت العناية بالمدارس منذ ذلك التاريخ ، اذ راح المسؤولون يبذلون ما في طاقتهم لتأسيس المدارس ونشرها في المدن والحوضر المختلفة . كما راح الاهلون وبعض الجاليات الاجنبية يؤسسون المدارس الخاصة على نفس الاسلوب ، رغبة منهم في تثقيف ابنائهم على النهج الغربي الحديث . ولكن هذه الفترة كانت قصيرة اذ سرعان ما أعلنت الحرب العالمية الاولى ، فاضطرب أمر التدريس على بدايته وانتهى الامر بانتهاء آخر صفحة من صفحات الحكم العثماني في العراق عام ١٩١٧ .



المدارس في الولايات العراقية

لقد كشفت لنا الفصول المتقدمة عن حالة التعليم في العراق ، ومدى عناية الدولة العثمانية بنشره وتعميمه فيه ، وكيف كان نصيب هذه البلاد أقل الامصار العثمانية حظا في هذا الحقل ! هذا ولما كان العراق مقسما اداريا في ذلك العهد الى ولايات ثلاث هي ، بغداد ، الموصل ، والبصرة ، فقد وجدنا ، أن من الانسب بحث حالة التعليم في كل ولاية على حدة . لان انشاء المدارس في كل واحدة منها لم يكن في زمن واحد ، فضلا عن ان لكل منها في ذلك العهد ادارة مستقلة خاصة بشؤون المعارف ، ولذا سنتكلم عن التعليم في كل ولاية على حدة بالتفصيل فيما يلي . .

أولا - التعليم في ولاية بغداد :

سنتكلم عن التعليم في ولاية بغداد على أساس المراحل الدراسية لا على أساس تاريخ انشاء المدارس فيها . ولذلك سنبحث عنها ابتداء من المدارس الابتدائية .

١ - المدارس الابتدائية

لقد بينا في الابحاث السابقة أن الحكومة العثمانية لم تهتم في بادئ ذي بدء بتأسيس المدارس الابتدائية في العراق ، اذ قامت بتأسيس بعض المدارس (الرشدية) وكانت هذه تضم بين صفوفها صفوفًا لمرحلة الدراسة الابتدائية ، وقد كان سبب عدم الاهتمام بمرحلة التعليم الابتدائي راجعا الى عدم الجدية في نشر التعليم في العراق من جهة ، ونقص المعلمين من جهة أخرى ، وعزوف الاهلين عن ارسال ابنائهم الى تلك (المكاتب) ان وجدت ، خوفا عليهم من الانحراف من جهة ثالثة . لذلك ما كان في العراق كله عام ١٨٨٩ م الا (٢٠) مدرسة رشدية عدد طلابها جميعا (٨٤٠ طالبا) (١) .

ويمكن اعتبار السنة التي تلت عام ١٨٨٩ م ، بدء العهد بالاهتمام بإنشاء المدارس الابتدائية في ولاية بغداد ، لاسيما بعد أن لمس المسؤولون ، بأن هذه المدارس هي المجهز الاساسي لمراحل الدراسات العليا ولذلك تم انشاء أربع مدارس ابتدائية في بغداد هي ، مدرسة (الحميدية) ، ومدرسة (جديد حسن باشا) ، والمدرسة (العثمانية) ، ومدرسة (الكرخ) .

ان الاكثار من فتح المدارس الابتدائية قد تم في عهد الوالي (نامق باشا) فانه لم يكتف بمدارس بغداد ، بل فتح ست مدارس اخرى في مدن الحلة والديوانية وخاقين ومندلي (٢) .

ثم أخذ الاهتمام بنشر هذه المدارس في المدن والحوضر التابعة لولاية بغداد ، حتى أصبح عددها عام ١٩٠٥ م في ولاية بغداد (٢٠) مدرسة ابتدائية فقط (٢) . ولكن هذا العدد تزايد عام ١٩٠٨ م بعد ما وصلت الهيئة الإصلاحية في تلك السنة . الا انه لم يكن في عام ١٩١٣ م ليزيد عن (٣٢) مدرسة ابتدائية في ولاية بغداد (٤) .

اما مناهج الدراسة في هذه المدارس فقد كانت بسيطة ساذجة لم تكن تحتوي الا على تعليم الالقاء ، ومبادئ الحساب ، والهندسة البسيطة ، وعلم الحال ، والاشياء ، والصحة ، والتاريخ والجغرافية . وقد كان معظمها يدرس في اللغة التركية .

ومدة الدراسة في المدرسة الابتدائية كانت أربع سنوات ويشترط في الطالب الذي يقبل في الصف الاول ، أن لا يقل عمره عن الست سنوات . وما كان ملاك المعلمين في هذه المدارس ، ليزيد عن معلم واحد في كل مدرسة ، اذ نادرا ما كان ملاك بعضها يزيد عن المعلمين الاثنين .

٢ — سالنامه بغداد لسنة ١٣١٨ هـ المصادف ١٩٠٢ .

٣ — في غمرة النضال . سليمان فيضي . المصدر السابق .

٤ — سالنامه ولاية بغداد لسنة ١٣٢٩ هـ المصادف ١٩١٣ م .

ولقد كان الذوات المدرجة أسماؤهم أدناه ممن تولوا ادارة بعض المدارس الابتدائية في بغداد في العهد العثماني الاخير وهم :

المرحوم محمد خلوصي الناصري ، المرحوم يوسف عز الدين الناصري ،
 الاستاذ عبد العزيز الشواف ، المرحوم السيد نوري البرزنجي ، الاستاذ
 عبد الهادي الاعظمي ، المرحوم عمر اسماعيل كركوكلي .

المدارس الابتدائية للذكور (٥)

عام ١٩١٣ م

عدد الطلاب	عدد المدارس	المدينة
٧٣٣	٨	بغداد
٦٦	١	الاعظمية
٤٠	١	الكاظمية
١٠٠	١	سامراء
٦٠	١	تكريت
١٥	١	علياوة
٤٢	١	خريسان
٣٠	١	شهر بان
٢٠	١	سلمان باك
٤٥	١	الكوت
٢٩	١	البغيلة
٣٠	١	شيخ سعد
٣٠	١	الدليم
١٥	١	طاش
٢٠	١	كيسية

٤٠	٢	عنة
٧٠	٢	كربلاء
٢٠	١	هنديّة
٢٠	١	الكوفة
٤٠	١	النجف
٤٠	١	الحلّة
٢٥	١	الشامية
٢٥	١	الخضر

٢ - المدارس الرشدية :

كانت المدارس الرشدية ، أول المدارس التي أسست في العراق وذلك عام ١٨٧٠ م وفي زمن الوالي مدحت باشا ، أي بعد مرور ثلاثين عاما تقريبا ، من تأسيس المدارس الرشدية في استانبول . وان فتح هذه المدرسة في بغداد يعتبر أول خطوة في سبيل نشر الثقافة الحديثة ، ولقد بذل مدحت باشا ، نفسه ، جهده لحمل الاهلين على ارسال أبنائهم أو أحد أقاربهم للانخراط في هذه المدرسة ، بعد أن شهد عزوف الناس عنها . . وبعد أن تم تسجيل عدد من الطلاب ، باشرت المدرسة عملها يوم ١٥ رجب من تلك السنة أي ١٢٨٦ هـ ، غير أن تدريساتها كانت مختلة وناقصة . ويكفي أن نقول أن تدريس اللغة العربية فيها كان يجري باللغة التركية يدرسه أحد المعلمين الاتراك ، وهكذا بقية الدروس الاخرى «٧» . كانت مدة الدراسة في المدرسة الرشدية ، ثلاث سنوات ، بعد الدراسة في الكتاتيب أولا ثم أصبحت بعد الدراسة في المدارس الابتدائية فيما بعد .

وفي عام ١٩٠٨ ، قدمت الهيئة الاصلاحية ، وقامت بفتح مدارس عديدة ما بين ابتدائية ورشدية كان نصيب المدن والحواضر التابعة لولاية بغداد كبيرا .

ان الدراسة الرشدية هذه تعادل في وقتنا الحاضر (الدراسة المتوسطة) .
وقد كان لا يقبل فيها الا خريجو الدراسة الابتدائية . اما مناهجها الدراسية
فقد كانت تشتمل على دروس الرياضيات ، والهندسة ، والحساب والجغرافية ،
والتاريخ ، وحفظ الصحة ، وعلم الحال ، واللسان والخط .
ومع هذا فقد كانت مناهج الدراسة هذه بتراء ولا تقي بالقصد . اما
معلمو المدارس الرشدية فقد كانوا من الاتراك باديء الامر ، الا أنه بعد انشاء
دور المعلمين في الولايات العراقية ، باتت أكثريتهم من العراقيين . اما ملاك
المدرسة الرشدية فما كان ليزيد عن الثلاثة معلمين في الغالب .

المدارس الرشدية في ولاية بغداد

عام ١٩١٣ م

عدد الطلاب	عدد المدارس	المدينة
١١٢	١	بغداد
٣٥	١	الكاظمية
٣٥	١	سامراء
٣٠	١	تكريت
٦٣	١	خاقين
٣٥	١	خريسان
٢٨	١	الكوت
٢٠	١	الدليم
٢٠	١	كربلاء
٢٥	١	الحلة

٣- المدارس الاعدادية :

يرجع تاريخ تأسيس أول مكتب اعدادي في بغداد الى عام ١٨٧٣ م ،
وذلك في زمن الوالي (رديف باشا) ، فقد افتتح (المكتب الاعدادى ملكي)

أبوابه في أوائل شهر ربيع الآخر ، وبدأ بتسجيل الطلاب والتدريسات •
لقد كانت مدة الدراسة فيه (أربع سنوات) بعد الدراسة الرشدية وقد
كان هذا المكتب يشمل الدراستين (الرشدية) (والاعدادية) اذ كان مؤلفا من
سبعة صفوف ثلاثة منها رشدية ، والباقية (اعدادية) • أما الدروس التي كانت
تدرس في مكتب الاعدادي ملكي فكانت تشمل الموضوعات الآتية موزعة على
السنوات الاربع وهي :

المثلثات ، الحساب ، مسك الدفاتر ، الاقتصاد ، القانون ، الفلك ، علم
الاحياء ، الهندسة ، الجبر ، الاخلاق ، الدين ، الآداب التركية ، اللغة التركية ،
اللغة العربية ، اللغة الفرنسية ، اللغة الفارسية ، الجغرافية ، التاريخ ، الكيمياء ،
المعلومات المدنية ، الفيزياء ، حفظ الصحة ، الميكانيك ، الرسم ، حسن خط •
لقد كانت الدراسة في هذا المكتب على ما يبدو معتبرة • وكان اهتمام
الحكومة به بارزا • فقد كان ملاك التدريس فيه كبيرا وقد درس فيه بعض
الانثراك المشهورين أمثال المؤرخ التركي الشهير (علي سيدي أفندي) كما كان
من المدرسين فيه ، المرحوم (فهمي المدرس) الكاتب السياسي العراقي «^٨» •
ان التدريسات في هذا المكتب ، كانت تجري باللغة التركية أيضا • وكان
الطلاب في بعض الصفوف مجبرين على تعلم اللغة الفارسية • وكان عليهم بعد
أن يجتازوا الصف الخامس أي الصف الثاني من المكتب (الاعدادي) أن
يتعلموا واحدة من اللغتين الانكليزية أو الفرنسية •

٤ - المكتب السلطاني :

وقد ظل مكتب الاعدادي ملكي ، يقوم بواجبه الثقافي حتى شهر تشرين
الثاني من عام ١٩١٣ م اذ قررت الحكومة في هذا التاريخ ابدال اسمه باسم
(المكتب السلطاني) «^٩» •

٨ - سالنامه ولاية بغداد لسنة ١٣١٨ هـ •

٩ - مجلة لغة العرب ج ٣ لسنة ١٩١٣ م

اما دروس هذا المكتب ، فقد كانت نفس دروس الاعدادي ملكي ، أما الفرق الوحيد بينهما ، فهو أن الدراسة في السلطاني قد أصبحت تنقسم الى قسمين هما :

- ١ - القسم الابتدائي : وكان يتألف من خمسة صفوف .
- ٢ - القسم العالي : وكان يتألف من سبعة صفوف .

٥ - مدارس الاناث :

لقد وقفنا في بحث (كتاب البنات) على حالة المرأة في العراق من الناحية الثقافية ، وأطلعنا على الآراء التي كانت سائدة ابان العهد العثماني فيما يتعلق بأمر تعليمها وثقيفها ، ولذلك ليس باستغرب أن تكون الدعوة لتعليمها من الامور المستهجنة نظرا لسيطرة الرجعية ووقوفها في وجه كل حركة تدعو الى ذلك .

ففي الوقت الذي راحت فيه الفتاة غير المسلمة ، تعب أفانين العلوم والثقافة من مدارس الاناث التي أنشأتها الطوائف غير المسلمة لها ، في ذلك الوقت كانت البنت المسلمة ، مقيدة ، قعيدة البيت ، وكتب لها أن تعيش بين جدرانها ، ضحية الجمود والجهل والرجعية المقيتة .

ولقد ظلت الفتاة المسلمة على تلك الحالة حتى أواخر القرن التاسع عشر ، عندما كتب الحظ أن ينشئ لها مدرسة . ففي عهد الوالي نامق باشا (١٨٩٩ - ١٩٠٢ م) تم تأسيس أول مدرسة للبنات ، لا في بغداد وحدها بل وفي العراق كله تقريبا . وقد سميت هذه المدرسة باسم (أناث رشدية مكتبي) « ١ » وعلى الرغم من وجود مدارس خاصة بتعليم البنات ، أنشأها الطوائف المسيحية والاسرائيلية . فقد كانت هذه الخطوة يخطوها نامق باشا خطوة جريئة ، تجاه قوة العناصر المحافظة آنذاك . وقد كان معظم المسلمين يرغبون في تثقيف بناتهم ولكنهم كانوا يخشون غضب تلك الفئة ، ولذلك أحجموا عن

ارسال بناتهم (لان بعض الجامدين الذين حافظوا على القديم ، كانوا كلما قام فاضل بارسال طلقته الى المدرسة ، قامت قيامة تلك الفئة ورمته بالزندقة والالحاد ورشقته بسهام من قوارص الكلام . مما يوهن العزم ويفت العضد حتى لا يكاد أحد منهم يجسر بالمجاهرة في وجوب تهذيب الفتاة وتثقيف عقلها وانساء مداركها وتعليمها العلوم والثقافة التي تؤهلها لان تكون أما فاضلة في المستقبل) « ١ » .

ومهما يكن من شيء ، فقد تم فتح هذه المدرسة ، وأخذ الناس يرسلون بناتهم اليها رغم تلك المقاومة . ويكفي أن نعطي القارئ هنا مثالا واحدا من الامثلة التي (ان صحت روايتها) فانها تكشف عن الجسود والتزمت ، وخلاصة تلك الرواية هي (ان مجلس معارف ولاية بغداد في احدى السنين ، بحث في مسألة مدرسة البنات والبنية التي تصلح لها ، فطال الجدل والنقاش حول الشروط الواجب توفرها في تلك الدار وقد حصروها في الشروط الآتية : « ١٢ » .

١ - أن لا تكون احدى الدور المجاورة لها متسلطة عليها !

٢ - أن لا تكون شبايكها مظلة على الشارع !

٣ - أن لا يكون في الدور المجاورة أشجار عالية !

وكانت الدوافع لوضع هذه الشروط ، هو شدة الحرص على عدم تعرض الفتيات ، وهن يسرحن في صحن الدار ، لنظر أو (لشرفية) أحد من الناس في تلك الدور !

ومما يروى في هذه القصة انه كان من بين أعضاء المجلس ، المرحوم الاستاذ جميل صدقي الزهاوي ، الذي كان صامتا أثناء مناقشة الاعضاء (وكان

١١ - مقال (المرأة العراقية) بقلم المرحوم ابراهيم حلمي العمر . مجلة لغة العرب . ج ٢ عام ١٩١٤ .

١٢ - معجم العراق ج ١ . للمؤلف - بغداد ١٩٥٣ .

معظمهم من رجال الدين أو المحافظين) فلما سكتوا قال (متهمكما) ...
ان هذه الشروط ، يا حضرات الاعضاء ، لا تنطبق الا على بناية واحدة ،
لم أر أليق منها لتصبح دارا (لمكتب الاناث) . فقال رئيس المجلس متلهفا ..
هات يا أستاذ أين هي ؟ فقال الزهاوي ...
انها حوض (منارة سوق الغزل) !! لانها تجمع جميع المواصفات
والشروط التي أرادها الاخوان !!

فضحك الرئيس كما ضحك الاعضاء الآخرون !!
ان هذه المدرسة التي فتحت ، كانت بمستوى المدارس الرشدية وكانت
تضم كذلك الصفوف الابتدائية .
اما موضوعات التدريس فيها ، فكانت تتألف من تعليم اللقباء والقرآن
الكريم . ومبادئ الحساب ، والجغرافية ، والتاريخ العثماني .
اما موضوعات الدراسة في القسم المتوسط (الرشدية) ، فعلاوة على
تلك الدروس كانت هناك دروس اخرى كتعليم اللغة الفرنسية والفارسية ،
والخط ، والخياطة ، والنقش ، والتطريز ، وقد كانت العناية بالدروس الاخيرة
بارزة ظاهرة .
اما أول مديرة لهذه المدرسة ، فقد كانت ، المعلمة الاولى (أمينة شكورة
خانم) تساعدنا بعض المعلمات ومنهن (مدام اليانور) معلمة الاشغال والخياطة
والتطريز « ١٣ » .

لقد كان اقبال الناس على هذه المدرسة حسنا نوعما . فقد أصبح عدد
الطالبات المسجلات عند افتتاحها (٩٥ طالبة) ، ولكنه أخذ يقل تدريجيا فيما
بعد . ولقد ظلت هذه المدرسة تعمل وحيدة في ولاية بغداد (باعتبارها المدرسة
الرسمية الوحيدة) حتى عام ١٩٠٨ م اذ تم انشاء مكتب للاناث في جانب
الكرخ ، وآخر في البارودية ، والثالث في باب الشيخ ، وكانت هذه المدارس

ابتدائية «١٤» . وقد قامت جمعية الاتحاد والترقي في بغداد بافتتاح (مكتب
للاناث) يوم ٢٥ / ١ / ١٩١٤ وقد بقيت هذه المكاتب حتى الاحتلال البريطاني
عام ١٩١٧ .

ان المشكلة التي كانت تواجه التعليم النسوي في العراق علاوة على ما مر
من أسباب ، كانت مشكلة المعلمات ، اذ كان يصعب تعيين معلمات تركيات
واستقدامهن للعمل في العراق ، ولذلك كان يستعان بزوجات أو بنات الموظفين
الأتراك الموجودين في بغداد ، اللواتي لهن ثقافة تؤهلهن للقيام بهذه المهمة ،
فضلا عن نساء بعض الاجانب أو المسيحيات لا سيما في الدروس العملية
كالخياطة والنقش والتطريز .

وقد كان عدد الطالبات في تلك المدارس (بما فيها المدرسة الرشدية)
عام ١٩١٤ لا يزيد عن (٣٠٠ طالبة) .



التعليم والمدارس العسكرية

كان التعليم العسكري في العراق أسبق أنواع التعليم الحديث نتيجة لاهتمام الدولة العثمانية بتنظيم التعليم العسكري في استانبول وبعض الولايات العثمانية الاخرى تنفيذا للخطة التي وضعها الخبراء الالمان ، لاسيما (فون در غولتس) في هذا الشأن . فلقد وضع هذا الخبير (عام ١٨٨٣ م) نظاما خاصا بالتعليم العسكري يرتفع بمستواه عن مستوى معاهد التعليم الاخرى . وكان من جملة ما قرره في هذا النظام ، تأسيس مدارس رشدية عسكرية ، واعدا دي عسكري ، لاسيما في الولايات التي كانت فيها مراكز للجيش العثماني (أوردو) ، بغية اعداد الطلاب المدربين وتهيأتهم للدخول في المدارس العسكرية الاختصاصية العالية الموجودة في العاصمة (كمدرسة الفنون البحرية والهندسية ، والمدرسة الطبية العسكرية فضلا عن الكلية الحربية) .

ولقد كانت ولاية بغداد في مقدمة الولايات التي فتحت فيها المدارس العسكرية الرشدية والاعدادية . تلك المدارس التي أصبح العراق بسببها أكثر الاقطار العربية نصيبا بالرجال العسكريين !

أ - المدرسة الرشدية العسكرية

كانت هذه المدرسة قد أسست في بغداد زمن الوالي مدحت باشا (عام ١٨٧٠ م) . وكان الغرض من افتتاحها هو تهيئة الطلاب للاعدادي العسكري . لقد جعلت مدة الدراسة في هذه المدرسة (أربع سنوات) وهي مدرسة داخلية ، يقبل فيها الطلاب على نفقة الحكومة ، بعد أن ينهوا الدراسة الابتدائية . أما الدروس التي كانت تدرس فيها خلال تلك السنوات الاربع فهي :

التاريخ الاسلامي ، الجغرافية العثمانية ، مبادئ الهندسة ، الحساب ، علم الحال ، اللغة العربية ، اللغة الفارسية والتركية والفرنسية وحفظ الصحة والجمناستك .

وقد كان معظم المدرسين فيها من الضباط الاتراك •
ونظرا لاهتمام الحكومة لاسيما في العهد الاخير بالتعليم العسكري فقد
افتتحت مدرسة رشدية ثانية ، جعلت من صفوفها بعض الصفوف الابتدائية •
وقد كان يطلق على هذه الصفوف اسم (المخرج) العسكري « ١٥ » •
وكان عدد طلاب المدرستين الرشديتين زهاء الـ (٧٠٠ طالب)

ب - مدرسة نواب الضباط الحريين

ونظرا لمقتضيات الحرب وحاجة الدولة العثمانية الى عدد كبير من الضباط
أو نواب الضباط لسد النقص في ملاكات الجيش • فقد قررت فتح مدرسة خاصة
في بغداد لتدريب المتتمين لها ، على الفنون والدروس العسكرية بصورة مركزة
ولمدة قصيرة لا تزيد عن الستة اشهر • يرسل المتخرج فيها الى الوحدات
حيث يعين آمرا لفصيل من الفصائل •
وقد كان القبول في هذه المدرسة من طلاب المدارس الاعدادية العسكرية
أو الملكية أو ما يعادلها •

ج - المدرسة الرشدية العسكرية في السليمانية

ولقد قامت الحكومة العثمانية بفتح مكتب رشدي عسكري في مدينة
السليمانية التابعة لولاية الموصل ، باعتبارها منطقة كردية ، يقبل فيها أبناء تلك
المنطقة ، ويهيئون للدخول في مكتب الاعدادي العسكري في بغداد ، تسهيدا
للاحاقهم بالمدرسة الحربية في استانبول • وقد بقيت هذه المدرسة تؤدي
واجبها حتى الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ •
ولقد كان عدد طلابها عام ١٩١٤ م (١٣٨ طالبا) « ١٦ » •

١٥ - وقد كان أغلب طلابه من أبناء الضباط الذين يدرسون في المدارس
العسكرية وهو قسم داخلي أيضا •
١٦ - سالنامه ولاية الموصل لسنة ١٣٣٠ هـ •

د - مدرسة الاعدادي عسكري

لقد تم تأسيس (المكتب الاعدادي العسكري) في زمن الوالي عبد الرحمن باشا (أي سنة ١٨٧٩ م) وذلك تنفيذًا للخطة الموسوعة لنشر التعليم العسكري • والحصول على طلاب مستعدين للدخول في الكلية الحربية في استانبول من مختلف أنحاء الامبراطورية العثمانية •

لقد جعلت مدة الدراسة في المكتب الاعدادي العسكري ثلاث سنوات بعد الرشدية العسكرية • أما الدروس التي كانت تدرس خلال تلك السنين الثلاث فهي :

المثلثات ، الجبر ، الهندسة ، حفظ الصحة ، الفلك ، الجغرافية ، التاريخ ، اللغات ، التركية ، العربية ، الفارسية ، الفرنسية ، الانكليزية ، الدين ، حسن الخط ، الرسم ، الجناساتك •

اما المدرسون في هذا المعهد فقد كان معظمهم من الضباط الأتراك وعلى الاخص مدرسي الموضوعات العلمية والعسكرية ، اما مدرسو اللغات والخط فكان بعضهم من العراقيين •

وكانت المدرسة داخلية ، يعيش فيها الطلاب على نفقة الدولة ، اذ كانت تتكفل باعاشتهم واكسائهم ومنحهم مصروف الجيب الشهري ، كما أنها بعد تخرجهم فيها كانت ترسلهم على حسابها الى استانبول لاكمال تحصيلهم في المدرسة الحربية فيها •

ولقد تخرجت (الدفعة الاولى) من هذا المكتب (عام ١٨٨١ م) وكانوا ثلاثة عشر متخرجاً ، ثم تابعت دفعات المتخرجين فيها ، وكانت الحكومة تبعث بهم الى استانبول لاكمال تحصيلهم العالي في الكلية الحربية فيها • ولم يتأخر عن السفر اليها الا خريجو الدفعة الاخيرة بسبب اعلان الحرب العالمية عام

١٩١٤ م •

ومما تشير اليه الاحصائيات الرسمية هو أن عدد طلاب المكتب الاعدادي العسكري لم يتجاوز الـ (٥٠٠ طالب) عام ١٩١٣ م .

العراق والتعليم العسكري

لقد كان لافتتاح المدارس العسكرية في العراق تأثير كبير في توجيه أذهان الشبان اليها وحملهم للانخراط فيها . وقد ساعد على ذلك الاتجاه عوامل عدة ، أهمها ما يلي . . .

١ : - ما كان للضباط من شأن ، وما كان لبزاتهم وملابسهم العسكرية الجذابة من أثر في نفوس الناشئة .

٢ : - كون تلك المدارس ، مدارس داخلية يعيش فيها الطلاب على نفقة الحكومة بحيث لم يكن الطالب يكلف أهله فلسا واحدا .

٣ : كون المعاهد العالية جميعها متمركزة في استانبول ، جعل من الصعب على متوسطي الحال من العراقيين ، أن يرسلوا أبناءهم اليها لاكمال تحصيلهم فيها لاسباب منها ، كثرة النفقات ، وبعد المسافة ، وكثرة المخاطر أثناء السفر ، ولذلك كان انخراط أبناءهم في السلك العسكري ، مأمون العواقب ، فانه علاوة على تطمينه لرغبات الابناء ، يريح الآباء من تلك المصاعب المادية ، اذ تقوم الدولة بتسفيرهم الى استانبول وتدخلهم في الكلية الحربية حيث يعيشون على نفقتها وتتولى رعايتهم فيها .

وهكذا ولهذه الاسباب ، كان العراق ، أكبر الامصار العربية العثمانية حصة بعدد خريجي المدارس العسكرية . ويكفي ان نشير أنه عندما تم تشكيل الحكم الوطني في العراق عام ١٩٢١ ، وأخذ المسؤولون فيه يفتشون عن الشباب العراقي المثقف ، لم يجدوا أمامهم الا العدد الكبير من العسكريين ، بينما كان عدد حملة الشهادات العالية من غير العسكريين ، ضئيلا جدا « ١٨ » .

هـ - مكتب الصنائع

كانت الدراسة المهنية الفنية معدومة للمرة في العراق ، الا أنه في زمن
الوالي العظيم مدحت باشا ، تم تأسيس معهد فني لهذا الغرض . ذاك هو
(مكتب الصنائع) . فلقد رأى حين وصوله الى بغداد ، كثرة المدارس الدينية
فيها ، وخلوها من أية مدرسة يتدرب فيها الطلاب على بعض الحرف والصناعات
التي تعينهم على كسب قوتهم عن طريق الجد والعمل ، ولذلك قرر انشاء
مدرسة تهتم بنشر الثقافة الفنية . وقر ان يجعل من احدى تلك المدارس مدرسة
للصنائع . فوقع اختياره على (المدرسة العلية) الواقعة على شاطيء دجلة ،
وسرعان ما هدم عمارتها ، وعمرها على طراز جديد وجعلها صالحة لكي تضم
كافة ما تحتاج اليه مدرسة الصنائع من مخازن ومعامل وأقسام داخلية وغير
ذلك . ونظرا لحرصه الشديد على اقامة هذه المدرسة فقد استعمل طابوق سور
بغداد الشرقية لبنائها (١٩) لعدم وجود معامل للطابوق آنذاك . وانه قبل اتمام
عمارتها بكامل أقسامها ، افتتح الدراسة فيها بينما أسكن طلابها في مخيمات
أقامها على مقربة منها .

ولقد جلب لها الادوات واللوازم الضرورية من الخارج . كما جلب في
نفس الوقت (مطبعة) للولاية ، وأقامها في قسم من أقسامها ، وعين المديرين
المختصين في الفروع الصناعية المختلفة فيها .

أما الطلاب الذين تم قبولهم فيها فكانوا من الايتام والفقراء وقد كان
عدهم (١٤٤ طالبا) باثروا الدراسة في عام ١٨٧١ م « ٢٠ » .

ومما تجدر الاشارة اليه في هذا الصدد هو ، ان انشاء هذه المدرسة
وشراء المعدات واللوازم كان قد ساهم بتكاليفه معظم ابناء المدن العراقية

١٩ - دليل خارطة بغداد . من مطبوعات المجمع العلمي العراقي .
بغداد ١٩٥٨ .

٢٠ - العراق بين احتلالين ج٧ . العزاوي . المصدر السابق .

بنتيجة حملة التبرعات التي أعلنها الوالي نفسه ، وجمعت مبالغ طائلة ساعدته على تنفيذ هذا المشروع الجليل (٢١) .

لقد كانت مدة الدراسة في هذه المدرسة (خمس سنوات) بعد الدراسة الابتدائية أو ما يعادلها آنذاك ، تدرس خلالها من العلوم النظرية الدروس الآتية :

الجبر والحساب والهندسة والجغرافية والتاريخ والعقائد الدينية واللغة العربية والفرنسية .

اما الدروس العملية فكانت تشتمل على الفروع الآتية :

الحدادة ، البرادة ، الميكانيك ، صناعة النسيج (الصوفي ، الحريري ، القطني) صناعة السجاد والكنبار ، النجارة ، صناعة الاحذية وغير ذلك .

ولقد استعان الوالي في تدريب الطلاب على هذه الصناعات ببعض (الاسطوانات) المهرة فيها .

وقد قامت هذه الاقسام بانتاج بعض المصنوعات التي كانت على درجة لا بأس بها من الاتقان والجودة ، وفتح لها معرض خاص ، كما عهد الى بعض المخازن السوق ، لبيع تلك المنتجات . وقد كانت ادارة المدرسة تنشر بين الحين والآخر ، اعلانا تحت الناس فيه على شراء منتجاتها (٢٢) .

ومن طريف ما وقعت عليه حول هذه المدرسة ، هو الامتحان الذي جرى

٢١ - جريدة الزوراء باعدادها الصادرة عام ١٢٨٦ هـ .

٢٢ - نشرت جريدة الزوراء بعددها الصادر يوم اول رجب سنة ١٢٨٨ هـ ، هذا الاعلان (لا يخفى ان الاقمشة النفيسة من معمولات مكتب الصنائع من نوع المنسوجات القديمة والابرسم والامتعة المتنوعة من منسوجات القطن ، ومن الاشياء الظريفة مثل البسط ، والقوندر والبوتين ، فانها تباع في دكان (علي افندي) الواقع في سوق القشلة . وما عدا انها ، عال العال فان فئاتها ايضا هينة . فمن اراد شراءها فليراجع بذلك . ولاجل بيان ذلك حرر هذا الاعلان من طرف ادارة مكتب الصنائع) .

للفيف المنتهي منها يوم ١٧ جمادى الآخرة سنة ١٨٧٦ م وهو الصف الذي كان تلاميذه أوائل الطلاب الذين سجلوا في المدرسة أيام افتتاحها عام ١٨٧١ م .
فقد حضر الى المدرسة في ذلك اليوم للاشراف على الامتحان هيئة كبرى مؤلفة من :

وكيل الولاية مع سائر كبار الموظفين من مدنيين وعسكريين ، وعدد كبير من الوجوه والاعيان وقناصل الدول المعظمة ، وقامت هذه بالاشراف والمشاركة في امتحان الطلاب . وبعد الانتهاء من ذلك اعربوا عن غبطتهم وسرورهم لما لمسوه في الطلاب من فطنة وذكاء ومهارة . وقد ألقى أحد الطلاب المتخرجين وهو المدعو (مهدي أفندي) كلمة بعد الديباجة المنسقة في مدح السلطان والوالي جاء فيها ...

« وقد كان أحاط بأطرافنا عدوان كيران ، احدهما ، البقاء بلا أب ولا أم مع الفقر الذي يغير الاحوال ويزلزل من حل به اشد الزلزال . وثانيهما الجهل المنفي للانسان في الدنيا والآخرة باليأس والحرمان . فصارت لنا عنايات حضرة مولانا الذي آبت اليه الشوكة ، وتعطفاته الجليلة السلطانية الشاملة ، خصوصا وعموما ، دليلا لاجل تخليصنا من أيدي هذين العدوين ، وتيسر دخولنا بهذا المكتب الذي هو للصنائع أفضل مكتب ، الذي صارت هذه السنة سادس سنة لتاريخ فتح بابه وتهية أسبابه (٣) » .

لقد كان نصيب هذه المدرسة نفس النصيب الذي أصاب المدارس الاخرى من الاهمال الذي حل بعد مدحت باشا . فقد أخذت تسير القهقري وأهمل أمرها ، وقل عدد طلابها ، ومالت عمارتها الى الانهدام لولا ان هيا الله لها واليا آخر هو الوالي (نامق باشا) عام ١٨٩٩ ، اذ اهتم بأمرها وعمرها وأسس قسما خاصا بالنجارة (لانه كما يذكر ، كان مولعا بالنجارة ويحسن صنعها) ، وأدخل كذلك كمدرس الموسيقى حيث جلب لها جوقا (باند)

موسيقيا كاملا من أوروبا ، وعين المدرسين الفنيين لها • فأصبح عدد طلابها في زمانه (١٣٠ طالبا) بعد ان انخفض الى (٤٠ طالبا) قبله • وقد ارتفع مستوى الدراسة فيها وزادت العناية بها بادارتها فيما بعد ، اذ عهد بأمر الاشراف على شؤونها العامة الى لجنة خاصة تضم عددا من الشخصيات المهمة من موظفي الولاية ، فقد كان أعضاؤها عام ١٩٠٦ م السادة :

- ١ : - مصطفى فهمى بك ناظر الديون العمومية رئيسا
 - ٢ : - محمد فهمى المدرس مدير مدرسة الصنائع عضوا
 - ٣ : - فؤاد بك مفتش الصحة عضوا
 - ٤ : - مسيو شوانيس مهندس الولاية عضوا
 - ٥ : - مسيو موجيل مهندس البلدية عضوا
 - ٦ : - عبد الجبار أفندي باشكاتب الاوقاف عضوا
 - ٧ : - سليمان أفندي المحامي من الاهلين عضوا
- ولقد زادت العناية بهذه المدرسة أكثر بعد اعلان المشروطة ، اذ كان خريجوها يفتحون لهم (الورش الصناعية) يساعدهم في ذلك ما تجمع لهم أثناء دراستهم من مال وهو حقهم في الانتاج • وقد كانت علاقتهم بالمدرسة مستمرة اذ كانوا يطلعون بواسطتها على الادوات الحديثة والاساليب الفنية الجديدة في مختلف الفنون والصناعات •
- ولقد كان عدد طلاب هذه المدرسة في عام ١٩٠٦ م لا يتجاوز الـ (٧٠ طالبا) • وقد توقفت الدراسة فيها على أثر اعلان الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ م •

و - دار المعلمين

لقد كان اهتمام السلطة العثمانية منصبا على فتح المدارس الابتدائية ، ولكن هذا الاهتمام كان تافها ، غير أنه لما تنبته الافكار وتورت الازدهان ظهر لها ان الضرورة تقضى بزيادة العناية بأمر التعليم الابتدائي ونشر المدارس

الابتدائية في كافة الأرجاء . لذلك قامت بفتح هذه المدارس الا أنها جوبهت بعقبة لم تكن تحس بها، تلك هي الحاجة الى المعلمين . لذلك رأت تلك السلطة الاستعانة ببعض الشيوخ والملاي غير أن ذلك لم يكن ناجحا ، لان التعليم الحديث يتطلب تدريبا خاصا وثقافة جديدة . فلما أوشك القرن التاسع عشر على الانتهاء كانت الحاجة ماسة جدا لوجود معهد لتخريج المعلمين لتلك المدارس . وهكذا تم انشاؤه فعلا في زمن الوالي نامق باشا ، الذي لمس صعوبة في استقدام المعلمين من استانبول أو ارسال الشباب من العراق للدراسة في دار المعلمين في استانبول . فقرر فتح (دار للمعلمين) في بغداد لهذا الغرض لاسيما بعد ما انصرف نيتة الى توسيع المدارس الابتدائية ونشرها في العراق ، وقد قرر أن تكون هذه الدار معهدا داخليا يضم الطلاب من مختلف المدن التابعة لولاية بغداد .

ولذلك عندما تم افتتاح هذه المدرسة كان عدد الطلاب المقبولين فيها (٤٠ طالبا) .

كانت مدة الدراسة في هذه الدار لا تزيد عن سنتين ، وكان يقبل فيها طلبة المدارس الدينية أو طلاب الاعدادي ملكي . وكانت الدراسة فيها أول أيامها دراسة بسيطة تافهة أشبه ما تكون بمدرسة دينية ، اذ لم تكن الدروس فيها لتزيد عن التجويد ، وحسن الخط ، والاملاء ، وتهذيب الاخلاق .

غير ان تطور الزمن لا سيما بعد الانقلاب العثماني أدى الى تغير مجرى الدراسة في المدرسة ، اذ تقرر أن تكون الدراسة فيها على غرار دور المعلمين في استانبول . ومدة الدراسة فيها (أربع سنوات) ولذلك أصبحت الدروس التي تدرس خلال هذه المدة تتألف من الموضوعات الآتية (٢٤) .

الرياضيات ، الهندسة ، العلوم الطبيعية ، أصول التدريس ، علم الالهيات ، التاريخ الاسلامي ، اللغة العربية ، الجغرافية ، قواعد اللغة

الفارسية ، اللغة التركية ، اللغة الفرنسية .

وقد كان أول مدير لهذه الدار المدعو (عبد الله افندي (٢٥) . وقد ظل كذلك حتى حل محله المرحوم الشيخ نوري الشيرواني (٢٦) . وقد بقي فيها مدة حتى خلفه الاستاذ (عادل بك) الذي أكمل تنظيمها ورتب الدراسة فيها على الطراز الحديث . وكان من المدرسين العراقيين فيها لا سيما في العهد الاخير من الحكم العثماني ، الاساتذة المرحومون : يحيى الوتري ، محمد فهمي (٢٧) رؤف العطار ، جميل المدرس (٢٨) .

وكانت الدراسة في هذه المدارس على نفقة الحكومة ، وقد الحقت بها مدرسة ابتدائية للتطبيق هي (مدرسة تطبيقات دار المعلمين) وكانت في أول تأسيسها تتألف من صف واحد . ثم توسعت وكانت تشغل البناية الواقعة قبالة نادي الضباط اليوم . أما دار المعلمين نفسها فقد كانت تشغل دار الحاج حسين خيوكه مكان بناية متصرفية بغداد الحالية ثم انتقلت الى بنايتها الجديدة التي كانت قد بوشر بنائها يوم ٨ كانون الاول سنة ١٩١٤ م . وقد ظلت هذه المدرسة تؤدي رسالتها حتى توقفت بسبب الحرب العالمية الاولى .

ولقد كان عدد طلبة المدرسة عام ١٩١٣ م في صفوفها المختلفة زهاء الـ (٢٠٠ طالب) .

المدارس الاهلية في بغداد

كان اعلان المشروطة عام ١٩٠٨ م بما جاء فيه من مبادئ الحرية والعدالة والمساواة ، الباعث الكبير الذي بعث في النفوس ، الرغبة في ارتقاء معارج الحضارة ، وراح الناس يتطلعون الى النور والعلم والثقافة . فكانت الهيئة

٢٥ - سالنامه ولاية بغداد لسنة ١٣١٨ هـ .

٢٦ - هو والد بهاء الدين نوري سفير العراق السابق في الاردن .

٢٧ - هو والد عبد الجبار فهمي متصرف لواء بغداد السابق .

٢٨ - هو اخ المرحوم الاستاذ فهمي المدرس .

الاصلاحية التي جاءت بغداد في ذلك الوقت ، وقيامها بفتح المدارس العديدة ، عاملا من تلك العوامل التي حركت الطوائف المختلفة ودفعتها للتفكير في تثقيف ابنائهم ، الثقافة الحديثة والعلوم العصرية . ولذلك تم انشاء بعض المدارس الاهلية والاجنبية بعد ذلك التاريخ . وفي مقدمة هذه المدارس ، المدارس الآتية ...

مكتب الترقى الجعفري العثماني (٢٩)

كانت سياسة الدولة العثمانية طيلة حكمها للعراق مبنية على سياسة (فرق تسد) بالنسبة لسكان العراق أنفسهم . فلقد كانت تتعصب ضد أبناء الطائفة الجعفرية في مختلف المجالات . وكان أبسطها ، حرمان هؤلاء حتى من الاستفادة من هذه المدارس . ولم يكن لأبناء الطائفة في بغداد غير تلك المدرسة الدينية التي أسسها المرحوم الشيخ شكر في أواخر القرن التاسع عشر في جامع المصلوب كما مر بنا ذلك .

ولذلك وبعد اعلان المشروطية وتوسع الحكومة في فتح المدارس المختلفة ، شعر أبناء الجعفرية بضرورة وجود مدرسة خاصة بهم ، غير أنهم لم يكونوا متحمسين لذلك خوفا من معارضة رجال الدين ، فكانوا مترددين . ولكن هذا التردد لم يظل بل سرعان ما تبلورت الفكرة وأخذت طريقها الى ميدان التحقيق .

اما كيفية تأسيس هذا المكتب فلها قصة يجدر بنا اثباتها هنا لانها تكشف لنا صورة من صور التاريخ الثقافي في ذلك العهد . ولذلك سنترك المرحوم الاستاذ علي البازركان الذي عاصر تأسيس هذا المكتب يقص علينا قصته اذ

٢٩ - لما كان بحثنا خاصا بالعهد العثماني فسوف لا نتكلم في هذا الكتاب عن (مدرسة التفيض الاهلية) بل سنبحث عنها في كتابنا عن التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني .

ويقول «٢٠» ..

ترجع قصة تأسيس المكتب الجعفري العشاني الى عام ١٣٢٦ هـ وكان المحرك لتأسيسها قصة (سماور) «٢١» . فقد كان الحاج سلمان أبو التمن قد استورد (سماورات) متقنة الصنع ، جميلة الشكل ، كانت قد نفذت حال عرضها في السوق . وقد جاءه الاستاذ البزركان راغباً في شراء واحد منها ، فاعتذر الحاج بنفاذها . فلما رأى أنها مرغوبة ، أمر كاتبه (اليهودي) المدعو (شميل سوميخ) بالابراق لاستيراد وجبة جديدة .

فلما مر اكثر من شهر على ذلك كان الاستاذ البزركان ماراً في السوق فشاهد سماورات من نفس النوع في دكان (عباس محبوب أغا) . فأسرع الى الحاج سلمان معاتباً ، لعدم ارسال واحد منها اليه قبل عرضها للسوق . فاستغرب الحاج سلمان من ذلك وضرب كفا بكف قائلاً ... لقد خانني كاتبني اليهودي ، اذ استورده لغيري !!

ثم يمضي المرحوم البزركان قائلاً ...

ان هذه القصة نهتني الى خطر كبير .. الى الاخطبوط اليهودي الذي

كان ينسج حباله حول اقتصادياتنا فقلت ...

يا حضرة الحاج لو كان كاتبك مسلماً ، فهل كان بوسعه أن يرتكب هذه

الخيانة ؟! أجبني ... كلا !!

فقلت له : اذن يجب عليكم أن تفتحوا مدارس لتعليم اللغات الاجنبية كاللغة الانكليزية والالمانية والفرنسية ، حتى تحصلوا على شباب تتخذونهم كتاباً ، وكاتبي أسرار لتجارتكم . كذلك ينبغي علينا أن نهيب جيلاً من المسلمين يمتنن المحاماة كي يقوموا بمراجعة المحاكم !

فقال لي : بأية صورة نحصل على هؤلاء الذين ذكرتهم ؟

أجبت : بفتح مدرسة !!

٣٠ - الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية . علي البزركان . بغداد . ١٩٥٤

٣١ - سماور كلمة فارسية معناها (ثلاث معطيات) وهو جهاز يغلّي الماء

للشاي .

فقال الحاج سلمان : اسكت يا علي لئلا يسمعك الناس فيعتبرونك
من الكفرة الفجرة !!

فعلمت من هذا الكلام أن هناك عددا غير قليل من المتمسكين بالتقديم
لا يروقه التجدد ، وأنهم يعتبرون تعلم اللغات الاجنبية والعلوم العصرية
كفرا محضاً !!

ثم يقول الاستاذ البارز كان ...

وبعد اعلان المشروطة والمناداة بالحرية والعدالة والمساواة ، قلت للحاج
سلمان ... هذا زمن الحرية ، ويجب علينا أن نجاهر بأرائنا حول فتح المدرسة
المذكورة !! وقد وافق على هذا الرأي شريطة أن تفتح به (العلامة السيد
محمد سعيد الجبوبي الموجود آنذاك في الكاظمية) فذهبنا اليه سوية ، وبعد
جلسة قصيرة ، وقف العلامة على الفكرة والغاية من انشاء هذه المدرسة ، فسر
بها سرورا كبيرا وقال ..

— انها لفكرة ضرورية وهي ليست من الكفر بشيء ، بل هي حياة لنا ثم
قال (من تعلم لغة قوم أمن مكرهم) بالنسبة لتعلم اللسان الاجنبي !!
ثم قال (الجبوبي) رحمه الله ...

— من أجل أن افهم كل من يعارض هذه الفكرة سأنزل ضيفا على الحاج
داود أبي التمن وأقابل المعارضين لاقناعهم !!

وقد بر بوعده فعلا . وراجت الفكرة وأخذ يعمل لها جماعة من الوجهاء
والعلماء المعروفين منهم السيد عبد الكريم الحيدري والشيخ جواد التويج
وكذلك جماعة من الشباب فأصبحت الاذهان متهيئة لها ، لذلك عقد اجتماع
لهذا الغرض وانتخب هيئة تألفت من الذوات المدرجة اسمائهم أدناه وهم : « ٣٢ »

الحاج سلمان أبو التمن

العلامة الشيخ شكر
العلامة السيد عبد الكريم الحيدري
جعفر الملائكة
السيد جعفر السيد هاشم
السيد علي مهدي البغدادي
عباس أغا عليوف
الحاج عبد المجيد الصفار
مهدي الخاصكي
الحاج محمد حسن الجواهر
اسطة علي العينهجي
الحاج عبد الحسين البحراني
الحاج أمين الجرججي
الحاج جودي قنبر أغا
الحاج حسين علاوي
الحاج حسين الشهرنبلي
الحاج عبد الغني كبة
الحاج جعفر أبو التمن

وبعد مداولات حرروا طلبا يطلبون الاجازة بفتح المدرسة واتفق أن
يقدمها الاستاذ البازركان نفسه . فلما رفعها للوالي وقرأها ، قال له - لماذا
تطلب فتح مدرسة أهلية للجعفرية ؟ وهناك مدارس حكومية كثيرة ؟
فقال له الاستاذ البازركان .

- لا يوجد أي جعفري في المدارس الحكومية !!

ولما تأكد من صحة قول البازركان من (المكتوبجي) ، وافق على منح
الاجازة . وهكذا انتهت معاملتها وأصبح مديرا لها ، الشيخ شكر نفسه ،
وأطلق على المدرسة اسم (مكتب الترقّي الجعفري العثماني) . وقد اتخذت

من الدار التي كان يسكنها الطبيب المشهور (ارسطو) وهي مجاورة لمسجد الحاج داود أبو التمن ، مقرا لها •

وقد افتتحت الدراسة فيها يوم ١٧ ذي القعدة سنة ١٣٢٦ هـ المصادف (١٩٠٩ - ١٩١٠ م) •

وقد جمعت تبرعات لغرض انشاء بناية خاصة بها بلغت (٨٠٠ ليرة) ذهبية • وقد كان عدد الطلاب الذين سجلوا فيها عند افتتاحها (٣٠٠ طالبا) توزعوا على مختلف مراحل الدراسة التي احتوتها المدرسة من (روضة وابتدائية ورشدية) • ثم أخذت تتوسع حتى أصبحت بعد أربع سنوات ، مدرسة اعدادية •

أما ادارة المدرسة فقد كانت بعهدة (الشيخ شكر) يساعده عدد من المدرسين نذكر منهم الاساتذة •

المرحوم علي البازركان • محمد أفندي ، المسيو مهران ، السيد حسن • ولقد سارت المدرسة منذ ذلك التاريخ باندفاع ، غير أن نشوب الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ م سبب بعض القصور فاغلقت الصفوف الاعدادية والرشدية ، وبقيت الدراسة فيها مقتصرة على المرحلة الابتدائية •

وفي نهاية الحرب عام ١٩١٨ م كانت بنايتها قد فرغ من انشائها فانتقلت اليها وغيرت اسمها عند ذاك ، وأصبحت (المدرسة الجعفرية) • وقد تخرج في هذه المدرسة عدد كبير من الرجال الذين تولوا المناصب العالية فيما بعد نذكر منهم الاساتذة :

المرحوم جعفر حمندي ، الحاج محمد حسن كبة ، أحمد زكي الخياط ، رؤوف البحراني ، عباس مهدي ، عبد الحميد مهدي ، صادق البصام ، عبد الرزاق الازري ، عباس شكارا ، حسن جواد ، عبد الهادي المختار ، عبود زلزلة ، كاظم شكارا ، جعفر خياط ، عبد المجيد محمود ، حسام الهادي وغيرهم « ٣٣ » ••

٢٣ — لقد استقينا كثيرا من هذه المعلومات من الاستاذ كاظم شكارا مدير حسابات المدارس الجعفرية اليوم واحد تلامذتها الاوائل بالامس •

ثانيا - التعليم في ولاية الموصل

كانت ولاية الموصل ابان العهد العثماني مسرحا للحروب والغزوات • فلا عجب ان خبا فيها نور العلم، بعد أن كان مزدهرا ، فقد انحطت فيها العلوم، لاسيما في عهد الدولة الايلخانية والدول التركمانية، ثم في زمن سيطرة الاعجام عليها • ولما انتهت السيطرة عليها الى أيدي العشانيين ، وفوضت حكمها الى الوزراء الجليلين ، قامت في زمن هؤلاء ، نهضة علمية مناسبة لذلك العصر ، غير أنه لما آل الامر فيما بعد الى الولاة الاتراك ، أصابت تلك المدارس ودور العلم التي كانت قد انشأت فيها ، فترة اهمال بسبب انشغال الحكومة في كبح جماح العصاة من البدو والاكراد • غير أنه لما استتب الامن في ربوع الموصل أخذت الحكومة على قدر طاقتها تهتم بشؤون التعليم والثقافة وذلك منذ بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر «١» •

أ - المدارس الابتدائية

ان أول مدرسة ابتدائية حديثة أسست في مدينة الموصل ، يرجع تاريخها الى عهد ولاية (كنعان باشا) • فقد تم تأسيس (مكتب) حديث في الموصل سنة ١٨٦١ م • وكان ذلك بمسعى الحاج فهمي أفندي بن مصطفى أفندي العمري ، حيث أسست بجوار ، باب لگش (باب الجيش) • وكان هذا المكتب في بداية انشائه ، يضم صفوفًا ابتدائية وصفوفًا أخرى للدراسة الرشدية • وقد ظلت الحالة كذلك حتى عام ١٨٩٠ ، عندما انفصل المكتب الرشدي عن المكتب الابتدائي • وبعد ذلك بأربع سنوات أي في عام ١٨٩٤ م ، أنشئ في مدينة الموصل مكتب ابتدائي ثان ، دون أن يكون في المدن والحوضر التابعة للولاية كلها سوى ثلاث مدارس رشدية ، تحوي صفوفًا للدراسة الابتدائية • غير أنه لم يكد ينتهي القرن التاسع عشر حتى أخذ تأسيس المدارس

الابتدائية ، يتوسع في مختلف المدن والاقضية والنواحي الملحقة بالولاية .
حتى أصبح عددها عام ١٩١٤ م حوالي (٣٠) مدرسة رسمية .
اما موضوعات الدراسة ، وحالة المعلمين فيها ، فهي مشابهة للدراسة
الابتدائية في بغداد ولذلك لم نر حاجة في تكرار ذلك .
ونظرا لكبر مدينة الموصل ، وكثرة القرى والنواحي الملحقة بها ، فقد
انتشرت فيها مدارس ابتدائية عديدة كانت عام ١٩١٤ تضم المدارس الآتية :

١٣٠	وعدد طلابها	١ — المدرسة النموذجية
٨٥	» »	٢ — مدرسة الاتحاد والترقي
٥٣	» »	٣ — مدرسة المياسة الابتدائية
١٢٥	» »	٤ — مدرسة جامع خزام الابتدائية
٦٠	» »	٥ — مدرسة كورة باش الابتدائية
٣٣	» »	٦ — مدرسة شيخ محمد الابتدائية
أما مدارس القرى التابعة لها فكانت أربع مدارس هي :		
٢٠	وعدد طلابها	١ — مدرسة نينوى الابتدائية
٢٠	» »	٢ — مدرسة يارمجة الابتدائية
١٥	» »	٣ — مدرسة كوكجه لي الابتدائية
٢٨	» »	٤ — مدرسة الرشيدية

الا أن عدد مدارس مدينة الموصل قد زاد فيما بعد ، ثلاث مدارس ، هي
مدرسة تطبيقات دار المعلمين ، ومدرسة (دار العرفان) ، ومدرسة (شمس
المعارف) (٢) .

ولكن هذه المدارس لم يبق منها في عام ١٩١٧ م ، سوى ثلاث مدارس كان
عدد طلابها (٢٥٩ طالبا) (٢) .

٢ — أسرار الكفاح الوطني في الموصل . المصدر السابق .
٣ — فصول من تاريخ العراق القريب . المس بيل ، ترجمة جعفر خياط .
بيروت . ١٩٤٩ .

أما المدارس الابتدائية التي أنشأت في المدن والحوضر التابعة لولاية الموصل ، فقد بلغت زهاء العشرين مدرسة ابتدائية ، توزعت في ألوية كركوك والسليمانية وأربيل والاقضية الملحقة بها .
ونقدم فيما يلي ، جدولاً عاماً بمدارس الولاية عام ١٩١٤ م استناداً الى سالنامة ولاية الموصل لسنة ١٣٣٠ هـ .

مدارس ولاية الموصل الابتدائية الرسمية عام ١٩١٤

(للذكور فقط)

عدد الطلاب	عدد المدارس	المدينة
٥٧٠	٦	مدينة الموصل
٨٨	٤	القرى الملحقة بالموصل
٣٠	١	عقرة
٤٥	١	العمادية
٤٥	١	سنجار
٥٠	١	دهوك
٤٠	١	زاخو
٢٨٠	٤	كركوك
٤٥	٢	راوندوز
١٢٥	١	كويسنجق
١٥٠	١	صاحية
١٥٥	٢	أربيل
٨٠	٢	السليمانية
٦٠	١	شهر بازار
٣٠	١	معمورة الحميد

٤٠	١	تلغفر
١٧٩٣	٣٠	المجموع «٤»

ب - المدارس الرشدية

بينما أن المكتب الذي أنشئ في مدينة الموصل ، أيام ولاية كنعان باشا عام ١٨٦١ م ، كان يحتوي على صفوف ابتدائية ، و صفوف رشدية ، ولذلك يعتبر هذا التاريخ بداية لتأسيس المدارس الرشدية فيها . ولكن هذه الصفوف أصبحت (مدرسة رشدية) مستقلة في سنة ١٨٩٠ م .
وفي عام ١٨٩٤ أنشأت مدارس رشدية ، في السناجق الملحقة بالولاية . فأصبح في ولاية الموصل أربع مدارس ، موزعة في مدن الموصل ، وشهرزور وراوندوز والسليمانية .

أما في سنة ١٨٩٥ م ، فقد تحولت المدرسة الرشدية . في مدينة الموصل الى (مدرسة اعدادي ملكي) . الا أنها كانت تضم صفوف المدرسة الرشدية . بينما ظلت رشديتا ، كركوك والسليمانية ، الى ما بعد اعلان المشروطية ، حيث تحولتا بعد عام ١٩٠٨ م الى مدرستين اعداديتين شبيهتين بمدرسة مدينة الموصل .

وهناك (مدرسة رشدية عسكرية) في مدينة السليمانية . وعلى هذا يمكن القول ، أنه كان في ولاية الموصل ، عدا المدارس الرشدية المنضوية تحت اسم (مدارس الاعدادي ملكي) في الموصل وكركوك والسليمانية ، كان يوجد ثلاث مدارس رشدية ملكية . وواحدة عسكرية موزعة على الشكل الآتي :

١ - المدرسة الرشدية للبنين في أربيل عدد طلابها ٢٩

٤ - لقد خمن عدد طلبة المدارس الابتدائية في كل من ، عقرة وسنجار ودهوك وزاخو وتلغفر ومعمورة ، قياسا على المدارس المجاورة ، لعدم الإشارة الى ذلك في سالنامة ولاية الموصل لسنة ١٣٣٠ هـ .

- ٢ — المدرسة الرشدية في راوندوز » » ٣٠
 ٣ — المدرسة الرشدية في الصلاحية » » ١٩
 ٤ — المدرسة الرشدية العسكرية بالسليمانية » » ١٣٨

ج — مدارس الاعدادي ملكي

ان مكتب الاعدادي ملكي كما تبين لنا في بحث المدارس الرشدية ، كان قد تحول الى مدرسة اعدادية في سنة ١٨٩٥ م . بينما لم تتحول المدرستان الرشديتان في كركوك والسليمانية الا بعد عام ١٩٠٨ بقليل . وعلى هذا لم يكن في ولاية الموصل عام ١٩١٤ م سوى هذه المدارس الاعدادية الثلاث وهي:

- ٣ — المدرسة الاعدادية في السليمانية عدد الطلاب ١٦٣
 ٢ — المدرسة الاعدادية في كركوك » » ١٣٥
 ١ — المدرسة الاعدادية في الموصل » » ٣٤

د — مدارس الاناث

كانت مدينة الموصل في مقدمة المدن العراقية التي انشأت فيها مدارس لتثقيف البنات . غير أن ذلك كان على أيدي جهات تبشيرية كما سنرى فيما بعد . أما الجهود الرسمية فلم تنشط الا بعد المشروطة ، اذ تم فتح (مكتب رشدي) للاناث ثم بعد ذلك بسدة فتح مكتب ابتدائي في محلة (السراجخانة) . أما في مدينتي كركوك والسليمانية وغيرهما من الحواضر التابعة لولاية الموصل فلم ينشأ فيها أية مدرسة للاناث . وعليه لم يكن في ولاية الموصل كلها سوى هاتين المدرستين وهما : « ٥ »

- ١ — المدرسة الرشدية للبنات في الموصل وعدد طالباتها ١٤٠ .
 ٢ — المدرسة الابتدائية في محلة السراجخانة وعدد طالباتها ١٢٠ « ٦ » .

٥ — سالنامه ولاية الموصل لسنة ١٣٣٠ هـ .
 ٦ — ذكرت (المس بيل) في كتاب (فصول من تاريخ العراق) أن عدد طالبات الموصل عام ١٩١٧ كان (١٤٩) طالبة فقط .

هـ - دار المعلمين الابتدائية

نشأت فكرة اقامة دور للمعلمين في الولايات المختلفة في أواخر القرن التاسع عشر ، لاسيما بعد التوسع في فتح المدارس الابتدائية ، وتزايد الحاجة الى المعلمين من جراء ذلك .

ولذلك كانت ولاية الموصل قد أنشأت لها دارا للمعلمين ، حوالي عام ١٩٠٠ . وكانت باديء أمرها تحتوي على صفين ولم يكن نظامها ليحيز قبول أكثر من عشرة طلاب . غير أنه لما وقع الانقلاب العثماني ، تطور وضع الدراسة فيها ، فأصبحت ذات ثلاثة صفوف . ثم اتسعت مناهجها ، وزاد عدد الطلاب فيها ، حتى بلغوا (١٥٠ طالبا) يشلون مختلف الاجناس والديانات . وموضوعات الدراسة فيها شبيهة بموضوعات الدراسة في دار المعلمين الابتدائية في بغداد . وقد كان من بين الذين تولوا التدريس فيها المرحوم ، مولود مخلص ، والشيخ قاسم الشعار وغيرهما ...

وقد أصبحت مدة الدراسة فيها أربع سنوات عام ١٩١٥ م . كما أصبحت داخلية . ونظرا لانشغال نار الحرب في البلاد فقد أخذت الدراسة فيها تتضاءل وعدد طلابها يقل تدريجيا حتى اذا ما دخلت الموصل ، الجيوش البريطانية ، أقفلت المدرسة أبوابها «١» .

و - مكتب الصنائع في كركوك

يرجع تاريخ انشاء مكتب الصنائع في كركوك الى أيام مدحت باشا أيضا أي الى عام ١٨٧١ م . وقد ساهم الاهلون كذلك في انشائه وادامته ، الا أنه كما يبدو قد فترت الهمة وأخذت الدراسة فيه تتقهقر بسبب توقف الناس عن البذل والمساعدة . ولقد شكوا طلاب هذا المكتب حالهم على صفحات جريدة الزوراء بعددها المرقم ٥٤٧ سنة ١٢٩٢ هـ ومطالبوا الحكومة باتقاذه ، عن

طريق حث الاهلين على البذل والمساعدة ثانية !!

ولقد علقت الجريدة على هذه الشكوى قائلة ...

(فيا عجبا لصنع الاهالي المرقومين ، عدم المساعدة هذه ، ليبقى أولادهم مغضوضي الابصار في وادي الجهل والحرمان ، فيا ويحكم هلا جنبوهم هذه المفازة من العطب والخسران ؟ والعلم والمعرفة رأسال دائم ، يدع صاحبه في كل حال ومحل ، معززا محترما !! * لان ثروة الجاهل — لأأرانا الله وجه الجهل ، ولا حرمانا من مشاهدة محيا العلم والفضل — وغناه ، اذا وطأ الادبار ظهريهما ، ولطمت الدواهي وجنتيهما ، تكون اعادتهما مرة أخرى شيئا مشكلا وأمرأ مستحيلا) *

ومن هذا يبدو لنا أن الدراسة في هذا المكتب كانت ساذجة بسيطة ويكفي أن نشير أن ملاكه عام ١٩١٣ كان مؤلفا من معلم واحد وكاتب فقط !



ثالثا - مدارس ولاية البصرة

ان تاريخ البصرة في تلك القرون المظلمة ، تاريخ حافل بالحروب والمعارك والغارات والغزوات ، تأتيها من كل الجهات ، من فارس ، من البادية ، من الاتراك أنفسهم ، ولذلك كانت الحياة فيها في تلك العهود ، أشد اضطرابا ، واكثر فسادا مما كان في ولايتي بغداد والموصل . ولذلك نستطيع ، ونحن نريد البحث عن التعليم في هذه الولاية أيام العشانيين ، أن نعرف مقدما أسباب ذلك التخلف في هذا الميدان . يضاف الى ذلك انضواء كثير من المناطق العشائرية تحت لواء تلك الولاية وما يعني ذلك من التأخر في هذا المجال .

آ - المدارس الابتدائية

لم يكن في ولاية البصرة ، قبل عام ١٨٨٣ م أي مدرسة ابتدائية ، غير أنه بعد هذا التاريخ ببضع سنوات ، اتخذت خطوات لتأسيس بعض المدارس الابتدائية الرسمية . فقد وجد منها ، خمس مدارس ، أربع منها في مدينة البصرة نفسها ، والخامسة في قصبة أبي الخصيب . وقد أصبح عددها في سنة ١٨٩٥ م ، ثماني مدارس منها ستة في البصرة وهي :

- ١ - مدرسة البصرة الابتدائية
 - ٢ - مدرسة الفيضية الابتدائية
 - ٣ - مدرسة المناوي الابتدائية
 - ٤ - مدرسة العشار الابتدائية
 - ٥ - مدرسة المشرق الابتدائية
 - ٦ - مدرسة الصبحة الابتدائية
- أما الاخریان فواحدة في أبي الخصيب والثانية في القرنة . وقد أخذ عدد هذه المدارس يتزايد في الولاية ، حتى أصبح عددها ١٩٠٥ ، كما يلي

- ١٢ — مدرسة ابتدائية في البصرة وقضايتها ، عدد طلابها ، ٤٠٠ طالب .
١٥ — مدرسة ابتدائية في لوائي العمارة والناصرية وأقضيتهما السبعة
وطلابها ١٨٠ .

ب — المدارس الرشدية

لم تكن عناية المسؤولين في البصرة جدية بالنسبة للتعليم ، فقد تقرر مثلاً ، فتح مكتب رشدي فيها ، وأعلن عن ذلك وتقدم الطلاب للتسجيل فيه ، غير أن الدراسة لم تتم ، وتفرق الطلاب بسبب بسيط ، ألا وهو عدم وجود معلم لتلك المدرسة . وكانت هذه المحاولة حوالي عام ١٨٨٢ م . إلا أنه في عام ١٨٨٣ م أعيد فتح هذا المكتب بسبب قدوم معلم له من استانبول في هذه السنة . ثم أخذت هذه المكاتب تفتح في المراكز المهمة في الولاية حتى أصبح عددها عام ١٩٠٥ م . أربعة مكاتب رشدية هي :

٩٦	وعدد طلابه	١ — المكتب الرشدي في مدينة البصرة
٥٨	»	٢ — المكتب الرشدي في الناصرية
٥٠	»	٣ — المكتب الرشدي في العمارة
٤٠	»	٤ — المكتب الرشدي في الحي

ج — مدارس الاناث

ان أول مدرسة للبنات في العراق هي المدرسة التي أنشأتها السلطات العثمانية في البصرة كما أشارت الى ذلك سالتامة ولاية البصرة لسنة ١٣١٧ هـ المصادف ١٩٠١ م . فقد جاء في الصفحة (١٧١) وهي صفحة (التصحيحات والاضافات) منها ، بأنه قد تم انشاء مدرسة للاناث في البصرة في هذه السنة (أي سنة ١٣١٧ هـ) وعينت المعلمة الاولى لها وهي (سبيلة هانم) والمعلمة الثانية (ييزي خانم) . وقد بقي هذا المكتب هو المكتب الوحيد في ولاية البصرة . وكانت الدراسة فيه ساذجة جداً ولذلك كان الاقبال عليه قليلاً بحيث لم يكن له شأن يذكر .

المدارس الاهلية

تعتبر ولاية البصرة أكثر الولايات تأخرا في النشاط الثقافي ، فهي أقل الولايات عددا في المدارس والطلاب والمعلمين ، فضلا عن أنها كانت خلوا من المدارس المهنية التي كانت قائمة في ولايتي بغداد والموصل . ولذلك لما اعلنت المشروطة وهبت الولايات العثمانية المختلفة ، رغبة في الاستفادة من نعمة الحرية والعدالة والمساواة ، كانت البصرة أقل تلك الولايات حظا ، ومع هذا فقد قام فيها رجل بسحاولة ناجحة في هذا المجال ذاك هو المرحوم سليمان فيضي المحامي .

مدرسة تذكار الحرية

ان مؤسس هذه المدرسة الاهلية هو المرحوم الاستاذ سليمان فيضي المحامي . كان قد تقدم الى السلطة في البصرة طالبا منحه اجازة بتأسيس مدرسة اعدادية أهلية اسمها (تذكار الحرية) ، ويكون التدريس فيها باللغة العربية على أن تدرس فيها اللغات الاخرى كالتركية والانكليزية والفرنسية . فلما قام بمقابلة والي (عام ١٩٠٨) اقترح عليه أن يسميها (يا دكار حرية) وبين له عدم الموافقة على التدريس بالعربية رسميا الا أنه على ما يبدو كان متسامحا في ذلك . وعلى هذا الاساس تمت الاجازة فشرع الاستاذ فيضي عن ساعد الجد واستأجر دارا لها وانتخب لها الاساتذة وهم :

الحاج احمد السالم (معاون للمدير) أما المدرسون فهم :

عبد العزيز التكريتي . مدرس اللغة العربية والدين

المستر مانوئيل . مدرس اللغة الانكليزية

المستر . و . اندريه . مدرس اللغة الفرنسية

المحامي عمر فوزي . مدرس اللغة التركية

نوري محمود . مدرس الخط

كما تبرع عدد من الضباط العرب الموجودين في حامية البصرة آنذاك

لتدريس بقية الدروس ، وكان منهم (سامي الاورفيلي) و (عبد الرزاق حلبي) و (توفيق فكرت) .

وعندما فتحت المدرسة أبوابها تم تسجيل (١٦٠ طالبا) . ولما ضاقت بهم الدار الاولى استأجر دارا أوسع ، وهي البناية التي تشغلها مدرسة (السيف) اليوم .

غير ان هذه المدرسة لم يكتب لها الاستمرار بتأدية رسالتها ، وذلك بعد مرور عام واحد على حياتها . فلقت طلبت جمعية الاتحاد والترقي من مؤسسها أن تكون تحت نظارة الجمعية ، مقابل قيامها بإدارتها ماليا . وبعد جدل وققاش طويل وافق على شروط الجمعية . وما ان وافق الا وطلبت الجمعية منه تبديل اسمها باسم (مدرسة الاتحاد والترقي) وجعل التدريس باللغة التركية والا فانها ستخبر الوزارة بعمله الا وهو قيامه بالتدريس باللغة العربية فيها خلافا للقوانين ، وتجاه هذا التهديد وبعد مراجعة الوالي وافق على التخلي عن هذه المدرسة للجمعية في نهاية السنة الدراسية . فلما جاء العام الدراسي الثاني وفتحت المدرسة أبوابها باسم (مدرسة الاتحاد والترقي) لم يؤمها غير عدد ضئيل من الطلاب ، احتجاجا على تصرفها هذا ، مما اضطر الجمعية في النهاية الى غلقها وتحويل بنائها الى ناد لاعضاءها (١) .

المدرسة الصناعية

لم يكن في مدينة البصرة مدرسة للصنائع اسوة بما كان في بغداد وكركوك . وقد حاول المرحوم سليمان فيضي المحامي ان يخطو في هذا السبيل خطوة لانشاء مدرسة صناعية على أساس شركة . وقد قام فعلا بدعوته هذه وأخرجها الى حيز الوجود اذ عقد اجتماعا عاما يوم (١٠/٨/١٩٠٩ م) حضره عدد كبير من الوجوه وبعد ان بين لهم اغراض هذا الاجتماع ، جمع مبلغا قدره ، (٤٤٠ ليرة ذهبية) .

وبينما كان الاستاذ منهمكا في وضع نظام للمدرسة ، قدم البصرة الوالي سليمان نظيف ، فلما سمع بمحاولة الاستاذ فيضي ، أخبره بأنه سوف يطلب من الوزارة تأسيس مدرسة للصنائع ، مجهزة بجميع الوسائل اللازمة . وقد كتب الوالي فعلا الى استانبول بهذا الشأن ولكن المراجع المختصة فيها لم تجبه الى طلبه (١) .

وعلى هذا الاساس فشل المشروع ولم يؤسس في البصرة مدرسة صناعية .



الاقليات والتعليم في العراق

لا بد لنا قبل الخوض في أثر هذه الاقليات في التعليم ومدى مساهمتها في نشره ، أن نلقي نظرة تاريخية حولها ، لنقف بعد ذاك على الاسباب التي ساعدت على نشر التعليم بواسطتها في البلاد ، ولذلك سوف نبث عن الاقلية المسيحية اولا : وعن الاقلية اليهودية ثانيا ، اذ كان لهما أثر كبير في نشر الثقافة الحديثة في البلاد ، بقطع النظر عن الدوافع الحقيقية لذلك .

أولا - الاقلية المسيحية

كان المسيحيون في العراق ابان العهد العثماني منقسمين الى قسمين كبيرين ، وكل قسم منها يتشعب الى فرق وطوائف .
فالقسم الاول : وهو الذي تنضوي الاكثرية تحت لوائه هم المسيحيون (الكاثوليك) الذين يتفرعون الى الطوائف الآتية :
الكلدان ، السريان ، اللاتين ، الروم ، الارمن الكاثوليك .
أما القسم الثاني فهم المسيحيون من غير الكاثوليك ، الذين يتفرعون الى الطوائف الآتية :

النساطرة ، اليعاقبة ، الارمن الارثودكس ، البرتستانت ، السبتيون .
ومما تجدر الاشارة اليه في هذا الصدد ، هو ان كل طائفة من هذه الطوائف ، تؤدي طقوسها الدينية بلغة خاصة ، ولذلك كثيرا ما كان لتلك اللغة الاثر البعيد في تسمية الطائفة بها .

ففي الطوائف الكاثوليكية ، نجد أن طائفة (الكلدان) تؤدي طقوسها باللغة (الكلدانية) ، و (السريان) تؤديها باللغة (السريانية) ، و (اللاتين) باللغة اللاتينية ، و (الروم) باللغة اليونانية ، والارمن باللغة الارمنية ، على الرغم من أن جميعهم (كاثوليك) . أما الطوائف غير الكاثوليكية ، فان (النساطرة) تؤدي طقوسها الدينية باللغة (الكلدانية) ، و (السريان اليعاقبة)

باللغة (السريانية) ، (والارمن الارثودكس) باللغة الارمنية ، بينما (البروتستانت) (والسبتيون) يؤدونها باللغة الانكليزية « ١ » .
ولقد انتشرت اكثرية المسيحيين في مدينة الموصل والقرى المحيطة بها ، كما انتشروا حول الاديرة ، وحافظوا على كهنتهم في جبال كردستان ، في الوقت الذي تجمعت فيه مئات العوائل المسيحية الاخرى في مدن بغداد وكركوك والبصرة .

أما من حيث الاهمية والنسبة العديدة بين الطوائف المسيحية ، فتأتي بالدرجة الاولى (طائفة الكلدان) ، وتليها طائفة (السريان) وهما طائفتان (كاثوليكيستان) . وتأتي بالدرجة الثالثة (طائفة السريان الارثودكس) .

حقوق الاقليات

لقد تعرض المسيحيون خلال تلك العهود المظلمة الى الكثير من صنوف الاذى والتعديت ، وعلى الرغم من كونهم رعايا دولة واحدة . الا انهم لم تكن لهم حقوق متساوية مع المسلمين ، لا سيما في حقوق التملك او الحريات المدنية والسياسية أو غير ذلك . وقد كانت هذه الحالة ذريعة من الذرائع التي تذرعت بها الدول الاوربية للتدخل في شئون الدولة العثمانية ، وحملتها كمارأينا على اصدار المنشورات والتنظيمات الاصلاحية التي نصت فيها على منح هذه الاقلية حقوقا متساوية مع المسلمين ، كما منحتهم حرية العبادة وأعطت لرؤساء الطوائف المسيحية ، صلاحية الفصل في قضايا الاحوال الشخصية بموجب القوانين الكنسية الخ . . .

وعلى الرغم من صدور تلك التنظيمات ، فالذي يبدو أن الامر لم يكن يتعدى الاعلان فقط . ولذلك أعادت تلك الدول مناقشة هذا الامر ، وأكدت عليها في معاهدة برلين التي عقدها عام ١٨٧٨ م ، اذ نصت بالمادة (٦٣) منها على ما يلي . . .

« حيث ان الباب العالي أظهر رغبته في ابقاء اصول حرية الديانة ، وتوسيع مداها توسيعا مطلقا ، فان الموقعين على هذه المعاهدة ينزلون هذه الرغبة منزلة الفعل ، فلا يسوغ التمييز في الاعتقادات الدينية ، في جميع أطراف السلطنة العثمانية ، حتى يخرج أحد من الاهلية والجدارة ، بجميع ما يتعلق بتمتعه بالحقوق المدنية والسياسية ، أو بدخوله في الوظائف الميرية أو العمومية ، أو نواله الشرف أو استعماله الصنائع والحرف المختلفة كيفما كان مقره . ويؤذن لجميع الناس ، بأن يؤدوا الشهادة في جميع المحاكم بدون تمييز أحد ، في الدين . واستعمال سائر الامور الدينية يكون بحرية ، فلا يكون مانع ما لترتيب درجات أرباب المذاهب المختلفة أو لعلاقاتهم مع رؤسائهم . ويكون الاكليروس ، والزوار والرهبان ، من جميع الامم الذين يسافرون في الممالك العثمانية ، في الروم أيلي ، والاناضول ، حائزين حقوقا واحدة وامتيازات وخصائص واحدة . وفوض القناصل ونواب الدول الاجنبية في تلك الممالك ، حق حماية أولئك المذكورين ، وحماية محلاتهم الدينية والخيرية ، حماية رسمية في الاماكن المقدسة أو غيرها . أما الحقوق المسلسلة لفرنسا ، فلم تزل مرعية الاجراء . وصار من المعلوم المقرر هنا ، أنه لا يسوغ تبديل حال من الاحوال الحاضرة في الاماكن المقدسة . اما زوار جبل آثوس ، من أي جنس كانوا ، فيبقون حافظين لاملاكهم وامتيازاتهم ومنحهم السابقة ويبقون متمتعين بمساواة تامة في الحقوق والمزايا (٢) » .

وعلى الرغم من هذه المادة وغيرها ، ووعود السلاطين ، فان وضع الاقلية المسيحية في العراق لم يتحسن . ولكن هذه الحال أفادت من ناحية بعث النشاط لدى الطوائف المسيحية نفسها ، اذ قامت مستفيدة من تلك النصوص الصريحة

بنشر المؤسسات الثقافية والخيرية • سواء كان ذلك من قبل الارسلات
الاجنبية التي أمت العراق في القرن التاسع عشر ، أم من المسيحيين العراقيين
أنفسهم ، تلك المؤسسات والمعاهد التي كان لها أكبر الاثر في نشر الثقافة في
البلاد •



مدارس الطوائف المسيحية في العراق

أولا - مدارس الموصل

كانت الطوائف المسيحية المختلفة تعني بتعليم أبنائها ، القراءة والكتابة والعلوم الدينية في المدارس التي أنشأتها في كنائسها . ولقد كان المدرسون غالبا من الرهبان والقسس والشمامسة ، الذين كانت لهم ثقافة جيدة بحكم دراساتهم الطويلة ، ومعرفتهم باللغات القديمة والحديثة . وتوافر خزائن الكتب في كنائسهم ، فضلا عن الكتب التي كانت تطبخها مطابعهم الخاصة في مختلف اللغات ولذلك كانت تلك المدارس تغذي طلابها بثقافة لا بأس بها ، في تلك العصور المظلمة .

أ - مدرسة الكلدان

وفضلا عن تلك المدارس فقد قام (الشماس روفائيل مازدهجي) سنة ١٨٦٣ م ، بتأسيس مدرسة داخلية للشبان الكلدان في الموصل . جهزها بجميع اللوازم ، وقد ماتت هذه المدرسة بسوت صاحبها ، غير أنه بعد ذلك بفترة قصيرة افتتحت ثانية . واستكمل بناءها غبطة السيد يوسف عمانوئيل الثاني ، بطريرك الكلدان . وصارت تعرف فيما بعد باسم (مدرسة الكلدان) . وقد أخذت هذه المدرسة تدرس العلوم الحديثة وبعض اللغات الاجنبية لا سيما اللغة الفرنسية (٣) .

ب - مدرسة السريان

لم نجد في سالتنامات ولاية الموصل التي كانت تصدرها السلطة ، أي ذكر لهذه المدرسة بين مدارس الطوائف غير المسلمة . ولذلك يمكن القول انها

كانت قد أنشئت في أوائل القرن العشرين • اذ لم يرد لها ذكر الا في سالنامة عام ١٣٣٠ هـ المصادف ١٩١٤ م •
وقد استمرت هذه المدرسة في عملها حتى دخول الجيش البريطاني للموصل عام ١٩١٨ م (٤) •

ج - مدرسة اليعاقبة

أما هذه المدرسة فلم يرد لها ذكر في سالنامة ولاية الموصل الصادرة سنة ١٣٣٠ المصادف ١٩١٤ م • وعلى هذا يمكن القول أنها أنشأت بعد ذلك التاريخ •
ولقد ظلت تؤدي واجبها هي الاخرى ، حتى دخول الجيش البريطاني عام ١٩١٨ •

ولقد ذكرت المس بيل بأن عدد طلاب هذه المدارس المسيحية الثلاث (الكلدان والريان واليعاقبة) عام ١٩١٨ كان (٧٩١ طالبا (٥)) •

ثانيا - مدارس بغداد

اما المسيحيون الساكنون في بغداد فقد انشأوا لهم مدارس خاصة لتعليم أبنائهم أيضا ، استفاد منها كثير من أبناء المسلمين • أما تلك المدارس فهي ••

آ - مدرسة الاتفاق الشرقي الكاثوليكي

قام بتأسيس هذه المدرسة ، الطوائف الكاثوليكية الثلاث (الكلدان والريان والارمن) وذلك عام ١٨٧٨ م • وتعتبر هذه المدرسة أول مدرسة قامت بتعليم أبناء هذه الطوائف على النهج الحديث • ولقد كان أول مدرس للغة التركية فيها المرحوم عبد الله خونده •
ولقد قطعت هذه المدرسة في تأدية مهمتها شوطا بعيدا ، وأنجبت عددا

٤ - فصول من تاريخ العراق القريب . المصدر السابق .

٥ - فصول من تاريخ العراق القريب . المصدر السابق .

٦ - والد سيادة الاستاذ سامي خوندرة المفتش الاداري سابقا .

كثيرا من الطلاب ، لم يكتب لها الاستمرار في تأدية رسالتها ، اذ توقفت فيها الدراسة فيها وتفرق شمل طلابها عام ١٨٩٣ م «٧» .

ب - مدرسة الكلدان

قامت الطائفة الكلدانية باعادة فتح المدرسة باسم (مدرسة الكلدان) وذلك عام ١٨٩٧ م . كما تم توسيع قاعاتها وأدخل تدريس العلوم الحديثة فيها ، وقد بقيت تؤدي رسالتها التثقيفية ، حتى الاحتلال البريطاني لمدينة بغداد عام ١٩١٧ م . ولقد كانت هذه المدرسة مهتمة بتعليم اللغات الاجنبية كالفرنسية والانكليزية ، فضلا عن تعليم اللغات العربية والكلدانية والتركية . ولقد كان عدد طلبتها عام ١٩١٤ ، (٣٤٠ طالبا ^(٨)) .

ج - مدرسة السريان

أسست هذه المدرسة بعد ان أغلقت مدرسة الاتفاق الكاثوليكي . وقد سميت باسم (مدرسة السريان) وفي سنة ١٨٩٥ م منح مطران السريان في بغداد مبلغا من المال من شركة المرحوم فتح الله عبود اشترى به دارا ، جعل ريعها يعود لمنفعة هذه المدرسة التي كانت تحمل اسم (المدرسة الافرامية الطائفية) ولقد كانت الدروس التي تدرس فيها نفس الدروس في المدارس الابتدائية يضاف اليها تعليم اللغات العربية والتركية والانكليزية والفرنسية . وقد كان عدد طلابها عام ١٩١٤ (٧٠ طالبا) .

د - مدرسة الارمن

وهي المدرسة التابعة للارمن الارثوذكس . وتعد من أقدم المدارس في بغداد ، اذ يكفي أن نشير ، ان غرف هذه المدرسة وسعت عام ١٨٥٣ م ، بفضل

٧ - تاريخ نصارى العراق . روفائيل بابو اسحق . بغداد . ١٩٤٨ .

٨ - سالنامه ولاية بغداد لسنة ١٣٣٠ هـ المصادف . ١٩١٤ م .

ومساعي المرحوم مهران سفاجيان الاستانبولي . وقد ظلت هذه المدرسة تمارس نشاطها الثقافي حتى احتلال بغداد عام ١٩١٧ م «٩» .

أما الدروس التي كانت تدرس فيها ، فكانت تشتتل على تعليم اللغات التركية والارمنية والفرنسية والانكليزية والترجمة وعلم المذاهب فضلا عن الدروس الاخرى . وكان عدد طلابها عام ١٩١٤ م (٨٥ طالبا) «١٠» .

المدارس المسيحية للبنات

لم تقم الطوائف المسيحية في الموصل ، ابان العهد العثماني ، بفتح مدارس منظمة لتعليم البنات . بل تولى ذلك بعض الارساليات المسيحية الاجنبية كما سنرى في البحث القادم .

أما في بغداد ، فلم تقم بذلك الا طائفة الارمن . وذلك في أواخر القرن التاسع عشر . ويكفي أن نعلم ، ان عدد طالباتها عام ١٨٩٣ كان (٤٠ طالبة) . واستمرت حتى عام (١٩٠٩ م) اذ لم نجد اشارة لها في سالنامات ولاية بغداد بعد ذلك التاريخ . ولقد كان عدد طالباتها عام (١٩٠٩ م) ، ٧٠ طالبة . أما دروسها فقد كانت بسيطة . وكانت تهتم بالدرجة الاولى بتعليم اللغات الاجنبية والخياطة والتطريز والنقش .

ثالثا - مدارس البصرة

لم تقم الاقلية المسيحية في ولاية البصرة بأي نشاط ثقافي يذكر في ذلك العهد . كما كان الحال عليه في ولايتي الموصل وبغداد . ما عدا (مدرسة الاميركان) التي انشأتها الارسالية الاميركية والتي ستتكم عنها في البحث القادم .

٩ - تاريخ نصارى العراق . المصدر السابق .

١٠ - سالنامة بغداد لسنة ١٣٢٩ هـ . المصادف . ١٩١٣ .

المدارس المسيحية الاجنبية

مر بنا كيف تمهد الطريق للارسلالات التبشيرية للوصول الى هذه البلاد لاسيما بعد أن ضمنت الحرية والحماية لها ، وصار بإمكانها انشاء المؤسسات والمعاهد الدينية والخيرية في أنحاء الامبراطورية خاصة بعد عقد معاهدة برلين عام ١٨٧٨ •

أما العراق من الناحية الاخرى ، فقد كان في القرن التاسع عشر ، ميدانا فسيحا للصراع بين الدول الاوربية الطامعة فيه أو في تأسيس مصالح معينة لها في أراضيها ••

فبريطانيا كانت ذات نفوذ سياسي واسع ملحوظ في ذلك العهد • ولذلك لم تكن تهتم الا بالقضايا السياسية وما يمت لها بصلة مما يضمن مصالحها أو يوصلها لتحقيق أهدافها • في حين كانت روسيا القيصرية تطمع في الوصول الى المياه الدافئة في الخليج الفارسي •

أما فرنسا فقد تركز نشاطها في ميدان الحركة التبشيرية ، اذ كانت تعتبر نفسها حامية للكاثوليك في العراق • ترسل الرهبان والارسلالات التبشيرية اليه وتجعل القاصد الرسولي يتخذ من مدينة الموصل مركزا له • وقد ترك هذا النشاط أثرا بعيد المدى في المجتمع المسيحي آنذاك •

لقد كانت الارسلالات الدينية الفرنسية قديمة وفعالة ، بدأت في العراق برسالة الآباء الكرملين ، ورسالة الآباء الدومنيكان ثم رسالة الراهبات (اخوات المحبة) • ولقد بذل الفرنسيون عن طريق هذه الارسلالات جهودا فعالة في سبيل نشر اللغة الفرنسية في العراق ، حتى أصبحت لغة شائعة لاسيما في الموصل • ويمكن القول أن الجو الثقافي في مدينة الموصل كان جوا يتسم بطابع فرنسي بارز بسبب ما نشره من كتب ونشرات ثقافية «١» • أما

الولايات المتحدة الامريكية ، فقد كان لها في ذلك العهد نشاط ضئيل جدا لم يكن يتعدى مجال (بعثات التنقيب الآثارية) باديء الامر ، ثم بارسال جماعة من أتباع الكنيسة الهولندية (بروتستانت) في أواخر القرن التاسع عشر . وقد كان مجال عملهم في الالوية الجنوبية ولاسيما مدينة البصرة .

أما الامبراطورية الالمانية فلم تكن مهتمة بالعراق في بداية الامر حتى أنها كانت قد أناطت أمر النظر في شؤون رعاياها الى القنصل البريطاني في بغداد . لكنها عام ١٨٩٤ م عينت لها مقيما خاصا ، ثم جاءت بعد ذلك التاريخ بعثاتها الآثارية غير أنها مع ذلك لم تكن تنظر الى العراق نظرة سياسية ظاهرة الاهداف حتى ظهور دعوتها الخاصة (بالسير نحو الشرق) في نهاية القرن التاسع عشر .



اولا - مدارس الموصل

أ - مدرسة الآباء الدومنيكان

أقبل الآباء الدومنيكيون الى الموصل عام ١٧٥٠ م . باجازه من قبل البابا (بندكتس الرابع عشر) وذلك بعد مبارحة (الرسالة الكبوشية) عام ١٧٢٤ م . ولقد أخذ هؤلاء يتصلون بالاهالي ، ويقومون بتأدية كثير من الخدمات الخيرية لهم . وكان أول عمل لهم هو ، فتح مدرسة في مدينة الموصل ، كانت تهتم بتدريس العلوم واللغة الفرنسية ، تلك هي (مدرسة الآباء الدومنيكيين) . وقد كانت هذه المدرسة ذات أثر كبير في نشر النهضة العلمية في الموصل . لانها لم تكن تعلم أبناء الطائفة المسيحية فقط ، بل دخل فيها عدد كبير من أبناء المسلمين أيضا . ومما ساعد على نشر الثقافة في الموصل قيامهم كذلك بتأسيس مطبعة عام ١٨٦٠ م كانت عاملا مهما في مساعدة المعلمين والطلاب لتوفيرها الكتب والمراجع العلمية التي طبعوها باللغات المختلفة ، كالعربية وللكلدانية والفرنسية . وفضلا عن ذلك فانهم وضعوا لمدرستهم كتباً ألفوها حسب ما تقتضيه أصول التدريس الحديثة ، بغية تسهيل تعليم الناشئة ، ونشروها في الموصل وقراها «١» .

ب - السيمينر

ولقد انشأ الآباء الدومنيكان ، مدرسة خاصة لتدريب وتخريج القسس والرهبان ، أسموها (سيمينر) . وقد كانت دروسها تشمل مختلف الموضوعات الدينية اللاهوتية بالاضافة الى تعليم اللغات الكلدانية والعربية والعبرية والفرنسية .

ج - مدرسة (اخوات المحبة) للبنات

في عام ١٨٧٣ م ، قدم الموصل الراهبات المعروفات بـ (اخوات المحبة) .

١ - تاريخ الموصل . المصدر السابق .

وقد قمن حال وصولهن بفتح مدرسة خاصة بالبنات على مستوى الدراسة الابتدائية . فسارت هذه المدرسة في تدريساتها على أساس تعليم القراءة والكتابة واللغة الفرنسية فضلا عن تدريب البنات على الخياطة والنقش والتطريز والاشغال المنزلية «٢» .

وقد قامت هذه المدرسة بنصيب كبير في تعليم البنات في الموصل . ولم يقتصر الامر على المسيحيات وحدهن ، بل درس فيها عدد كبير من البنات المسلمات أيضا . وبهذه المدرسة كانت الموصل أسبق المدن العراقية في هذا المضمار «٣» .



٢ - تاريخ الموصل . المصدر السابق .

٣ - في رسالة خاصة بعث بها للمؤلف الدكتور داود الجلي بتاريخ ٧-٩-١٩٥٣ ، أن مدرسة الآباء الدومنيكيين كانت تقوم بتعليم البنات مع الذكور .

ثانياً - مدارس بغداد

أ - مدرسة اللاتين

يرجع تاريخ فتح هذه المدرسة في بغداد من قبل الآباء الكرمليين ، الى عام ١٧٢٨ م . اذ فتحت في عهد (السيد عمانوئيل بايه) الكرمللي الذي كان في ذلك العهد قد عين قنصلاً لفرنسا في بغداد ، حيث بنى فيها معبداً لللاتين في (سوق الغزل) وهو المسمى باسم (مارتوما الرسول) فضلاً عن تلك المدرسة . ولقد أخذت عناية الآباء الكرمليين تزداد بهذه المدرسة ، حتى اذا حل عام ١٨٩٣ م ، كانت من مدارس بغداد المهمة . اذ كان عدد طلابها في هذه السنة زهاء (٣٠٠) طالباً . وبتقدم الزمن كانت تتسع حتى اشتملت على المراحل الدراسية الثلاث (الابتدائية ، الرشدية ، الاعدادي) .

أما ادارة هذه المدرسة ، فكانت في الغالب تدار بواسطة الآباء الفرنسيين وقد اشتهر من مديريها (الاب ماري جوزيف دي جيزو المتوفي عام ١٨٩٨ م) وكان المرحوم (الاب أنستاس ماري الكرمللي) قد درس فيها ومن ثم صار مديراً لها عام ١٨٩٤ م . وقد بقي يشغل هذا المنصب حتى عام ١٨٩٧ اذ انتقلت ادارتها الى عهدة راهب غيره «١» .

أما الدروس التي كانت تدرس فيها فهي :
اللغة العربية ، اللغة الفرنسية ، اللغة التركية ، اللغة الانكليزية ، التاريخ ، الجغرافية ، الحساب ، الهندسة ، المساحة ، الجبر ، الصرف والنحو ، البلاغة ، مبادئ الامور الدينية . أما معلمو هذه المدرسة فقد كان معظمهم من العراقيين «٢» .

وقد تخرج في هذه المدرسة عدد كبير من الشبان الذين كان لهم شأن في الحياة العامة فيما بعد . ولم تكن مقتصرة على المسيحيين بل درس فيها عدد

١ - مجلة الحرية ، لصاحبها روفائيل بطي (ج ٦ - ٧) ١٩٢٤ .

٢ - سالنامه ولاية بغداد لسنة ١٣٢٩ هـ . المصادف ١٩١٣ م .

من أبناء المسلمين أيضا • ولقد استمرت هذه المدرسة في تأدية رسالتها حتى إعلان الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ •

ب - مدارس اللاتين للبنات

لم يقتصر نشاط الآباء الكرمليين على تلك المدرسة فقط ، بل أنشأوا عدة مدارس لتعليم البنات ، لاسيما في نهاية القرن التاسع عشر • فقد كانت لهم في ذلك العهد مدرسة ابتدائية مختلطة كان فيها عام ١٨٩٤ م ، (٣٠٠ بنت) و (١٠٠ ولد) •

كما أنهم أنشأوا بعد ذلك مدرسة بنات أسموها (مدرسة اللاتين الاولى للبنات) جعلوا فيها قسما داخليا • كما أنشأوا مدرسة أخرى هي (مدرسة اللاتين الثانية للبنات) • فضلا عن ذلك أنشأوا مدرسة (للبنات اليتيمات) • ولقد كان الاقبال على هذه المدارس كبيرا • ويكفي أن نشير أن عدد الطالبات فيها عام ١٩٠٢ م كان حوالي (٨٠٠ طالبة) •

أما الدروس التي كانت تدرس في هذه المدارس ، فكانت ، الحساب ، والهندسة ، والجغرافية ، والتاريخ ، والرسم ، واللغات العربية ، والفرنسية ، والانكليزية ، والبيانو •

أما المعلمات فمعظمهن من الراهبات •

ومهما يكن من أمر فإن نشاط هذه المدارس أخذ يتضاءل شيئا فشيئا فكانت سالنامة ولاية بغداد لسنة ١٣٢٣ هـ آخر سالنامة تشير إليها ، إذ لم نجد لها ذكرا في سالنامة بغداد لسنة ١٣٢٤ هـ مما يدل على توقفها عن العمل بعد ذلك التاريخ •

ج - مدرسة (اخوات المحبة) للبنات

مر بنا أن الراهبات (اخوات المحبة) كن أسسن في مدينة الموصل مدرسة للبنات عام ١٨٧٣ م الا أن نشاطهن هذا قد امتد الى بغداد عندما

افتتحت فيها مدرسة مسائلة عام ١٨٨١ م . وقد كانت دراستها على مستوى الدراسة الابتدائية فضلا عن تدريب الفتيات فيها على الخياطة وأعمال الابرّة والتطريز والاشغال المنزلية .

د - مدرستا (البروتستانت)

أما طائفة البروتستانت فقد كان لها في بغداد في أواخر القرن التاسع عشر ، مدرستان ، الاولى للبنين ، والثانية للبنات . وقد كان عدد طلاب مدرسة البنين عام ١٨٩٨ م (٤٠ طالبا) وعدد طالبات مدرسة البنات (٢٨) طالبة .



ثالثاً - مدارس البصرة

لم يكن في ولاية البصرة ابان العهد العثماني ، الا بضع عشرات من العوائل المسيحية . ولذلك ما كانت الارساليات التبشيرية توجه جهودها الى تلك المنطقة ، بل انصرفت بكليتها الى ولايتي الموصل وبغداد . الا أنه لم يكد ينتهي القرن التاسع عشر ، حتى وفدت البصرة جماعة من (البروتستانت) من الارسالية الاميركية الهولندية ، حيث باثروا باتخاذ بعض الخطوات والاعمال الخيرية ، كانشائهم مستشفى في البصرة ، وآخر في العمارة وفضلا عن ذلك فانهم قاموا بتأسيس مدرسة لهم في البصرة .

أ - مدرسة الاميركان

يرجع الفضل في انشاء هذه المدرسة في الحقيقة الى نشاط (الدكتور جون فانيس) أحد أعضاء تلك الجماعة . فلقد وصل هذا الاستاذ الى البصرة في شهر شباط من عام ١٩٠٣ م وبعد أن طاف في أرجاء البلاد ، ولمس ضآلة المدارس وتفشي الامية الفظيع ، قرر أن يؤسس مدرسة في البصرة . فلما فاتح بذلك الوالي التركي آنذاك قال له الوالي متهمكا :

— ما أنت وضياح وقتك في تعليم الحير؟! وتجاه مثل هذه العقلية لم يستطع اقناع المسؤولين الا عام ١٩٠٨ م . فقد استحصل عام ١٩٠٩ م على (فرمان) يجيز له فتح مدرسة للبنين في البصرة ، على أن تكون اللغة العربية لغة التعليم فيها علاوة على اللغة التركية واللغة الانكليزية ، بالاضافة الى الدروس الاخرى . وكانت هذه المدرسة قد فتحت أبوابها للطلاب عام ١٩١٠ م . اذ سجل فيها عدد كبير منهم من مسيحيين ومسلمين ويهود وصابئة . وقد استمرت تؤدي عملها في البصرة حتى عام ١٩١٤ م «٢» .

وقد تخرج في هذه المدرسة عدد كبير من أبناء البصرة الذين أصبح لهم شأن في الحياة العامة فيما بعد .

٢ - اقدم اصدقائي العرب . الدكتور جون فانيس . ترجمة جليل عمو بغداد ١٩٤٩ .

ثانيا - الاقلية اليهودية

كانت الاقلية اليهودية في العراق أيام العثمانيين لا تتجاوز (التسعين ألف نسمة) تتركز أكثريتها في مدن بغداد والموصل والبصرة وبعض الحواضر العراقية الاخرى كالحلة والديوانية وأربيل وكركوك وخانقين .

ولم يكن لهذه الاقلية شأن يذكر في ذلك العهد ولكنها على الرغم من كل ذلك كانت قد اتخذت لها سبيلا في الحياة ، فتولت ميدان الصناعات والحرف الدقيقة والتجارة . واتخذت لها فيه مجالا للعمل والتكسب .

أما بالنسبة للتنظيمات الخيرية والاصلاحات ، فقد كانت هذه الجباة من جملة الذين يجب أن تشلهم الحرية والمساواة . ولذلك ما كانوا يتركون فرصة تمر الا ويهتبلونها ، ليس في العراق فحسب انما في لندن وباريس ، حيث الجمعيات الاسرائيلية الفعالة هناك . فقد أرسلت الجمعيات اليهودية الانكليزية عام ١٨٧٨ م ، وقبيل التوقيع على معاهدة برلين عريضة استرحامية الى المندوب البريطاني (اللورد بيكنسفيلد) تشكو فيها حقوق اليهود المهضومة في الامبراطورية العثمانية . وتلتبس من الدول الاوربية الاعتناء بها أسوة بالاقليات المسيحية «١» فكانت محاولاتها هذه واتصالاتها ذات اثر بعيد في الاعتراف لهم ببعض الحقوق العامة .

وهكذا وبتوالي السنين أصبحت علاقات اليهود تتحسن مع المسلمين تدريجيا . وراحوا يتمتعون بقسط من الحرية . وقد زاد سرورهم باعلان المشروطة عام ١٩٠٨ م اذ قام بمظاهرات الغبطة والارتياح . الا أن فرحتهم هذه سرعان ما أعقبتها فتنة ألحقت بهم ضررا ملحوظا . ولكنها أخذت قبل أن تتوسع . وقد حدثت هذه الفتنة بسبب ما أشاعه البعض من دعاة الرجعية

١ - كنز الرغائب في منتخبات الجوائب . ج٦ . سليم فارس . استانبول .

حول الدستور «٢» ومهما يكن من شيء فإن النشاط الذي كانت تبديه الجمعيات الاسرائيلية في كل من لندن وباريس ، منذ أواسط القرن التاسع عشر ، والعمل الذي كانت تقوم به في سبيل رفع شأن اليهود في مختلف الاقطار تنفيذا للخطة الصهيونية المرسومة ، هو الذي حمل الدولة العثمانية على اعطاء اليهود الحرية ، اسوة بالمسيحيين لاسيما بالنسبة لادارة شؤونهم الطائفية الخاصة . ولذلك كان في مقدمة الاعمال التي قاموا بها ، انشاء المدارس الاسرائيلية التي كانت من أنظم ما وجد في العراق من مدارس في العهد العثماني .

١ - المدارس الاسرائيلية في بغداد

كانت بغداد وحدها ، تضم زهاء الخمسين ألف يهودي . ولذلك كان أول عمل قامت به (جمعية الاتحاد الاسرائيلي الفرنسي التقدمي) «٣» هو انشاء مدرسة فيها هي

أ - مدرسة الاتحاد الاسرائيلي

ولقد تم تأسيس هذه المدرسة عام ١٨٦٥ م . وقد أطلق عليها اسم (مدرسة الاليانس الفرنسية) لان الاشراف عليها وعلى شؤون التدريس فيها كان منوطا ، بجمعية الاتحاد الاسرائيلي الفرنسي في باريس . وكذلك الجمعية اليهودية في لندن . وتساهم معهم في ذلك اللجنة اليهودية في بغداد . ولقد نظمت الدراسة فيها على غرار الدراسة في المدارس الابتدائية الاوربية . وكان أول مدير لها ، يهودي فرنسي ، هو (المسيو ماكس) الخبير بفن التدريس ويعاونه بادارتها المدعو (اسحق لوريون الساعاتي) «٤» .

٢ - نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق . يوسف رزق الله غنيمة . بغداد . ١٩٢٤ .

3 - French Jewish progressive alliance Israelite universelle

٤ - نزهة المشتاق . المصدر السابق .

أما منهج الدراسة فقد كان يشتمل على الموضوعات الآتية .. اللغة العبرية ،
اللغة العربية ، اللغة الفرنسية ، اللغة الانكليزية ، اللغة التركية ، التاريخ ،
الجغرافية ، الرياضيات ، الطبيعيات ، علم الاشياء ، الكيمياء .

وقد توسعت هذه المدرسة حتى أصبحت تضم الدراسات الثلاث
(الابتدائية والرشدية والاعدادية) وقد اعترفت الحكومة العثمانية بها
باعتبارها على مستوى الدراسة الاعدادية .

ونظرا للجهود التي كانت تبذلها هذه المدرسة في سبيل تثقيف أبناء
الطائفة الاسرائيلية فقد قام أثرياء اليهود بمساعدتها ماديا ، كما شيد لها
(السير ألبرت داود ساسون) بناية فخمة خاصة بها . ولذلك أصبحت تسمى
بعد انشائها باسم (مدرسة ألبيير ساسون) ، في حين قام مناحيم دانيال بانشاء
قسم آخر فيها ، وحبس لها أشخاص آخرون ، الاوقاف الكثيرة .

ولقد كان عدد طلبتها بأقسامها المختلفة عام ١٩١٣ زهاء ال (١٠٠٠)
طالب ومما تجدر الإشارة اليه في هذا الصدد ، حادثة تكشف لنا ما كانت تبيته
الجمعيات الصهيونية ، وتهدف اليه من وراء انشاء هذه المدارس آنذاك .
فقد حدث خلاف بين الجمعيات المشرفة على شؤون هذه المدرسة بسبب تدريس
العلوم باللغة الفرنسية . فالجمعية الصهيونية تريد جعل اللغة (العبرية) هي
التي تدرس بها العلوم بدلا من الفرنسية ، بينما كانت جمعية الاليانس العراقية
تقاوم هذا الاتجاه ، وأخذت تعمل لابقاء الامر على حاله . ولقد اشتد بينهما
الصراع الى أن تدخلت جمعية يهودية ثالثة في ألمانيا كحكم بينهما ، فقررت
هذه حلا للنزاع ، جعل (اللغة الالمانية) هي اللغة التي تدرس بها تلك العلوم
وتكون هي اللغة الرسمية وما عداها فبلغات فرعية «٦» .

٥ - سالنامه ولاية بغداد لسنة ١٣٢٩ هـ المصادف ١٩١٣ م .

٦ - مجلة لغة العرب ج ٢ عام ١٩١١ م .

ب - المدارس الاسرائيلية الاخرى

وقد ظلت مدرسة الاليانس هي المدرسة الوحيدة في بغداد حتى عام ١٩١٢ م ، حيث نشطت حركة التعليم عندهم ، اذ قاموا بتأسيس عدد كبير من المدارس للمراحل الدراسية المختلفة . اما تلك المدارس فهي : —

١ — مدرسة الاطفال المختلطة : وكان عدد طلبتها عام ١٩١٣ م (٣٠٠ طالب وطالبة) .

٢ — مدرسة التعاون الموسوية : وكان عدد طلابها عام ١٩١٣ م (١٨٠ طالبا) . وكانت تسمى كذلك مدرسة (راحيل شحمون) لان الذي تبرع ببناء دار لها هو الخواجة اليا شحمون وقد سميت باسم زوجته راحيل تخليدا لها .

٣ — المدراس : وهي مجموعة من المدارس تبلغ زهاء (٣٠) مدرسة أولية . وهي في مناهجها وتدريساتها أقرب الى الكتابيب والمدارس الابتدائية . وقد كان عدد الطلاب فيها عام ١٩١٣ زهاء (٢٧٠٠ طالب) .

٤ — مدرسة هارون صالح : وكانت مدرسة مختلطة ، وعدد طلابها ، (٢٣٦ طالب وطالبة) منهم (١٢٠ طالبة) .

٥ — مدرسة الوطن : وهي مدرسة مسائية افتتحت في أوائل نيسان عام ١٩١٢ م لمساعدة الذين يريدون اكمال تحصيلهم بعد غروب الشمس «^٢» .

٦ — مدرسة رفقة روفائيل : وكان عدد طلابها زهاء ال (٣٠٠ طالب)

٧ — مدرسة الغان : كان عدد طلابها وطلباتها (٣٧٥) منهم (٢٧٥) طالبة وقد كان مناحيم دانيال يقوم بنفقاتها «^٣» .

ج - مدرسة لورة خضوري للبنات

أما بالنسبة للتعليم النسوي المنظم فقد قامت جمعية الاتحاد الاسرائيلي ،

٧ — مجلة لغة العرب ج ١ . السنة الثانية . عام ١٩١٢ م .

٨ — نزهة المشتاق . المصدر السابق .

بافتتاح مدرسة لتهديب البنات اليهوديات وذلك عام ١٨٩٣ م . وقد سميت عند افتتاحها بمدرسة (الاليانس للبنات) . الا أنه لما قام الثري اليهودي (السير أليعازر خضوري) بتشييد بناية خاصة بها أطلق عليها اسم (مكتب لورا خضوري للبنات) تخليدا لذكرى زوجته (لورا) . وقد جرى افتتاح هذه البناية يوم ١٤ / ١١ / ١٩١١ أيام الوالي (أحمد جمال بك) .

أما الدروس التي كانت تدرس في هذه المدرسة ، فكانت تشمل اللغات العبرية والعربية والفرنسية والحساب والاشياء والجغرافية والاشغال المنزلية .

أما ادارة المدرسة ، فكثيرا ما كانت مديرتها هي زوجة مدير مدرسة الاليانس للبنين .

وقد كان عدد الطالبات فيها عام ١٩١٣ م ، (٦٠٠) طالبة .

٢ - المدارس الاسرائيلية في المدن العراقية الاخرى

بعد أن استكمل اليهود انشاء مدارسهم في بغداد ، تلفتوا الى بقية المدن والحوضر العراقية التي فيها أقلية يهودية . ولذلك راحوا يؤسسون فيها مدارس ابتدائية تباعا كما يلي

أ - مدرسة الاليانس في البصرة : افتتحت عام ١٩٠٣ م وكان عدد طلابها عام ١٩١٠ م (٢٨٥ طالب) .

ب - مدرسة الاليانس في الموصل : افتتحت سنة ١٩٠٧ م وكان عدد طلابها عام ١٩١٠ (٢٠٤ طالبا) .

ج - مدرسة الاليانس بالحلة : افتتحت سنة ١٩٠٧ م وكان عدد طلابها سنة ١٩١٠ م (١٧٥ طالبا) .

د - مدرسة الاليانس بالعمارة : وقد افتتحت سنة ١٩١٠ م وكان عدد طلابها آنذاك (١٧٨ طالبا) .

هـ - مدرسة الاليانس في خاقين : افتتحت عام ١٩١٣ م وكان عدد طلابها ٧٠ طالبا .

تلك هي المدارس الاسرائيلية التي كانت في العراق في العهد العثماني .
وكانت قد ساهمت بنشر الثقافة في البلد ، بقطع النظر عما كانت تقصد اليه في
غايات . اذ درس فيها عدد من الشبان المسيحيين والمسلمين علاوة على اليهود
أنفسهم .



مدارس الجاليات الأجنبية

بينما في البحث السابق مدارس الاقليات ، والارسلات المسيحية في العراق . وفي هذا البحث سنتكلم عما قام في العراق ، من مدارس للجاليات الاجنبية لاسيما بعد الانقلاب العثماني وعلان المشروطية عام ١٩٠٨ م . غير اننا أثناء البحث عن تاريخ هذه المدارس وجدنا أنه كان قد تأسس في بغداد عام ١٨٣٠ م (مدرسة انكليزية) أسسها انكليزي يدعى (انطوني ن . كروفن) وزوجته في آخر أيام داود باشا . وكان الغرض منها ، تعليم اللغة الانكليزية فقط . ولذلك يسكن اعتبارها أول مدرسة اجنبية لتعليم الانكليزية في العراق « ١ » .

١ - مدرسة الاخوة الايرانية

لما كثر ، بعد اعلان المشروطية ، انشاء المدارس ، ونشطت حركة التعليم بين مختلف الطوائف ، فقد رأى أحد العلماء الافاضل من الايرانيين ، وهو (الحاج علي أكبر الاهرابي) يؤيده عدد كبير من التجار الايرانيين الموجودين في الكاظمية ، رأى أن الضرورة تقضي بتأسيس مدرسة لتعليم أبناء الكاظمية العلوم واللغات الحديثة ، بعد أن حرموا من ذلك قرونا طويلة . لذلك قام عام ١٩٠٩ بافتتاح مدرسة أسماها مدرسة (اخوة ايرانيان) . ونظرا للجهود التي بذلها (الحاج علي) فقد كانت تنسب اليه اذ أخذ الناس يسمونها مدرسة (الاهرابي) . وقد سارت هذه المدرسة سيرا حسنا ، اذ أخذت تدرس فيها العلوم المختلفة وهي : -

اللغة العربية بفروعها ، وعلم الكلام ، ونهج البلاغة ، والهندسة والجبر والحساب ، والكيمياء والفيزياء ، والتاريخ ، والجغرافية ، واللغة الفرنسية ، والتركية ، والفارسية ، والاشغال اليدوية .

١ - مجلة المؤرخ . لصاحبها رزوق عيسى . وعبد الكريم حنا . (ج ١) -

(٢) - بغداد . ١٩٣٢ م .

وكان ملاك التدريس فيها منتظما ، يضم عددا من الاساتذة الممتازين •
وبالنظر لكونها المدرسة المنظمة الوحيدة في الكاظمية ، فقد دخل فيها عدد
كبير من أبناء البلدة من العراقيين والاييرانيين •

٢ - المدرسة الحسينية

وقد تأسست هذه المدرسة في مدينة كربلاء عام ١٩١٠ م • قام بتأسيسها
جماعة من الايرانيين ، وكانت بمستوى المدارس الابتدائية أيضا •

٣ - المدرسة العلوية

٤ - المدرسة المرتضوية

أما في النجف الاشرف فقد قام التجار الايرانيون أيضا ، بتأسيس
مدرستين عام ١٩١٠ م ، هما المدرسة العلوية ، والمدرسة المرتضوية ، لنفس
الغرض •

ومما تجدر الاشارة اليه في هذا الصدد هو أن الحكومة الايرانية لم يكن
لها أي دخل بهذه المدارس ، بل أن الرعايا الايرانيين هم الذين بادروا لتأسيسها
والاتفاق عليها من كيسهم الخاص ولذلك ما كانت الدراسة مقتصرة على أبناء
الجمالية الايرانية فقط • ولم تكن الدراسة فيها باللغة الفارسية ، بل كانت
تجري على نفس النمط المتبع في المدارس الرسمية في دراساتها المختلفة
تقريبا «٢» •

٥ - مدرسة الالمان

قام الالمان بفتح مدرسة في بغداد عام ١٩٠٩ م • كان التدريس فيها
يجري باللغة الالمانية • فضلا عن قيامها بتدريس اللغات الاخرى كالعربية

٢ - استعنا في هذا الموضوع برسالة بعث بها للمؤلف الاستاذ احمد امين
المفتش الاختصاصي في وزارة المعارف جوابا لاسئلته حول هذا الخصوص
بتاريخ ٢٧ - ١ - ١٩٥٩ •

والتركية والفرنسية • وكان أول مدير لها هو (الهر كروازة) • وقد أغلقت
أثناء الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ م •

٦ - مكتب الهنود في كربلاء

أما جماعة الهنود في كربلاء فقد سلكوا مسلك التجار الايرانيين اذ قرروا
فتح مدرسة لابنائهم عام ١٩١٢ م في مدينة كربلاء ، يقبل فيها التلاميذ من أية
رعية كانوا على أن تكون الدراسة فيها مجانية • وقد كان عدد طلاب هذه
المدرسة عند افتتاحها (١٣٠) طالبا أغلبيتهم من أبناء الرعايا البريطانيين
الموجودين في كربلاء • ولم يطل العهد بهذه المدرسة اذ انتهى أمرها بإعلان
الحرب العالمية الاولى «٣» •



الدراسة العالية في العراق

يتضح للقاريء من الابحاث المتقدمة ، بأن التعليم في العراق ، لم يكن على درجة ملحوظة من الرقي والاتساع ، لان السلطة الحاكمة لم تكن لتهتم بشؤونه الاهتمام المطلوب . ولقد رأينا مما تقدم بأن التعليم في العراق لم يتعد المرحلة الاعدادية الا عام ١٩٠٨ م . اما التعليم العالي في العراق فلم يكن يمثل الا في معهدين هما ...

١ - كلية الاعظمية

قلنا أن الدراسة العالية أيام العثمانيين كانت منحصرة في (المدارس الدينية) ، وبينما ما آلت اليه حالة هذه المدارس من الناحيتين المادية والمعنوية ، اذ لم يكن العثمانيون لاسيما في العهد الاخير يبدلون أي جهد أو عناية في سبيل اصلاحها ورفع مستوى الدراسة فيها ! أما بصدد هذه الكلية ، فيرجع الفضل في تجديدها الى جماعة من مستنيري الاعظمية نهضوا وانشأوا لهم مجلة أسسوها (تنوير أفكار) عام ١٣٢٨ هـ المصادف ١٩١٢ م . طالبوا فيها الحكومة بالاصلاح الموافق لروح العصر ، وباحياء مدرسة الامام أبي حنيفة . وقد أيدهم الوالي ناظم باشا . ودعموا لدعوتهم هذه كتبوا بهذا الشأن الى مقام السلطنة ، فصدر الامر بتجديد عمارة المدرسة وتوسيعها ، وبناء طابق علوي لها . وبعد أن جرى فيها هذا التجديد اعتبرت المدرسة ، كلية تدرس فيها العلوم الاسلامية والفنون الحديثة ، فعاودت نشاطها على هذا الاساس ، حتى بلغ عدد طلابها المئة طالب «١» .

٢ - مكتب الحقوق العثماني

يرجع اهتمام الدولة العثمانية بالدراسة الحقوقية الى حاجتها التي برزت

بوضوح لاسيما بعد صدور القوانين والانظمة الحديثة التي صدرت نتيجة (لخط كلخانة) ، و (منشور التنظيمات الخيرية) . ولذلك شعرت الدولة بحاجتها الى عدد من الحقوقيين ورجال القانون . فكانت خطواتها الاولى في هذا السبيل ، أنها قامت بتدريس بعض القضايا الحقوقية وغيرها في (دار التدريس) بديوان الاحكام العدلية باستانبول منذ سنة ١٨٧٠ م . غير أن تطور الحياة السريع حملها على تأسيس مكتب خاص لذلك فافتتحت (مكتب حقوق شاهانة) بتاريخ ٣١ / ١٠ / ١٨٨٦ م ، جعلت مدة الدراسة فيه أربع سنوات ، بعد الاعدادي ملكي أو ما يعادله . فكان على الراغبين في اكمال تحصيلهم العالي من العراقيين أن يشدوا الرحال الى استانبول لهذا الغرض . وقد سافر فعلا بعض الشباب العراقي حال افتتاحها وبعده . وكان ممن تخرج فيها الاساتذة الآتية اسماؤهم وهم «٢» : عبد الرحيم ضياء ، الياس رسام ، عبد الله عوني ، موسى كاظم الباجهجي ، كيروب ستيان ، محرم معمر ، نجيب حبيب ، حسن راجي الباجهجي .

مكتب الحقوق في بغداد

أما في بغداد فان الدراسة الحقوقية فيها لم تنظم الا بعد مجيء الهيئة الاصلاحية برئاسة الوالي ناظم باشا ، وذلك في أوائل شهر تموز من عام ١٩٠٨ م ، أي قبيل الانقلاب العثماني وعلان المشروطية بايام معدودات ! فلقد ارتأت هذه الهيئة ضرورة وجود مكتب للحقوق في بغداد ، بعد أن لمست حاجة العراق الماسة الى الحقوقيين . فافتتحت في الحال (مكتب الحقوق العثماني) . ولذلك يعتبر هذا المكتب أول معهد عال حديث في العراق . وقد عهدت ادارته بالوكالة الى مدير المعارف آنذاك وهو (خليل بك) . ثم عين لادارته اصابة الاستاذ موسى كاظم الباجهجي «٣» .

٢ - مجلة القضاء . (ج ٢ ، ٤ ، ٥) مجلد واحد . كانون أول ١٩٤٧ م .

٣ - والد سيادة الدكتور المرحوم عبد الهادي الباجهجي .

ولقد جعلت الدراسة في هذا المكتب أربع سنوات ، بعد الاعدادي ملكي أو ما يعادله . أما الموضوعات التي كانت تدرس خلال السنوات الاربع فهي : المجلة ، قانون العقوبات ، حقوق الدول ، حقوق الادارة ، اصول المرافعات الحقوقية ، علم الاقتصاد ، اصول المحاكمات الجزائية ، قانون الاجراء ، قانون التجارة البرية ، قانون الاراضي ، الصك الجزائي ، الصك الحقوقي ، اصول الفقه ، النكاح والوصايا والفرائض ، كتاب الديات ، أحكام الاوقاف . وقد كان في المدرسة صف للطلبة الاحتياط ، كانت تدرس فيه دروس التاريخ والجغرافية والرياضيات واللغة الفارسية وغيرها .

أما الذين تولوا التدريس في مكتب الحقوق في ذلك العهد ، فنذكر منهم المرحوم يوسف العطا (مفتي بغداد) ، وعارف أفندي السويدي ، وحدي أفندي الباجهجي وحسن أفندي الباجهجي ، ومحمد جودت أفندي ، وابراهيم شوقي أفندي . وكان معلم اللغة الفارسية في قسم الاحتياط المرحوم الشيخ نوري الشيرواني «٤» . ولقد كان افتتاح هذا المكتب عملا كبيرا بالنسبة للعراق ولذلك اندفع الشباب للدخول اليه من مختلف المدن الكبرى ، حتى أصبح عددهم عام ١٩١٣ زهاء (٢٥٠) طالبا «٥» .

لقد كانت الدراسة في هذا المكتب ، دراسة بسيطة ، وما كان أساتذتها في الغالب يعرفون مفردات الموضوعات التي يدرسونها «٦» . ولكنها سارت في تأدية مهمتها على حالتها هذه .

ولما أصبح (جمال بك) واليا على بغداد (وكان من الاتحاديين) عزم على غلق هذا المكتب ، بحجة ضعف التدريس فيه . غير أنه في الحقيقة لم يكن يرغب في أن يكون للعراق مكتب يتعلم فيه العراقيون ، الطرق القانونية التي

٤ - والد بهاء الدين نوري ، سفير العراق السابق في الاردن .

٥ - سالنامة ولاية بغداد لسنة ١٣٣٠ هـ .

٦ - معجم العراق ، ج ١ . للمؤلف . بغداد ١٩٥٣ .

تنبيههم الى المطالبة بحقوقهم القومية في المستقبل • ولذلك أصدر بيانا أشار فيه الى ضعف التدريس في المدارس وسقامة المناهج فيها ، وبين أن نية الحكومة منصرفه الى اصلاحها ، وترقيتها ماديا وأديبا ، لتكون صالحة لاعداد الطلاب الاكفاء المهيئين لمدرسة الحقوق • وبين كذلك أن نية الحكومة منصرفه الى تأسيس ، دار للمعلمين ، ومدارس رشدية للذكور والاناث فضلا عن الرغبة في اصلاح المدرسة الاعدادية «٧» •

لقد كانت وعوده هذه حبرا على ورق ، الغرض منها بالدرجة الاولى غلق مكتب الحقوق • ولولا الجهود التي بذلت لاحباط نية الغلق هذه ، وصدور الامر اليه من استانبول مباشرة بعدم التعرض بها لكان العراق منذ عام ١٩١١ م خلوا من أي معهد عال «٨» •

وهكذا سارت الدراسة في مدرسة الحقوق ، حتى أعلنت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ م • وكان آخر مدير لها هو (فخامة) الاستاذ حكمت سليمان • اذ أغلقت بسبب الحرب • وبإغلاق أبواب هذه المدرسة ، انطوت الصفحة الاولى من صفحات كلية الحقوق العراقية • ومن جملة المتخرجين فيها الاساتذة :

حسن رضا ، عبد العزيز الخياط ، محمد حسين البزركان ، حمدي صدر الدين ، قاسم ثروت ، عبد الوهاب شاكر ، ناجي الزهاوي ، كمال الشامي ، محمود جلال ، وكان هؤلاء قد سافروا الى استانبول لدخول الدورة التطبيقية فيها ولكنهم عادوا دون أن يتسنى لهم ذلك «٩» •

أما الطلاب الذين كانوا في الصفوف الاخيرة منها عندما أغلقت أبوابها دون أن يكملوا دراستهم فيها بل أكملوها بعد إعادة فتحها ثانية أيام الاحتلال البريطاني فنذكر منهم الاساتذة :

-
- ٧ - العراق بين احتلالين . ج ٨ . العزاوي . المصدر السابق .
٨ - في غمرة النضال . سليمان فيضي . المصدر السابق .
٩ - في غمرة النضال . المصدر السابق .

ابراهيم كمال ، محمد علي محمود ، ابراهيم زهدي ، أحمد سامي ،
حسن سامي تاتار ، عباس العزاوي ، يوسف لوقا ، ابراهيم الواعظ ، محمد
صدقي ، توفيق النائب ، مجدي النائب ، داود السعدي ، عبد الجبار جميل ،
كامل سعيد ، أحمد نيازي ، شوكت السعدي ، حوكي عنبر ، خلوصي الناصري ،
مصطفى الخليل ، أحمد طه ، مكي الاورفيلي ، عبد الجبار التكرلي ، سليم
معروف ، أحمد الراوي ، عبد الرزاق القاضي ، مصطفى العمري ، محمود
خيرى النائب ، خليل مردان ، عبد القادر جميل محي الدين ، توفيق فكرت ،
فهمي نصرت ، حسين جاهد ، عبد الوهاب أفندي « ١ » .



الدراسة خارج العراق

لقد تبين من الفصول المتقدمة ، أن المعاهد العالية في مختلف الدراسات ، كانت متركزة في استانبول . ولما كانت الحالة الاقتصادية لأكثريّة السكان منحطة ، ولا تسمح لهم بإرسال أبنائهم للدراسة في تلك المعاهد ، فضلاً عن ذلك فإن المخاطر التي كانت تحيط بالسفر ما بين بغداد واستانبول ، وغيرها من الأسباب الأخرى كانت عاملاً قوياً في اكتفاء الأهليين بما يحصل عليه أبنائهم من تعليم في المكاتب الرسمية في العراق من رشدية وإعدادية . لذلك لم يسافر من الشبان العراقيين إلا كمّاً لحصولهم العالي في عاصمة السلطنة إلا جماعة من أبناء الطبقة الموسرة . ولم يسافر كذلك عدداً هولاء ، إلا الشبان الذين انخرطوا في سلك الدراسة العسكرية لإكمال تحصيلهم العسكري في (الكلية الحربية) في استانبول . ولذلك يمكن القول أن الذين درسوا خارج العراق ، تميزت دراساتهم العالية بطابعين هما ، طابع الدراسة العلمية ، وطابع الدراسة العسكرية . لقد سافر عدد ضئيل من أبناء الطبقة الموسرة في كل من بغداد والموصل وكركوك والسليمانية والبصرة ، سافرت أكثريتهم إلى استانبول لإكمال تحصيلهم العالي ، أما في (الطبية شاهانة) وأما في (مكتب الحقوق العثماني) وأما في مكتب (ملكية شاهانة) وأما في (دار المعلمين) أو غيرها من المعاهد . ومن هؤلاء الذين تلقوا دراستهم في استانبول في أواخر العهد العثماني ، آل السويدي ، منهم ، ناجي وعارف وثابت وتوفيق . وحكمت سليمان وآخره خالد ، وحسني الباجهجي ، وناجي شوكت ، ونشأت السنوي ومصطفى التكرلي ، وداود الحيدري ، وداود سمرة ، وتوفيق الدملاجي ، وأحمد عزت الأعظمي ، محمد علي مصطفى ، ثابت عبد النور ، ياسين العريبي ، عبد العزيز المطير ، عبد الله مظفر ، نوري القاضي ، نعيم زلخه ، عاصم الجليبي ، ناجي الإصيل ، محمود صبحي الدفترلي ، عبد العزيز القصاب وغيرهم . أما الذين أكملوا دراستهم في الكلية الطبية في استانبول فنذكر منهم

الدكاترة ، علي فكري ، حسين حسني ، اسماعيل الصفار ، شاكِر السويدي ،
داود الدبوني ، جلال العزاوي ، هاشم الوتري ، فائق شاكِر ، داود الجلي ،
يحيى زهت ، عبد الله الدملاجي ، ابراهيم عاكف الالوسي ، عبد الكريم قليان ،
سامي شوكت ، صائب شوكت ، شوكت الزهاوي وغيرهم «١» .

١ - الدراسة العسكرية

نظرا لصعوبة السفر الى استانبول وما يخف به من مخاطر ، وما يتكبده
الآباء في سبيل تثقيف أبنائهم من نفقات باهظة ، فقد قل عدد الذين سافروا
اليها ممن يدرسون ، كما رأينا ، على نفقتهم الخاصة . أما الذين سافروا الى
استانبول لاكمال تحصيلهم العسكري ، فقد كان عددهم كبيرا ، تجاوز
الخمسمائة طالب ، للأسباب التي أوردناها في مبحث المدارس العسكرية في
العراق . وفي مقدمتها ، ضمان اكمال التحصيل في استانبول على نفقة الدولة .
ولذلك كانت حصة العراق من خريجي الكلية الحربية ، حصة كبيرة ، حتى أنه
لما تم تشكيل الحكم الوطني فيه عام ١٩٢١ م لم يكن في البلاد الا هذا العدد
الكبير من ذوي الثقافة العسكرية ، الذين كانت لهم حصة الاسد في تسنم
المناصب الادارية والمدنية في الدولة ، اذ كان منهم رؤساء الوزارات والوزراء
والنواب والاعيان والمتصرفون والاداريون الى غير ذلك من المناصب المدنية .
وكان في مقدمة هؤلاء ، ياسين الهاشمي ، ونوري سعيد ، وجعفر العسكري ،
وعبد المحسن السعدون وعلي جودت ، وجميل المدفعي ، وصبيح نجيب ،
ومولود مخلص ، ومحمد أمين زكي ، وتحسين العسكري ورشيد الخوجة ،
وتوفيق الخالدي ، وتحسين علي ، وجميل الراوي ، ورؤف الكيسي ، وعارف
ققطان ، وعبد الرزاق حلي ، ومحمود رامز ، وسامي الاورفلي وغيرهم .
ولا بد لنا من الاشارة هنا ، هو أنه عند تشكيل الدولة العراقية ، ومن

١ - تاريخ الطب في العراق . الدكتور هاشم الوتري والدكتور معمر
الشابندر . بغداد . ١٩٣٩ .

ثم تأسس الجيش العراقي ، تم استدعاء هؤلاء العسكريين الى العراق ، عاد معظمهم بينما ظل عدد منهم في ترقية وقد التحق القسم الاكبر من العائدين بالجيش العراقي بعد دخولهم في دورة تدريبية قصيرة ، ثبتت بعدها رتبهم العسكرية وتم تعيينهم ضباطا في الجيش العراقي بموجب الارادة الملكية الصادرة بتاريخ ١٤ / ١٢ / ١٩٢٢ .

ونظرا للاهمية التاريخية للدراسة في العراق ندرج فيما يلي قائمة بأسماء هؤلاء الذين أكملوا تحصيلهم العسكري في استانبول وهم :

الاسم	الرتبة	الاسم	الرتبة
اسماعيل حقي جمعة	عقيد	رؤوف الجيهجي	»
أحمد صبيح نشأت	»	أمين عبد الغفور	»
محمد سليم بن سليم	»	عبد المجيد أحمد	»
طه الهاشمي	»	محي الدين واصف	»
عارف حسن	مقدم	خورشيد فريد	مقدم
قاسم عبد السلام	»	خليل زكي ابراهيم	»
علي حسن	»	علي رضا مصطفى	»
محمد علي شريف	»	عبد الرحمن كاظم	»
مصطفى عاصم	»	عبد الجليل محمد	»
عاكف صالح	»	عبد الرزاق حسين	»
فخري عبد الله	»	عبد القادر مهدي	»
محمد فوزي علي	»	احمد كمال محمد	»
صالح زكي احمد	»	عبد الرحمن شهاب	»
محمد نوري احمد	»	عبد القادر معروف	»
قاسم صبري	»	احمد وفي محمود	»
محمد خيرى محمود	»	حسين فوزي علي	»

مقدم	داود سليم	مقدم	ثابت فرج
»	محي الدين عمر	»	راشد سيد صالح
»	ابراهيم أدهم	»	احمد سري صالح
»	الحاج رمضان علي	»	محمود سامي

رئيس أول	عبد المجيد ياسين	رئيس أول	محمد رشيد أمين
»	محمد امين ابراهيم	»	مصطفى محمد
»	عبد الرزاق احمد	»	حسين فوزي مهدي
»	محمود سامي خضر	»	حسين حلي شريف
»	عبد القادر محمد	»	محمد نظيف عبد اللطيف
»	محمد علي مصطفى	»	نجيب ابراهيم
»	يوسف ضياء	»	رضا جودت علي
»	حسن عالي محمد	»	محمد توفيق محمود
»	عبد القادر عبد الرحمن	»	محمد هاتف علي
»	احمد مختار محمد	»	سعيد حقي جمعة
»	محمد نافع حسن	»	جميل فهمي عبد الوهاب
»	علي ياور حسن	»	محمد رؤوف حميد
»	حامد خضر	»	ضياء محمود
»	محمد رائف خضر	»	محمد علي حسن
»	محمد علي حسين	»	محمود رامز
»	نور الدين محمد علي	»	محمود شكري حسين
»	شوكت فائز عبد الوهاب	»	صالح فخري أمين
»	عارف محمود	»	محمد فؤاد امين
»	محمد علي حسن	»	عبد الوهاب معروف
»	حمدي عبد الغفور	»	سعيد فهمي محمود

رئيس أول	محي الدين سليم	رئيس أول	محمد نوري عبد الله
»	احمد عوني خضر	»	محمد نزهت فتاح
»	احمد فخري خلف	»	سليمان اسماعيل
»	امين زكي سليمان	»	عثمان عبد الواحد
»	احمد فهمي سالم	»	عبد المجيد رجب
»	عبد الوهاب عبد الرزاق	»	عبد الغفور ابراهيم
»	عبد القادر سليم	»	مصطفى ثريا علي رضا
»	ابراهيم خلف	»	عبد الوهاب رمضان
»	محمد امين احمد	»	حامد صالح
»	بكر صدقي شوقي	»	اسماعيل حقي خميس
»	توفيق وهبي معروف	»	احمد فخري عبود
»	حسين فوزي حسن	»	محمد جابر مهدي
»	محمد فائق احمد	»	احمد حقي عبد الجبار
»	اسماعيل فوزي حسين	»	شاكر فهمي محمود

رئيس	محمد علي بن مصطفى	رئيس	ابراهيم حلمي الياور
»	مهدي كاظم	رئيس	عزت توفيق
»	عبد الحميد يوسف	»	توفيق احمد
»	محمد توفيق زينل	»	عبد الرحمن عبد الغني
»	احمد عبد الرحمن	»	محمود اديب محمود
»	صالح محمود	»	عبد الهادي مصطفى
»	عبد الهادي خليل	»	سالم بهنام
»	ابراهيم فرج معلوف	»	أمين سرحان
»	محمد زكي محمود	»	طه حبيب
»	سلمان فتاح	»	عبد الحميد عبد القادر

رئيس	سليمان فهد محمد	رئيس	عارف عبد الوهاب
»	نشأت طه	»	عبد الستار عبد الوهاب
»	محمد امين عبد الرزاق	»	محسن علوش
»	احمد قاسم	»	عبد الله احمد
»	شاكر الحاج علي	»	احمد حمدي محمد
»	يوسف السيد عبد الله	»	اسماعيل حقي سليمان
»	مصطفى بهجت يونس	»	محمد علي مصطفى
»	محمد توفيق احمد	»	عبد الله فياض
»	محمد صالح علي	»	علي ياور عبد الرزاق
»	خليل ابراهيم	»	احمد جمال مصطفى
»	محمد علي يونس	»	مصطفى كامل عبد الصمد
»	عبد الغني عبد الحميد	»	احمد شكري جميل
»	عارف مصطفى	»	محمد زكي عبد الباقي
»	علي زكي عبدي	»	رشيد محمد
»	محمد سليم عثمان	»	احمد رشدي حيدر



ملازم أول	صالح الحاج حسون	ملازم أول	محمد بن يحيى
»	محمود حسين	»	ابراهيم حقي محمد
»	راجي موسى	»	محمد سعيد عمر
»	حميد رأفت بكر	»	جميل روجي حميد
»	رفعت عبد الله	»	قاسم محمد
»	عبد الحميد رشيد	»	محمد صالح عبد الرزاق
»	علي رضا محمد علي	»	عباس محمد
»	عبد الله صبري	»	محمد رفعت بكر
»	صادق محمود	»	محمود رمزي عيسى

»	عمر عثمان	ملازم أول	عبد الوهاب حسن
»	عبد المجيد يوسف	»	سعيد احمد
»	صالح سيد حمودي	»	سلطان مصطفى
»	توفيق احمد	»	عزت شفيق
»	حسن فهمي علي	»	عبد الرزاق حسين
»	قاسم شكري	»	احمد نجيب
»	عرواد صالح	»	محمد طاهر عبد الحافظ
»	محمد رفيق ابراهيم	»	محمد علي بن مصطفى
»	يونس خلف	»	خليل مصطفى ابراهيم
»	هاشم خضر	»	خضر حياتي عباس
»	عبد الرزاق حلبي	»	جواد جعفر
»	خلف خيرى	»	محمد علي مصطفى
»	اسماعيل حقي خليل	»	عمر بن عمر
»	قاسم مقصود	»	محمد بن مندي
»	احمد عزت	»	رشيد عبد القادر
»	شاكر محمود	»	زكي حنظل
»	محمد سعيد سليمان	»	زين العابدين محمد
»	محمد شوكت عثمان	»	فاضل عبد اللطيف
»	محمد رؤوف عبد الله	»	مهدي بن بايرام
»	كامل شبيب	»	محمود حلبي محمد صالح
»	محمد شاكر حافظ	»	فائق حلبي
»	عباس حلبي	»	ناجي عبد الرحمن
»	شهاب احمد	»	رشيد الحاج علي
»	احمد بدري سعيد	»	انطون صبري
»	خليل زكي اسماعيل	»	نيازي علي رضا

ملازم أول	مصطفى محمد صالح	ملازم أول	حكيم بن دوروغوج
»	محمد حمدي أحمد	»	أحمد رشدي عبد الله
»	عبد القادر علي	»	شهاب أحمد
»	عبد القادر زهراب	»	فارس عبد الله
»	محمود محمد	»	حسين شهاب
»	رشيد حلمي سعيد	»	سليمان اسماعيل
»	عبد المجيد خضر	»	عارف حكمت
»	محمود شبيب	»	عزت أمين يمني
»	نعيم الياس	»	عبد الرحمن عبد الرزاق
»	اسحق يوسف سحيق	»	عبد الرحمن حسن
»	عبد العزيز عبد القادر	»	أحمد حمدي زينل



ادارة شؤون المعارف في العراق

مر بنا أن الدولة العثمانية كانت متأثرة بالنظام الفرنسي من ناحية تنظيم ادارة البلاد . اذ أصدرت عام ١٨٦٥ نظام تشكيل الولايات . وبسوجب هذا النظام كانت شؤون كل ولاية تدار بواسطة مجلس الولاية ، كما نص على ذلك بالدستور العثماني .

أما في العراق ، فان نظام الولايات هذا لم يطبق تماما الا في زمن الوالي المصلح مدحت باشا . ولذلك كان مجلس الولاية هو الذي ينظر في شؤون المعارف باعتبارها من جملة واجباته المنصوص عليها في الدستور .

أما مجالس المعارف الخاصة فلم تؤلف في العراق الا بعد صدور نظام تشكيل تلك المجالس في الولايات وذلك في عام ١٨٨٣ م .

ادارة المعارف

وبسوجب هذا النظام عينت وزارة المعارف في استانبول ادارة خاصة في كل من ولاية بغداد والموصل والبصرة ، للاشراف على شؤون المدارس فيها . وقد كانت ادارة تافهة لا تزيد عن مدير ، يساعده كاتب واحد ومأمور حسابات ليس غير !

ان أول مدير لادارة المعارف في بغداد كان قد تعين في عام ١٨٨٤ م ، وهو المدعو (سامي بك) . الا أنه على ما يبدو لم يبق فيها مدة طويلة اذ خلفه المدعو (خالص أفندي) عام ١٣٠٥ هـ ثم حل محله في نفس السنة (محمد أفندي الجليل) الذي بقي في منصبه أربع سنوات ، حتى حل محله عام ١٣٠٩ هـ المصادف ١٨٩٣ م (عيسى روجي) . وفي سنة ١٣١٠ هـ المصادف ١٨٩٤ م ، حل محله (راغب بك) . وفي سنة ١٣١٢ هـ المصادف ١٨٩٦ م ، حل محله (عيسى غياث الدين) الذي بقي في منصبه حتى عام ١٨٩٨ م . وبقي المنصب شاغرا فيما بعد ، يديره بالوكالة محاسب الدائرة ، حتى عين

المدعو (حسين رفيق افندي) عام ١٩٠٨ م . وقد بقي هذا في منصبه ، حتى عام ١٣٢٩ هـ المصادف ، ١٩١٣ م . حيث عين بدله (عبد الله فيضى بك) الذي لم يبق الا بضعة أشهر ، حل محله (رفعت بك) . وفى سنة ١٣٣٠ هـ المصادف ، ١٩١٤ م ، أسندت وکالتها الى (حکمت سليمان) ، ومن ثم أصبح مديرا أصيلا ، حيث بقي في منصبه الى عام ١٩١٦ م ، عندما أوْشك الحكم العثماني في العراق على الانتهاء . ومن ثم دخول الجيش البريطاني بغداد .

اما قضايا التفتيش ، والعناية بأمر التدريسات في المدارس ، فلم تنتبه اليها الحكومة الا عام ١٩١٣ م ، عندما عينت (شاكر بك) مفتشاً للمعارف في الولاية يساعده مفتش الابتدائيات (عبد الكريم أفندي (١)) .

مجلس المعارف

قلنا ان نظام تشكيل مجالس للمعارف في الولاية كان قد صدر عام ١٢٩٩ هـ المصادف ١٨٩٣ م . ولم يكن في بغداد المجلس الا في سنة ١٣٠٠ هـ المصادف ١٨٨٤ م . وقد كان أول مجلس للمعارف في ولاية بغداد ، يتألف من (مدير المعارف) محمد الجميل (رئيسا) وعضوية ستة أشخاص ، ثلاثة منهم كانوا من موظفي المعارف ، والآخرون من الوجهاء . ثم تتابع تشكيل هذا المجلس سنة بعد أخرى حيث كان يجري تغيير بعض أعضائه بين فترة وأخرى . ولم يكن لهؤلاء في الواقع الا الاسهم . وما كانت أمور المعارف لتلقى اهتماما منهم حسبما تحتمه تطورات العصر ، لا سيما اذا ما علمنا ، أن معظم الاعضاء كانوا من رجال الدين أو من الشخصيات المحافظة ، اللهم الا في بعض الفترات اذ ظهر منهم أعضاء متجددون كالمرحوم جميل صدقى الزهاوي والمرحوم فهمي المدرس وحکمت سليمان وغيرهم .

أما ولايتي الموصل والبصرة ، فقد نشأت فيهما تشكيلات مشابهة .

كما أوجد في بعض السناجق ، لجان للمعارف أيضا .

الجهل في دائرة المعارف

لقد كانت ادارة المعارف في ولاية بغداد ، ادارة ساذجة . لم تزد في أحسن عهودها ، عن ثلاثة موظفين صغار ، يرأسهم مدير المعارف . وقد دلت الوقائع على أن الدولة العثمانية ، لم تكن جادة في نشر الثقافة في العراق ، بدليل تفاهة معظم الموظفين الذين كانت ترسل بهم لادارة شؤون المعارف فيه . فقد كان هؤلاء ، على قسط كبير من الجهل ، والتفكير السقيم . فضلا عن الشعور المعادي لاهل البلاد عندهم ، ولقد شعر بذلك كثير من مثقفي هذا البلد فراحوا يطالبون الحكومة مرارا بتخليص البلاد منهم ، ومن شروهم . حتى اذا جاءت بغداد ، الهيئة الاصلاحية ، برئاسة (ناظم باشا) ، استمعت الى هذه الشكوى وأخذتها بعين الاعتبار لذلك كان من جملة الذين عزلتهم من موظفي الولاية ، عدد من موظفي المعارف وعلى رأسهم المدير . وقد أرخ هذه الحادثة الشاعر المرحوم أحمد بك الشاوي قائلا « ٢ » ...

الجهل أجمعه بدا نرة المعارف مستدير
أعضاؤها ورئسها في الجهل ليس لهم نظير
وافى النذير بعزلهم يا جذا ذاك النذير
لما أتى أرخت (لا رجعت ولا رجع الحمير)
ولكن الامر على ما يبدو كان بنظر الدولة العثمانية انما هو تبديل أشخاص بقطع النظر عن كفاءاتهم العلمية والاخلاقية ، ومقدار حرصهم لخدمة هذه البلاد لان المدير الجديد ، الذي حل محل المدير المعزول ، لم يكن أجدر من سلفه أو أفضل منه . فلا عجب اذا ما رأينا المرحوم الاستاذ معروف الرصافي ، يستقبل (حسين رفيق بك) المدير الجديد قائلا ...

معارف بغداد قد جاءها مدير من الطيش في مسرح
حمار ولكنه ناطق صبي ولكنه ملتح
فيا أيها العلم فيها ارتحل ويا أيها الجهل فيها اسلح
ومهما يكن من شيء فإن هذه المؤسسة لم تكن جديرة بتحمل ما تتطلبه
منها واجبات نشر العلم والثقافة في البلاد . ولئن كان مستوى هذه الدائرة في
ولاية بغداد على هذه الشاكلة فلا غرابة ان كانت في الموصل والبصرة بصورة
أقل وأدنى !!

ميزانية المعارف

كانت ميزانية المعارف تؤلف جزءا من ميزانية الولاية . فليس صعبا علينا
أن نعرف ضآلة حصتها ، اذا ما علمنا أن الولايات العراقية لاسيما في العهد
العثماني الاخير ، تشكو نقصا وعجزا فادحا في ميزانياتها . ولعل حملات
التبرع التي كان الولاة يقودونها لانشاء أو لتمشية أمور المدارس في البلاد
من الادلة الواضحة في هذا الباب . ويكفي أن نضرب مثلا واحدا على
افلاس تلك الميزانية ما حدث عام ١٩٠٩ م . اذ لم تستطع ادارة المعارف في
بغداد أن تدفع مرتبات المعلمين لمدة خمسة أشهر متتابة . ولا ندري كيف
كان هؤلاء يؤدون واجباتهم باخلاص ، وهم في أشد حالات الفقر
والحاجة ! « ٢ » .

بنايات المدارس

نظرا لقلّة عدد المدارس الموجودة في العراق في ذلك العهد فقد تم في
الولايات الثلاث انشاء بنايات خاصة لبعض المدارس لاسيما في نهاية القرن
التاسع عشر وبداية القرن العشرين . ولقد كان لحملات التبرع التي قادها
الولاة في هذا السبيل ، الاثر الكبير في انشاء تلك البنايات . اذ ساهم

الاهلون في معظم المدن العراقية في هذا العمل الذي يعتبر آنذاك من الاعمال الخيرية الشريفة .

ولقد كانت بنايات المدارس في بغداد أكثر من غيرها من المدن الاخرى ، ويعود السبب في ذلك ، الى الهمة التي بذلها الاستاذ حكمت سليمان مدير معارف بغداد عام ١٩١٤ م . فقد تم في أيامه انشاء بنايات عدة منها بنايات ، مدرسة دار المعلمين ، ومدرسة المأمونية ، ومدرسة تطبيقات دار المعلمين ، ومدرسة الفضل «٤» >

ان اقامة هذه المدارس في عهد مدير لم يبق في منصبه أكثر من سنتين لاسيما ونار الحرب العالمية مشتتة ، والدولة في شغل شاغل عن هذه الاغراض ، يدعو الى الدهشة لاسيما اذا علمنا أن الميزانية ما كانت قادرة على انجاز ذلك . فما الذي سهل للاستاذ حكمت سليمان هذه المهمة ؟! الجواب على ذلك يلخصه سيادته في قصة طريفة ، ندرج خلاصتها أدناه

عندما كان (جاويد باشا) واليا على بغداد (١٩١٤ - ١٩١٥ م) . حدث أن شغل منصب (الكليدارية) في النجف الاشرف . ولما كان فرمان تعيين (الكليدار) يصدر من استانبول ، بترشيح من والي . فقد كثر الراغبون في اشغالها ، وراحوا يتوسطون ويتشبهون لدى والي بمختلف السبل والوسائل . وعند هذه المرحلة يقول (فخامة) الاستاذ حكمت سليمان (كانت تربطني بجاويد باشا صداقة قديمة . وكنت أزوره بين حين وآخر في داره . فلما زرته ذات مساء كالعادة رأيته منزعجا ، غير مرتاح . فقلت له

— أراك منزعجا يا باشا . فما السبب ؟! فقال . .

— لماذا لا أنزعج ؟ لقد جاءني صباح اليوم ، السيد الفلاني والسيد الفلاني وقدما لي مبلغا قدره (٤٠٠٠ ليرة ذهبية) ، لقاء توسطي في استحصال

فرمان (الكليدارية) لاحدهما فانزعجت ورفضت ! أما ترى أن هذا العمل
يسبب الالم والانزعاج ؟!

فقال حكمت بك ...

— لا انك غلطان ! فاستغرب جاويد باشا فتساءل قائلاً ...

— لماذا أنا غلطان ؟ هل أقبل رشوة ؟!

فقال حكمت بك ...

لا ، خذها منهم وسلمها لنا كي نبني بها بنايات للمدارس !!

فقال الوالي ...

انها لفكرة لطيفة ، ولكن ما العمل وقد رفضت ؟ قلت ، بإمكاننا

استدعائهم ثانية ! ودعني أدبر الامر بنفسني !! ثم قال حكمت بك ...

وفي اليوم الثاني دبرت من يتصل بهم ، ويخبرهم بموافقة الوالي على

استلام المبلغ . فلما سألوا عن مكان تسليمه ، قلت انه في (دار الولاية) ،

فقالوا ، نخشى أن يؤدي ذلك الى مالا تحمد عقباه ! قلت لا ، لا تخافا فان

الوالي قد تساهل الان !! فلما كان اليوم الثاني ، وفي الوقت المحدد قصدت

دار الولاية ، ودخلت ايوان الوالي ، فرأيت (السادة) جالسين و (أكياس

أربعة) موضوعة على المنضدة ، فلما رأي الوالي قال ...

— يا حكمت ، ان هذا المبلغ وقدره (٤٠٠٠ ليرة) يعود لي ، ولكنني

أقدمه لادارة المعارف ، لتبنوا به بنايات للمدارس !! فشكرته على هذا

العمل الجليل . وأخذت المبلغ وأودعته في (البنك) وألفت لجنة خاصة

لتتولى الاشراف على ذلك العمل ، كان من أعضائها عبد القادر جلبي

الخضيري وعزت الفارسي بالاضافة الى حكمت نفسه .

وبالفعل بوشر ببناء بنايات مدرسة المأمونية ، ومدرسة دار المعلمين

ومدرسة تطبيقات دار المعلمين ! .

تلك هي القصة التي ساعدت حكمت بك على انجاز مهمته . وهي ان

دلت على شيء فانما تدل على مدى الحيرة التي كانت تحيط بالمخلصين وهم يسعون لنشر الثقافة في البلاد .

أما بناء مدرسة الفضل فله قصة أخرى حدثت كذلك في عهد الاستاذ حكمت سليمان ولولا جهوده الشخصية لما تم انجازها «٥» .

معلمو المدارس

ما كان بالعراق كما رأينا أية مدرسة حديثة رسمية قبل عام ١٨٦٠ ، اذ لم يكن فيه الا (المدارس العلمية) الدينية ، ولكنه بعد ذلك التاريخ وعلى الاخص في زمان الوالي مدحت باشا ازدادت الحركة . ثم كانت ظاهرة تساماً بعد عام ١٩٠٨ م . ولما كان نظام التدريسات الابتدائية ، يحتم أن تسير المدارس في الولايات على نمط المدارس العثمانية ، لذلك كان التدريس يجري باللغة التركية . ولما كان العراق مفتقراً الى معلمين مختصين ، يحسنون فنون التدريس باللغة التركية ، فقد استعين بأديء الامر بمن يحسن اللغة التركية من رجال الدين . ونظراً لعدم وجود دار للمعلمين لاعداد ما تحتاج اليه الولايات من معلمين ، فقد أخذت نظارة المعارف ترسل بالمعلمين الاتراك الى بغداد والموصل والبصرة للتعليم في مدارسها . ومع هذا فقد كانت قابليات هؤلاء العلمية محدودة . فضلاً عن كونهم لا يحسنون غير اللغة التركية . لذلك حدثت النفرة بينهم وبين الاهلين ، وقل الاقبال على المدارس لعدم معرفة الاطفال اللغة التركية .

غير أنه لما تقرر فتح دور للمعلمين في بغداد والموصل ، انخرط فيها عدد كبير من العراقيين . فتهياً بواسطتها عدد منهم ، تولوا التدريس في المدارس المختلفة فيما بعد .

ولقد وقفنا من الابحاث السابقة ان الذين تولوا التعليم في العراق ،

٥ - ورد تفصيل هذه القصة في كتاب (اول الطريق) . صبيحة الشيخ داود . بغداد . ١٩٥٨ .

كانوا خليطاً من المعلمين اختلفت مستوياتهم العلمية . فقد كان منهم رجال دين ، وضباط ، وخريجو دور المعلمين وغيرهم .

أما معلمات مدارس الاناث الرسمية ، فكان عددهن محدوداً . وأكثرهن من المعلمات التركيات اللواتي كن يأتين رأساً من استانبول للتدريس في مدارس العراق ، أو من عوائل الضباط أو كبار الموظفين الاتراك الذين كانوا يعملون في دار الولاية .

ومهما يكن من أمر ، فانه على الرغم من قلة المدارس في العراق ، فما كان ملاك المدرسة الابتدائية ، ليزيد على (المعلمين الاثنين) في المدرسة الواحدة . والاكثرية الغالبة من المدارس لم يكن فيها الا معلم واحد .

لفسة التدريس

كانت لغة التدريس في المدارس المختلفة ، هي اللغة التركية ، بما في ذلك تدريس قواعد اللغة العربية . وقد كانت هذه الخطة متبعة في تلك المدارس الى ما بعد قيام الانقلاب العثماني بوضع سنوات ، لانه ، لما اتجه الاتحاديون الاتراك الى اتباع سياستهم الطورانية ، وتشددوا بتطبيقها لاسيما في البلاد العربية ، قامت ، كرد فعل لهذه السياسة ، الاحزاب والجمعيات العربية التي تألفت في استانبول وخارجها ، تحارب هذه السياسة . فكان في مقدمة ما أخذت تطالب به ، جعل التدريس في مدارس الامصار العربية باللغة العربية . ونظرا لنمو الشعور القومي في البلاد العربية ، وتزايد الضغط في المطالبة بهذا المطلب ، فقد أصدرت (وزارة المعارف) نظاماً جديداً ، يجيز التدريس في المدارس الابتدائية في الاقطار العربية ، باللغة العربية . وكان ذلك في اوائل عام ١٩١٢ م . وقد بوشر فعلاً بالتدريس بهذه اللغة ، في كافة الدروس ، الا أن الوزارة سرعان ما نكثت عهدها ، فأمرت بلزوم تدريس الجغرافية والتاريخ باللغة التركية «١» .

أما الدراسة في المدارس الاعدادية ومكتب الحقوق ، فقد ظلت تجري بالتركية . الا أنه لم يكد ينقضي الشهر العاشر من عام ١٩١٣ م ، حتى ورد أمر من استانبول يقضي بأن يكون التدريس عموما ، في دار المعلمين ومكتب الحقوق والاعدادي ملكي ، باللغة العربية ، ما عدا بعض الدروس تدرس باللغة التركية «٧» . ولكن مكتب الاعدادي ملكي عندما قلب الى (مكتب سلطاني) حرم من التدريس باللغة العربية .

الكتب الدراسية

ولما كان العراق خلوا من المكتب العربية المدرسية فقد استعانت دوائر المدارس هي الكتب المدرسية العثمانية التي تستعمل في مدارس استانبول . ولكنه عندما صدر نظام التدريس باللغة العربية في المدارس الابتدائية في العراق ، لم يكن في متناول أيدي معلمي المدارس الكتب العربية المناسبة للتدريس فيها . ولذلك تألفت في كل ولاية لجنة لاتقاء الكتب المناسبة (٨) . ولما كان العراق خلوا من الكتب العربية المدرسية فقد استعانت دوائر المعارف فيه بكتب الدراسة المصرية والسورية (٩) . وفي نفس الوقت شمر عدد من معلمي المدارس في بغداد لسد هذا النقص ، اذ قاموا بترجمة او تأليف الكتب المناسبة للطلاب والموافقة لمنهج التدريسات . وكان ممن ألف أو ترجم هذه الكتب الاساتذة :-

- ١ - المرحوم يوسف عز الدين الناصري . فقد قام بترجمة كتاب (التاريخ العثماني) ، وكتاب (تجويد القرآن) ، و (الجغرافية العثمانية) و (الاشياء والصحة) .
- ٢ - الاستاذ عبد المجيد الخوجة . ترجم كتاب (مبادئ الحساب) .

٧ - مجلة لغة العرب . الجزء ٣ . عام ١٩١٣ .

٨ - في غمرة النضال . سليمان فيضي . المصدر السابق .

٩ - اسرار الكفاح الوطني في الموصل . المصدر السابق .

- ٣ — الاستاذ محي الدين الناصري • ألف كتاب (مختصر تاريخ الاسلام) •
- ٤ — الاستاذ محمد خلوصي الناصري • ألف كتاب (البيان في تاريخ آل عثمان) وكتاب (العقود الدرية) • وكتاب (علم الحال) •
- ٥ — الاستاذ يحيى الوتري • ألف كتاب (القراءة العربية) •
- ٦ — الحاج حمدي الاعظمي • ألف كتابا هو (مفتاح الهندسة) ، كما ألف كتاب (الدر المنتقى) •
- ٧ — الحاج نعمان الاعظمي • ألف كتابا عنوانه (ارشاد الناشئين) (١)

النشاط اللا منهجي

بعد ان وقفنا على حالة المعارف ، والمعلمين والتدريس ، والمستوى الثقافي ، آنذاك ، لا بد لنا من الاشارة الى النشاط اللامنهجي • فقد تبين لنا بأن مثل هذا النشاط يكاد يكون منعدما ، ما عدا ما كان يجري في المدارس العسكرية في بغداد • اما بعد اعلان المشروطة عام ١٩٠٨ م ، فقد تقدم الحال في المدارس ، اذ دخل التدريب الرياضي ، لا سيما (الجمناستك) • ومن أشهر معلمي الرياضة في بغداد في أواخر العهد الاستاذ (حسن حبشي) اذ كان يقوم بتدريس الرياضة البدنية ، وتدريب الطلاب على بعض الالعاب في عدد من المدارس • وكانت بغداد آنذاك خالية من أي ملعب أو ساحة اذ لم يكن أحد يعرف العاب الساحة والميدان بعد • ولذلك كان الطلاب يذهبون في بعض الايام الى الحديقة العامة (ملت بقچه سی) للنزهة • وما كانت الكشافة معروفة أول الامر الا أنها دخلت الى العراق بعد المشروطة ، أي في حوالي عام ١٩٠٩ م • وكانت تسمى باللغة التركية (ايز چيلك (١١) • وعندما دعي الطلاب للانخراط في سلك الكشافة كان

١٠ — مجلة لغة العرب . ج ٧ . سنة ١٩١٤ م •

١١ — ان معنى كلمة (ايزجي) التركية معناها (متبع الاثر) •

أقبالهم عليها ضعيفا ، ظنا من الناس ، ان التدريب فيها ، يؤدي الى خلق جماعة من الطلاب المرشحين للخدمة العسكرية ، التي كان الناس يخشونها أشد الخشية . ولذلك لم يكن في كل مدرسة الا فرقة واحدة لا يزيد عدد أفرادها عن الثلاثين كشافا . ولم يكن تدريب الكشافة آنذاك ليزيد عن تتبع الاثر ، والمسيره الشبيهة بالمسيره العسكرية ، اذ تسير الفرقة ، تتقدمها الجوقة الموسيقية مخترقة شوارع المدينة .

أما الالعب الرياضية كلعبة كرة القدم أو كرة السلة أو غيرها من ألعاب الساحة والميدان فلم تكن معروفة آنذاك أصلا .

قوانين وأنظمة المعارف (١٢)

كانت القوانين والانظمة والتعليمات المعمول بها في العراق لتنظيم شؤون التعليم ، هي نفس القوانين والانظمة ، الصادرة من نظارة المعارف في استانبول رأسا ، وفي مقدمتها (نظام المعارف العامة العثمانى) الصادر عام ١٢٨٦ هـ المصادف ١٨٧٠ م . أما بشأن تنظيم شؤون التدريسات في المدارس فكان المنظم لها (قانون التدريسات الابتدائية الموقت) الصادر في ايلول عام ١٩١٤ م — ١٩١٥ م . واستنادا الى هذه القوانين ، صدرت الانظمة والتعليمات المنظمة لكافة الامور المتعلقة بشؤون التربية والتعليم في البلاد . وأهم هذه كانت ، (تعليمات المدارس الابتدائية) الصادرة في سنة ١٩١٥ م .

فقد كانت هذه التعليمات شاملة لجميع القضايا التي تهتم التدريس او تخص الطلاب والمعلمين والامتحانات والعطل وكافة الامور التي تنظم شؤون التعليم الابتدائي . ومن تلك الامور التي كانت تطبق في العراق الموضوعات الآتية :-

تنظيم جدول الدروس

نصت التعليمات على أن تكون الدروس الهامة في فترة الصباح ، وهذه الدروس هي : القرآن الكريم ، المعلومات الدينية ، مصاحبات اخلاقية ، اللغة التركية ، التاريخ ، الجغرافية ، الحساب ، الهندسة ، الاشياء .
أما الدروس التي تدرس في فترة ما بعد الظهر ، فهي الدروس العمالية والخفيفة كالزراعة ، والرسم والموسيقى والنشيد والرياضة البدنية .

توزيع ساعات اليوم المدرسي

ومن الامور التي أكدت عليها التعليمات كيفية توزيع ساعات النهار المدرسي ، منذ الصباح حتى انتهاء اليوم مساء . وندون فيما يلي صورة من جدول الاوقات التي كانت متبعة في المدارس الابتدائية : —

جدول الاوقات

الساعة	الساعة	
الى	من	
٨ر٣٠	٨	التفتيش الصباحي
٩ر١٠	٨ر٣٠	الدرس الاول
٩ر٢٥	٩ر١٠	فرصة
١٠ر٥	٩ر٢٥	الدرس الثاني
١٠ر٢٠	١٠ر٥	فرصة
١١ر—	١٠ر٢٠	الدرس الثالث
١ر—	١١ر—	فرصة الغداء
١ر٢٠	١ر—	تفتيش بعد الظهر
٢ر—	١ر٢٠	الدرس الرابع
٢ر١٥	٢ر—	فرصة

٢٥٥	٢١٥	الدرس الخامس
٣١٠	٢٥٥	فرصة
٣٥٠	٣١٠	الدرس السادس
٤٠٠	٣٥٠	النشيد والاستعداد للانصراف

الامتحانات المدرسية

كانت الامتحانات تجري ، كما هي الحال اليوم بصورة يومية وشهرية ، وفصلية • ودرجاتها تدخل في السجلات • ولقد كانت امتحانات الصف الاول والصف الثاني تجري بصورة شفوية • أما الصفوف الاخرى فتجري فيها الامتحانات على نوعين (تحريري وشفهي) • والامتحان الشفهي ، كان يجري أمام (هيئة من المميزين) وهي هيئة منتخبة عادة وتتألف من معلم الدرس ، وبعض الشخصيات من خارج المدرسة • اذ تقوم هذه الهيئة بامتحان الطلاب واحدا بعد الآخر ، ولذلك كانت فترة الامتحانات تمتد الى مدة طويلة •

درجات النجاح

ودرجات النجاح آنذاك كانت تقابل باصطلاحات كان الغرض منها ، التفريق بين المجدين وغيرهم ، تشجيعا لهم وتمييزا • وكانت درجة النجاح الكبرى هي درجة (١٠) والصغرى (٥) • أما ما يقابل درجات النجاح من اصطلاحات تشجيعية فقد كانت كما يلي ...

المعدل بالدرجات	الاصطلاح الخاص به
٩ - ١٠ درجات	علي الاعلى
٨ »	أعلى
٧ »	قريب أعلى
٦ »	وسط
٥ »	قريب وسط
٤ - ٣ »	ضعيف
٢ - ١ »	ضعيف جدا

درجات السعي السنوي

كانت درجات الامتحانات اليومية والشهرية تجمع كل شهر على حدة ،
ويؤخذ معدلها • وكانت تستخرج درجة من معدل (كل شهرين) من أشهر
السنة الدراسية الثمانية على الشكل الآتي :

١ — معدل شهري ايلول وتشرين الاول

٢ — معدل شهري تشرين ثاني وكانون أول

٣ — معدل شهري كانون ثاني وشباط

٤ — معدل شهري مارت ونيسان

ثم تجمع هذه المعدلات الاربعة ، وتقسم على أربعة ، فتكون النتيجة
معدل (السعي السنوي) • وعندما يجري الامتحان النهائي ، تجمع مع معدل
السعي السنوي ، ويقسم على اثنين ، والحاصل هو (درجة النجاح النهائية) •

العقاب والثواب

كانت الوسائل الانضباطية عندهم متعددة • فبالنسبة للثواب ، كان
الطالب الحسن الخلق الرضي السيرة ، المجد ، المواظب على الدوام ، موضع
تقدير المدرسة واحترامها • وكان هذا التقدير يتدرج الى خمس درجات من
التشجيع هي :

١ — (آفرين) : ومن يحصل عليها ، توضع على صدره ورقة مطبوع
عليها هذه العبارة (آفرين) •

وكل من حاز أربع (آفرينات) ، يستحق الدرجة الاعلى منها ، وهي

٢ — تحسين : فاذا نال أربعاً من هذه التحسينات ، فانه يستحق الثالثة •

٣ — تقدير : فاذا ما نال تقديرين ، نال الدرجة الرابعة وهي •

٤ — تلطيف : فاذا نال أربع تلطيفات ، استحق الدرجة الخامسة وهي •

٥ — امتياز : وهي أعلى عبارات ودرجات التقدير والتشجيع •

ان منح هذه الامتيازات كان يجري عادة ، يوم الخميس من كل اسبوع •

وفي أثناء الاجتماع الصباحي • وكانت هذه التقديرات ذات أثر في سير الطالب في المدرسة اذ كانت تحفظ في ملفات الطلاب الذين يحصلون عليها ، وتؤخذ بنظر الاعتبار في نهاية السنة •

أما العقوبات فكانت تتدرج أيضا من التنبيه الى التوبيخ الشفهي ، ثم التوبيخ التحريري ، ثم الحجز أثناء الفرس ، فالكتابة لولي الامر ، فالطرد الموقت ، وأخيرا الطرد المؤبد •

أما الضرب ، فقد كان موجودا في المدارس ، لكن هذه التعليمات حرمته • ومنعت كذلك اسماع الطلاب ، الكلام القارس والعبارات غير اللائقة •

أما في مدارس الرشدي والاعدادي والعسكري ، فقد كانت عقوبة الجلد (حصير ميدان) موجودة ، اذ يتعرض لها من كان يعمل عملا مشينا أو كما يقال عامل (قباحة) « ١٣ » •

الاناشيد

كانت جميع الاناشيد التي ينشدها الطلاب في المدارس أناشيد تركية ، وكلها مدح للسلطان والوالي ، وتجبب المدرسة ، والعلم ، والاجتهاد • ولم يكن هناك درس خاص لتعليم النشيد ، ولكنها كانت تنشد عادة كل يوم خميس عند تحية العلم • وكان الهتاف ثلاثا بحياة السلطان ، بعد هذه الاناشيد لازما • ولعل هذا الهتاف أول ما تسمعه أذنا الطالب وهو يدخل المدرسة لأول مرة ، ذاك هو عبارة (يادِ شاهَم جَوَق ياشا) ومعناها (ملكي عشت طويلا) ومن تلك الاناشيد هذا المقطع باللغة التركية :

« تاج حريتله دوغمش ، بير كوتش شكلنده سك •

بيك ياشا ، سلطان محمد ، دولتكه بيك ياشا •

دولتكه ، ملتكه ، بيك ياشا • »

١٣ - لقد استعنا في كتابة هذا البحث بما كنا قد سجلناه من حديث المرحوم الاستاذ يوسف عز الدين الناصري •

ومعناه بالعربية :

« طلعت علينا متوجا ، كالشمس ، بتاج الحرية !

لتعش ، يا سلطان محمد ، مع دولتك ، ألف مرة ألف مرة !!

مع دولتك ، ومع ملتك ! ألف مرة !! »

وهناك غير هذا المقطع ، أناشيد كثيرة كان الطلاب يشدون بها باللغة

التركية ولا يعرفون معناها .



أرقام واحصائيات

وقبل أن نختم هذا البحث يجدر بنا أن نثبت هنا ، الاحصائيات التي وردت في المصادر والمراجع التي وقفنا عليها ، الخاصة بعدد المدارس والمعلمين والطلاب ، الذين كانوا في السنوات الاخيرة من العهد العثماني في العراق . وذلك قبل أن ندرج خلاصة الارقام التي استطعنا استخراجها من مظارنها المختلفة في هذا الباب أيضا اعماما للفائدة .

وها نحن اولاء نثبت تلك الاحصائيات كما جاءت في تلك المراجع فيما يلي .

١ : - احصائية مجلة لغة العرب

نشرت مجلة لغة العرب لصاحبها المرحوم الاب انتاس الكرملي ، بعددها الصادر في شهر تشرين الثاني عام ١٩١٣ م ، خبرا بهذا العنوان (مدارس بغداد والعراق) قالت فيه ...

(رفع ديوان المعارف الى المجلس العمومي ، تقريراً ذكر فيه ما في ولاية بغداد من المكاتب الرسمية والاهلية ، فأسفر البحث عن وجود ما يلي :

٣٤ دار علم من كتاب ، ومكتب ، ومدرسة ، في عهد الاستبداد ، وهذا العدد يتحلل بهذه الصورة ...

٢٨ دار علم للحكومة .

٦ للطوائف غير المسلمة .

أما في عهد المساواة والاخوة والحرية ، فإن المدارس قد بلغت فيه (١٠٣) مدرسة منها ...

٨٣ مدرسة رسمية

٢٠ مدرسة هلية

وبصورة اخرى تتوزع على الصورة الآتية . .

مدرسة للمسلمين	٩٠
لغير المسلمين	١٣

١٠٣

وبصورة ثالثة

كتابا (أي مدرسة ابتدائية) في حاضرة الولاية والقصبات، والقرى الاخرى .	٢٧
مكتب (أي دار علم رشدية) .	٦٩
مدارس (أي دار علم اعدادي) .	٥
مدارس عالية (وهي الحقوق والمكتب السلطاني) .	٢

١٠٣

أما عدد الطلبة فيبلغ (١٣٢٣٧ طالبا) موزعين على الوجه الآتي . «١»	
٤٧٤٧ طالبا في المكاتب المنتظمة (مسلمون) .	
٣٢٧٠ طالبا في الكتائب وهم (مسلمون) أيضا .	
٣٥٠٠ طالبا يهوديا	
١٨٢٠ طالبا نصرانيا	

١٣٢٣٧

٢ - احصائية مجلة التربية والتعليم :

أما الاستاذ ساطع الحصري ، فقد ذكر في مجلة التربية والتعليم ،
الصادرة في شهر حزيران عام ١٩٢٨ م ، تحت عنوان (المعارف في العراق)
ما نصه «٤» . . .

-
- ١ - مجلة لغة العرب ج ٣ ، تشرين الثاني . ١٩١٣ م .
 - ٢ - مجلة التربية والتعليم . ساطع الحصري . الجزء السادس . حزيران . ١٩٢٨ . بغداد .

« في العهد العثماني : — اذا نظرنا الى الاحصائية الرسمية التي نشرتها وزارة المعارف العثمانية في أوائل الحرب العامة (١٩١٤) ، نجد أن عدد المدارس الاميرية في الولايات الثلاث ، التي تألفت منها (مملكة العراق) كان آنذاك كما يلي ... »

١٦٠	مدرسة ابتدائية •
٤	مدارس ثانوية
٣	دور للمعلمين •
١	كلية حقوق •

١٦٨

أما عدد التلاميذ فكان كما يلي ..

٦٦٥٦	طالبا	في المدارس الابتدائية •
٨١٨	طالبا	في المدارس الثانوية (منهم ٤٧٢) طلاب الصفوف الابتدائية فيها) •
١٧٠	طالبا	في دور المعلمين •
٢٤٤	طالبا	في كلية الحقوق •

٧٩٨٨

وكان عدد المعلمين كما يلي

٣٢١	معلما	في المدارس الابتدائية •
٤٩	معلما	في المدارس الثانوية •
٢٢	معلما	في دور المعلمين •
١٠	معلمين	في كلية الحقوق •

٤٠٢

أما عدد مدارس البنات — من المجموع الآنف الذكر فكان ...

١٢	مدرسة أناث فيها •
----	-------------------

٣٢	معلمة و ...
٧٥٦	طالبة .
أما عدد المدارس الاهلية فكان ...	
١٢٥	مدرسة فيها
٣٢٧	معلم و .
١١٦٠٠	طالب ...

٣ - احصائية في غمرة النضال

أما المرحوم الاستاذ سليمان فيضي ، فقد أدرج احصاء رسميا عن المدارس الحكومية في العراق ، عام ١٩٠٥ م ، أي قبل المشروطة . ندرجه فيما يلي ليتسنى للقارئ الاستفادة منه عند المقارنة مع الارقام السابقة ، وهي أرقام لاحقة كما مر بنا . فلقد ذكر الاستاذ فيضي ما يلي :

(لقد تمكنت من الحصول على احصاء رسمي للمدارس الحكومية في العراق عام ١٩٠٥ م أورده باختصار ...

أ - في بغداد.

العدد

- ١ - اعدادية ملكية (ذات سبعة صفوف) .
- ٢ - اعدادية عسكرية (ذات ثلاثة صفوف)
- ١ - رشدية عسكرية (ذات أربعة صفوف) .
- ٤ - مدارس أولية .
- ١ - مدرسة واحدة للإناث .
- ١١ - مدرسة رشدية (ذات ثلاثة صفوف) في أقضيتهما الاحد عشر .
- ٢١ - مدرسة أولية (ذات ثلاثة صفوف) في أقضيتهما الاحد عشر .
- ٨ - مدارس رشدية في لوائي كربلا والديوانية التابعين لولاية بغداد .
- ١٥ - مدرسة أولية في لوائي كربلا والديوانية التابعين لولاية بغداد .

ب - في الموصل

العدد

- ١ - اعدادية ملكية (ذات خمسة صفوف) •
- ٢ - مدرستان أوليتان •
- ٥ - مدارس رشدية في أقضيته الخمسة •
- ١٢ - مدرسة أولية في أقضيته الخمسة •
- ٩ - مدارس رشدية في لوائي كركوك والسليمانية وأقضيتها التسعة •
- ١٦ - مدرسة أولية في لوائي كركوك والسليمانية وأقضيتها التسعة •
- ١ - مدرسة رشدية عسكرية (ذات أربع صفوف) في السليمانية •

ج - في البصرة

العدد

- ٢ - مدرستان رشديتان ملكيتان ، في قصبة البصرة وقضائيهما •
 - ١٢ - مدرسة أولية • في قصبة البصرة وقضائيهما •
 - ٥ - مدارس رشدية في لوائي العمارة والمنتفك وأقضيتهما السبعة •
 - ١٥ - مدرسة أولية في لوائي العمارة والمنتفك وأقضيتهما السبعة •
- أما مجموع طلاب هذه المدارس كلها (أي في الولايات الثلاث) فقد بلغ في تلك السنة (٤٢١٠ طلاب) عدد معلميها (٢٦٣ معلما) •
- أما المدارس الاهلية في العراق ، فهي المدارس الاسرائيلية والمسيحية في المدن الرئيسية الثلاث وطلابها كثيرون • والدراسة فيها أحسن حالا من المدارس الحكومية « ٢ » •

٤ - ما جاء في تقرير لجنة الكشف التهذيبي

جاء في الفصل الاول من تقرير لجنة الكشف التهذيبي (لجنة بول منرو)

التي زارت العراق عام ١٩٣٢ م، تحت موضوع (الاسس التاريخية) مانصه . .
(ان الثقافة العربية عريقة في القدم ، وقد أوجدت بفضل المدارس والمعلمين ، أساليب مناسبة لاستمرارها ، ونقلها جيلا بعد جيل . ولكن التربية العصرية المصطبغة نوعا ، بالصبغة العلمية ، والتي تشبه بوضعها ، التربية التي كوتتها الشعوب الغربية ، فانها حديثة العهد جدا . وكانت الادارة التركية ، قبل نشوب الحرب العالمية ، قد وضعت نظاما للمعارف فأستت نحوا من (١٦٠) مدرسة ابتدائية ، يبلغ عدد طلابها المسجلين حوالي (٦٠٠٠ تلميذا) ، وعدد المداومين فيها أقل من ذلك بكثير) . «٤»

٥ - ما جاء في كتاب (العراق - دراسة في تطوره السياسي) (٥)

لقد أشار المستر فيليب ويلارد آيرلاند في كتابه ، الى المعارف في العهد العثماني قائلا . . .

(كان في العراق على عهد الحكومة التركية ، نظام ممتاز للمعارف كما يظهر من التقارير التركية . فقد كان في كل ولاية ، مدير معارف ، له ميزانيته وموظفوه ، وعدد كبير من المدارس التي تسير بموجب منهج خاص . على أننا لو أردنا أن نحكم على المعارف بواسطة النتائج ، لوجدنا أن هذا النظام لم يكن الا شيئا أجوف ! فلم يكن عدد المدارس كما تدل عليه الاحصائيات الرسمية ! ولم يكن دوام الطلاب فيها بالنسبة التي تذكرها هذه الاحصاءات . كما أن المعلمين كانوا على جانب قليل من المعلومات والثقافة ، وأقل من ذلك بالنسبة للسجاييا الاخلاقية) . .

٦ : - خلاصة ما خرجنا به

ومن دراسة معظم (السالنامات) التي أصدرتها ولايات بغداد والموصل

٤ - تقرير لجنة الكشف التهذيبي . بو ل منرو . مطبعة الحكومة . بغداد . ١٩٣٢ .

٥ - مؤلفه فيليب آيرلاند وترجمة جعفر خياط . بيروت . ١٩٤٩ .

والبصرة ، لاسيما في السنين الاخيرة . ومن الاطلاع على ما كتب في المصادر الآتفة الذكر ، والصحف والمجلات ، استطعنا أن نخرج بالاحصائيات التي ندرجها فيما يلي ، وهي في الحقيقة تمثل أرقاما على الورق لانها وان كانت موجودة رسميا الا أن عدد الطلاب المداومين فيها أقل كثيرا من عدد المسجلين فيها !

أولا - مدارس ولاية بغداد

كانت مدارس ولاية بغداد في أواخر العهد العثماني أي في عام ١٩١٤ م تتألف مما يأتي ..

نوع المدرسة	عدد المدارس	عدد الطلاب	عدد الطالبات
المدارس الابتدائية	٣٣	١٥٢٥	—
مدارس الاناث	٥	—	٣٠٠
المدارس الرشدية	٩	٤٠٥	—
المكتب السلطاني	١	٢٦٠	—
دار المعلمين	١	٢٠٠	—
مكتب الصنائع	١	٧٠	—
الرشدية العسكرية	٢	٧٠٠	—
اعدادي عسكري	١	٥٠٠	—
مكتب الحقوق	١	٢٥٠	—

وبعد هذه المدارس الرسمية تأتي المدارس الاهلية الاسلامية والمسيحية واليهودية والاجنبية وهي ...

عدد الطلاب	عدد الطالبات	عدد الطلاب	عدد الطالبات
مكتب الترقى الجعفري	١	٣٠٠	—
مدرسة الاخوة الايرانية	١	٢٠٠	—
المدرسة الحسينية	١	١٠٠	—
المدرسة العلوية	١	٧٠	—

—	٧٠	١	المدرسة المرتضوية
—	١٢٠	١	مكتب الهندود
—	٢٤٠	١	مدرسة الكلدان
—	٧٠	١	مدرسة السريان
—	٨٥	١	مدرسة الارمن
٤٥	—	١	مدرسة الارمن للبنات
—	٣٠٠	١	مدرسة اللاتين
٨٠٠	١٠٠	٣	مدرسة اللاتين للبنات
٤٥	—	١	مدرسة اخوات المحبة
٢٨	٤٠	٢	مدرسة البروتستانت
—	١٦٠	١	مدرسة الالمان
—	١٠٠٠	١	مدرسة الاليانس
١٠٠	٢٠٠	١	مدرسة الاطفال
—	١٨٠	١	مدرسة التعاون
—	٢٧٠٠	٣٠	مدارس المدراس
١٢٠	١١٦	١	مدرسة هارون صالح
—	١٥٠	١	مدرسة الوطن
٢٧٥	١٠٠	١	مدرسة رفقة روفائيل
٦٠٠	—	١	مدرسة لورة خضوري
—	١٧٥	١	مدرسة اليانس الحلة
—	٧٠	١	مدرسة اليانس خاتقين

ثانياً - مدارس ولاية الموصل

—	١٧٩٣	٣٠	المدارس الابتدائية
٢٦٠	—	٢	مدارس الاناث
—	٢١٦	٤	المدارس الرشدية

—	٣٣٢	٣	المدارس الاعدادية
—	١٣٨	١	مدرسة رشدية عسكرية (سليمانية)
—	١٥٠	١	دار المعلمين
—	١٥	١	مكتب صنائع كركوك
—	٤٠٠	١	مدرسة الكلدان
—	٢٥٠	١	مدرسة السريان
—	١٤٠	١	مدرسة اليعاقبة
٥٠	٣٠٠	١	مدرسة الآباء الدومنيكان
١٠٠	—	١	مدرسة اخوات المحبة
—	١٧٥	١	مدرسة الاليانس

• ثالثا - ولاية البصرة

نوع المدرسة	عدد المدارس	عدد الطلاب	عدد الطالبات
المدارس الابتدائية	٢٧	٥٨٠	—
مدرسة الاناث	١	—	٥٠
المدارس الرشدية	٤	٢٤٤	—
مدرسة الاميركان	١	٢٠٠	—

مدارس العراق عام ١٩١٤

وعلى هذا الاساس تكون مدارس العراق عام ١٩١٤ م موزعة على الصورة الآتية ••

أ - المدارس الرسمية

نوع المدرسة	عدد المدارس	عدد الطلاب	عدد الطالبات
بغداد	٥٤	٣٩١٠	٣٠٠

٢٦٠	٢٦٤٤	٤٢	الموصل
٠٤٠	٨٢٤	٣٢	البصرة
٦٠٠	٧٣٧٨	١٢٨	المجموع

ب - المدارس الاجنبية والاهلية

٢٠١٣	٦٥٢٦	٥٧	بغداد
١٥٠	١٢٩٤	٦	الموصل
—	٠٢٠٠	١	البصرة
٢١٦٣	٨٠٢٠	٦٤	المجموع

وهكذا يكون مجموع المدارس في العراق عام ١٩١٤ م على الصورة الآتية .

٦٠٠	٧٣٧٨	١٢٨	المدارس الرسمية
٢١٦٣	٨٠٢٠	٦٤	المدارس الاهلية والاجنبية
٢٧٦٣	١٥٣٩٨	١٩٢	المجموع



خاتمة

وأخيرا ، وبعد عرض هذه الصور الخاطفة عن تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ، لابد لنا من أن نستميح القاريء الكريم عذرا ، ان لم تأت تلك الصور ، أكثر دقة أو أشد صفاء ! • كما نستميحه عذرا كذلك ، ان نحن غفلنا ، عن الاشارة الى بعض الوقائع أو الاحداث ، لا عن غرض أو تقصد ، انما قد يكون بسبب عدم استطاعتنا الوصول اليها ، أو الوقوف عليها ، وشفيعنا في ذلك ، أن هذه المعلومات التي احتوتها فصول هذا الكتاب ، لم تكن الا حصيلة درس خاص • وتتبع شخصي ، استمر زهاء العشر سنوات ! ونحن اذ تقدم هذه الفصول اليوم بهذه الطبعة ، فان لنا الامل الوطيد بأن القراء الكرام ، الذين تهمهم مثل هذه الابحاث التاريخية ، سيتكرمون علينا بما يتوافر لديهم بعد قراءة هذه الفصول ، من تصويبات وارشادات أو وقائع وأحداث ، لم نقف عليها أو تتوصل اليها ، كي نقوم باعادة النظر باصول الكتاب في ضوء هذه المعلومات ، استعدادا لاجراجه بطبعة جديدة منقحة !

ورغبة في أن تأتي الطبعة الثانية ، طبعة كاملة ، رأينا ان احتواءها على مجموعة من الصور التي تمثل مختلف المراحل الدراسية في العهد العثماني سيضفي عليها أهمية خاصة ! لذا لابد لنا ، ونحن نختم فصول هذا الكتاب ، الا أن نبعث برجائنا الى أولئك السادة الافاضل الذين تتوافر لديهم نسخ من الصور التي تمثل جانبنا من جوانب الحياة الدراسية في ذلك العهد ، كي يتكرموا بارسالها الينا حسب العنوان المدرج أدناه ، ليتسنى لنا نشرها على صفحات الكتاب في طبعته الثانية انشاء الله • ولهم منا جميعا غاية الشكر والامتنان •

عنوان المؤلف

عبد الرزاق الهلالي

شارع ام الربيعين رقم الدار ١١/٤٢

محلة نجيب باشا • أعظمية

بغداد - العراق

A. RAZZAK. HILALI.

.....

NAJIB PASHA SQUARE.

.....

BAGHDAD-IRAQ.

.....

فهرس الكتاب

أ - فهرس الاعلام

- « أ »
- الالوسي ، ابراهيم عاكف . ١٤٤ ،
٢٢٠ ،
الالوسي ، ثابت . ٩٥ ،
الالوسي ، خير الدين نعمان ، ٥٩ ،
٩٤ ،
الالوسي ، علي علاء الدين . ٩٥ ،
الالوسي ، عبد الله . ٩٣ ،
الالوسي ، محمد درويش . ٧٦ ،
الالوسي ، محمود شكري . ٣٩ ،
٤٠ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٩٥ ،
١٢٧ ،
الامين ، محسن . ١٠٤ ، ٥٦ ،
الانصاري ، أبو أيوب . ١٣ ،
الاورفه لي ، سامي . ١٨٧ ، ٢٢٠ ،
الانسي ، محمد امين . ١٢٨ ،
الاورفه لي ، سلمان . ٥٦ ،
الاورفه لي ، مكى . ٢١٨ ،
الاهرابي ، الحاج علي . ٢١١ ،
الاهواني ، أحمد فؤاد . ٤٦ ،
الايرواني ، الشيخ محمد . ١٠٧ ،
الايلخاني ، أويس . ٧٣ ،
ابن الخباز ، قاسم . ٨٣ ،
- الاثري ، محمد بهجت . ٢٠ ،
٩٨ ، ٧٢ ،
الاخرس عبد الغفار . ١٢٦ ،
الاخوند ، العلامة . ١٠٧ ،
الازدي ، بكر . ١١٩ ،
الازري ، عبد الرزاق . ١٧٦ ،
الازري ، عبد الحسين . ١٢٧ ،
الازري ، كاظم . ١٢٦ ،
الازري ، مهدي . ٨٠ ،
الاسدي ، أبو الحسن . ١٠١ ،
الاشموني . ٩٩ ،
الاصفهاني ، محمد حسين . ١٠٣ ،
الاعظمي ، علي ظريف . ٨٦ ، ٦٦ ،
١٠٦ ، ١٦١ ،
الاعظمي ، أحمد عزت . ٢١٩ ،
الاعظمي ، نعمان . ٢٣٦ ،
الاعظمي ، عبد الهادي . ١٥٤ ،
الاعظمي ، حمدي . ٢٣٦ ،
الالوسي ، احمد شاكر . ٧٦ ،
٩٤ ،
الالوسي ، ابو الثناء . ٥٩ ، ٢٠ ،
٧٨ ، ١٢٦ ، ١٣٢ ،

- ابن خلدون • ٩٦، ٣٩، ٣٨، ٤٤ ، ٩٨، ١١٤، ١١٥ •
 ابن عابدين • ٢٩٩
 ابن مالك • ١٠٥، ٩٩
 ابن هشام • ٩٩
 ابو التمن، جعفر • ١٧٥
 أبو التمن، داود • ١٧٦، ١٧٤
 ابو التمن، سلمان • ١٧٤، ١٧٣
 أبو جعفر، المستنصر، • ٦٨
 أبو الحسن، العلامة • ١٠٥
 أبو حنيفة، النعمان • ٢١٤، ٦٩
 أبو سعيد (ستان) ، • ٤٠
 أبو سعيد (سليمان) • ٦٩، ٦٥
 • ٧٤، ٧٣، ٧٠
 أبو عامر، سعيد • ١١٩
 أبو المحاسن • ١٢٧
 ابراهيم باشا (الداماد) • ١٤٣، ١٤٣
 ابراهيم أغا • ١٤
 ابراهيم ولي، • ١٤١
 ابراهيم شوقي، • ٢١٦
 ابراهيم زهدي • ٢٢٨
 ابراهيم كمال، • ٢١٨
 احمد اسماعيل • ٧٢
 أحمد امين (الدكتور) • ٤٦
 أحمد أمين • ٢١٢
- أحمد باشا • ٧٤
 أحمد بن حنبل • ٥٨
 أحمد السالم • ١٨٦
 أحمد عبد الكريم • ١٤١، ٣٩
 أحمد فليح • ٥٥
 أحمد فريدون • ١١
 أحمد مدحت باشا • ١٦، ١٥
 • ٣٠، ٧٠، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢
 • ١٣٧، ١٤٥، ١٤٩، ١٥٠، ١٦٢
 • ١٦٦، ١٦٨، ١٨٢، ٢٢٧، ٢٣٣
 أحمد نيازي • ٢١٨
 أحمد طه • ٢١٨
 أحمد سامي • ٢١٨
 أرسطو • ١٧٦
 أرنولد، السير توماس • ٧٦، ٥
 الاستانبولي، مهران • ١٩٦
 اسحق، جرسون • ١٤٢
 أسعد (المللا) • ٥٦
 أسماء حسن • ٦٠
 أقليدس • ١٠٦
 البرت، ساسون • ٢٠٧
 ألب • أرسلان • ٦٣
 اليا، شحمون • ٢٠٨
 اليانور، المدام • ١٦٠
 الياس رسام • ٢١٥
 اليعازر خضوري • ٢٠٩

- الفريد ، بونيه . ١١٦٧ ،
 الما ، دتلن ، الدكتور . ١٩١٠ ،
 أمين عالي (باشا) . ١٣١ ، ١٥ ،
 أمين الدين مرجان . ٧٣ ،
 أمينة ، شكورة . ١٦٠ ،
 أندريه . ١٨٦ ،
 أنور (باشا) . ١٣٤ ،
 انطوني . كروفس . ٢١١ ،
 ايرلاند ، فيليب . ٢٤٨ ،
 (ب)
 بابو اسحق ، رفايل . ١٩٥ ،
 الباد كوبيي ، العلامة . ١٠٣ ،
 البازركان ، علي . ١٧٢ ، ١٧٣ ،
 ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ،
 البازركان ، محمد حسين . ٢١٧ ،
 الباجهجي . أمين . ٧٥ ،
 الباجهجي ، حسن ، ٢١٥ ، ٢١٦ ،
 الباجهجي ، حمدي . ٢١٦ ،
 الباجهجي ، عبد الهادي . ٢١٥ ،
 الباجهجي ، موسى كاظم . ٢١٥ ،
 الباجهجي ، نعمان . ٧٥ ،
 البحراني ، رؤوف . ١٧٦ ،
 البحراني . عبد الحسين . ١٧٥ ،
 البخاري . العلامة . ١٠٣ ، ١٢٠ ،
 البراوي . راشد . ١١٦ ، ٨ ،
 البرماوي . ٢٩ ،
 البرزنجي ، نوري . ١٥٤ ،
 برتهاردت . ١٥ ،
 بروكلمان ، كارل . ١٧٦ ، ٩٦ ،
 ٢٣ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ١٣١ .
 البزاز ، حسن . ١٢٧ ،
 البشدري ، حسين . ٩٤ ،
 بشير فرنسيس . ٢٧ ،
 البصام ، صادق . ١٧٦ ،
 البصري ، عبد الجليل . ١٢٧ ،
 البصير ، محمد مهدي . ١٢٦ ، ١٢٧ ،
 البعلبكي ، منير . ٦ ،
 البغدادي ، علي مهدي . ١٧٥ ،
 البغدادي ، عبد القادر . ١٢٧ ،
 البغدادي ، قاسم . ١٢٨ ،
 البغدادي ، محمد بدیع . ١٢٨ ،
 بكتاش ولي . ٧٦ ،
 بكر أفندي . ٨٤ ،
 البناء ، عبد الرحمن . ١٢٧ ،
 البناني . ٩٩ ،
 بندكتس (البابا) . ١٩٩ ،
 البنديجي ، عيسى . ٩٤ ،
 بوشناق ، أحمد باشا . ٧٩ ،
 بهاء الدين نوري . ١٧١ ، ٢١٦ ،
 البهائي ، العلامة . ١٠٦ ،
 بهية (الملاية) . ٦١ ،
 يبي (الملاية) . ٦١ ،

الجلبي ، داود • ٢٢٠ ، ٢٠٠ ، ٨٣
الجلبي ، عاصم • ٢١٩
جليل عمو • ٣٠٤ ، ٦٠
الجليلي ، سليمان • ٩٦
جبال (السفاح) • ٢٠٩ ، ١٣٤
٢١٦

جشيد • ٨٤
الجميل ، عبد القادر • ٢١٨
الجميل ، عبد الغني • ١٢٧
الجميل ، محمد • ٢٢٨
جنكيز خان • ١
الجوادي ، محمد سعيد • ٩٦
جورج انطونيوس • ١٣٣ ، ١٤٨
جون فانيس • ٢٠٤ ، ٦٠
جويده ، عبد المسيح • ٣٦
الجوهر ، محمد حسن • ١٧٥
جيزو • ١٣٤

(ح)

الحافي ، عبد الحليم • ٧٩
الحبار • ٨٤
حبشي ، حسن • ٢٣٦
الحبوبي ، محمد سعيد • ١٠٧
١٢٧ ، ١٧٤
الحريري • ١٠٠
حسن باشا • ٧١ ، ٧٤ ، ٧٧
حسن جواد • ١٧٦

بيية (الملاية) • ٦١
بيل ، المس • ١٧٨ ، ١٨١
البياتي ، قاسم • ٧٦
البيضاوي • ١٩٩ ، ١٢٠
بيهم ، محمد جميل • ١٧ ، ١٤ ، ١٦
(ت)

تاتار ، حسن سامي • ٢١٨
تحسين علي • ٢٢٠
التفتازاني • ٩٨ ، ١٠٥
التستري ، العلامة • ١٠٧
التكريتي ، عبد العزيز • ١٨٦
التكرلي ، عبد الجبار • ٢١٨
التكرلي ، مصطفى • ٢١٩
التيمي ، صالح • ١٢٦
توفيق • فكرت • ١٨٧ ، ٢١٨
التويج ، جواد • ١٧٤
(ث)

ثابت عبد النور • ٢١٩
ثيان ، عبد الرحمن • ٧٧
الثاني ، يوسف عمانوئيل • ١٩٣
(ج)

جابر (الملا) • ٥٦
جاويد • ١٣٤ ، ٢٣١
الجرججي ، محمد أمين • ١٧٥
الجزائري ، محمد • ١٢٦
جعفر (السيد) • ٨١
جعفر السيد هاشم • ١٧٥

- حسن رضا • ٢١٧ ،
 حسن (السيد) • ١٧٦ ،
 حسن السيد عباس • ٨٠ ،
 الحسني ، عبد الرزاق • ٣٠ ،
 حسني ، الدكتور حسين • ٢٢٠ ،
 حسين بك • ٨٤ ،
 حسين جاهد • ٢١٨ ،
 حسين رفيق • ٢٢٨ ، ٢٢٩ ،
 الحصري ، ساطع • ١٠٧ ، ٢٢ ،
 ٢٦ ، ٢٨ ، ١٢٣ ، ١٤٥ ، ١٤٩ ،
 ٢٤٤ ،
 حكمت سليمان • ٢١٧ ، ٢١٩ ،
 ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ،
 الحلاج ، منصور • ٨٥ ،
 الحلبي ، السيد حيدر • ١٢٦ ،
 حلمي ، عبد الرزاق ، ١٨٧ ، ٢٢٠ ،
 حمدي ، جعفر • ٨٠ ، ١٧٦ ،
 حمدي ، عباس • ٨٠ ،
 الحميري ، قاسم • ١٢٧ ،
 حمدي صدر الدين • ٢١٧ ،
 حياة الامام • ٦١ ،
 الحيدري ابراهيم فصيح • ٧٥ ، ٩٤ ،
 الحيدري ، حسين • ٨٢ ،
 الحيدري ، داود • ٢١٩ ،
 الحيدري ، عبد الكريم • ١٧٤ ،
 ١٧٥ ،
 الحيدري ، الملا عمر • ١٠٨ ،
 حوكي غنبر • ٢١٨ ،
 (خ)
 الخاصكي ، محمد باشا • ٧٦ ،
 الخاصكي ، مهدي • ١٧١ ،
 الخاقاني ، علي • ١٢٧ ،
 خالد ، الشيخ • ٩٩ ،
 خالد ، سليمان • ٢١٩ ،
 الخالدي ، توفيق • ٢٢٠ ،
 خالص أفندي • ٢٢٧ ،
 الخالصي ، مهدي • ١٠٧ ،
 خان زادة ، رشيد • ١٢٨ ،
 خان زادة ، عبد الجبار • ١٢٨ ،
 الخباز ، قاسم • ٩٦ ،
 الخباز ، عبد الرحمن • ٩٦ ،
 خسرو باشا • ٢٤ ،
 خضر بك • ٧٨ ،
 خضر السيد جميل • ١٢٨ ،
 الخضري ، محسن • ١٢٦ ،
 الخضري ، امونة • ٦١ ،
 الخضري ، عبد الرزاق • ٧٩ ،
 الخطيب ، الشرييني • ٩٩ ،
 الخطيب ، عثمان • ٨٥ ،
 الخطيب ، القزويني • ٩٩ ،
 الخطيب ، محمد أمين • ٩٥ ،
 خليل بك • ٢١٥ ،

الدملوجي ، عبدالله . ٢٢٠ ، ٩٥ ،
الديوهجي ، عثمان . ٩٦ ،

(ر)

رازقية (الملاية) . ٦١ ،
راحيل شحمون . ٢٠٨ ،
راسم رشدي . ١٠ ،
راغب بك . ٢٢٧ ،
الراوي ، أحمد . ٢١٨ ،
الراوي ، اسماعيل . ٩٣ ،
الراوي ، جميل . ٢٢٠ ،
الراوي ، عبد الله . ٩٣ ،
الراوي ، عبد الرحمن . ٩٣ ،
الراوي ، عبد اللطيف . ٩٥ ،
الراوي ، عبد الفتاح . ٩٣ ،
الراوي ، محمد حسين . ٩٤ ،
رجب (الملا) . ٥٦ ،
الرحبي ، خليل . ٧٨ ،
رحيم (الملا) . ٥٦ ،
رديف ، باشا . ٢٤ ،
رستم ، باشا . ٢٤ ،
الرصافي ، معروف . ١٢٧ ، ٦٩ ،
٢٢٩ ،
الرضواني ، محمد . ٩٦ ،
رفعت بك . ٢٢٧ ،
رفائيل بطي . ٢٠١ ،
رفقة رفائيل . ٢٠٨ ،

الخليل ، مصطفى . ٢١٨ ،

خليل مردان . ٢١٨ ،

الخليلي ، جعفر . ٤٩ ،

الخليلي ، العلامة . ١٠٣ ، ١٠٧ ،

الخوارزمي ، أبو سعيد . ٦٩ ،

الخوجة ، رشيد . ٢٢٠ ،

الخوجة علي . ٧١ ، ٧٢ ،

الخوجة ، عبد المجيد . ٢٣٥ ،

خونده ، سامي . ١٩٤ ،

خونده ، عبد الله . ١٩٤ ،

الخياط ، أحمد زكي . ١٧٦ ،

الخياط ، جعفر . ١٧٨ ، ١٧٦ ، ٢٤٨ ،

الخياط ، عبد العزيز . ٢١٧ ،

خيوكة ، الحاج حسن . ١٧١ ،

(د)

داود باشا . ٤١ ، ٦٥ ، ٧١ ، ٧٢ ،

٧٥ ، ٧٩ ، ٢١١ ،

داود (الملا) . ٥٦ ،

داود سمرة . ٢١٩ ،

داود بن عارف . ٥٦ ، ٦٨ ،

الدبوني ، داود . ٢٢٠ ،

الدروبي ، ابراهيم . ٤٩ ،

درويشة الملاية . ٦١ ،

الدفتري ، محمود صبحي . ٢١٩ ،

الدملوجي ، توفيق . ٢١٩ ،

الدملوجي ، صديق . ١٦٠ ، ٩٥ ، ١٢٨ ،

١٣٠ ،

- الركابي ، علي حيدر . ١٣٣ ، ٦ ،
 رميض (الملا) . ٥٦ ،
 الرمضاني ، يوسف . ٩٦ ،
 الروزياني ، عبد الله . ٧٥ ، ٩٤ ،
 الروزياني ، يوسف . ٩٦ ،
 (ز)
 زلزلة ، عبود . ١٧٦ ،
 الزمخشري . ١٠٠ ،
 الزند ، محمد أمين . ٩٣ ،
 الزندي ، أحمد . ٩٣ ،
 الزهاوي ، أمجد . ٩٤ ،
 الزهاوي ، جميل صدقي . ١٢٣ ، ٦٩ ،
 ١٢٧ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٢٢٨ ،
 الزهاوي ، شوكت . ٢٢٠ ،
 الزهاوي ، محمد سعيد . ٩٤ ،
 الزهاوي ، محمد فيضي . ٧٢ ، ٩٤ ،
 الزهاوي ، ناجي . ٢١٧ ،
 زهرة (الملاية) . ٦١ ،
 (س)
 سارغون . ١ ،
 الساعاتي ، اسحق لوريون . ٢٠٦ ،
 السامر ، فيصل . ٤ ،
 سامي بك . ٢٢٧ ،
 سامي شوكت . ٢٢٠ ،
 سبيلة هانم . ١٨٥ ،
 السجاعي . ٩٩ ،
 سعدان بن مسلم . ١١٩ ،
 السعدون ، عبد المحسن . ٢٢٠ ،
 السعدي ، داود . ٢١٨ ،
 السعدي ، شوكت . ٢١٨ ،
 سليم الاول . ١٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٩ ،
 ١٧ ، ١٨ ،
 سليم الثالث . ١٢٣ ، ١٢٩ ،
 سليم فارس . ٢٠٥ ،
 سليمان (السلطان) . ٩ ، ١٤ ،
 ١٧ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٤٦ ،
 سليمان فيضي . ٢٦ ، ٣١ ، ٩٢ ،
 ١٣٤ ، ١٥٣ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ،
 ٢١٧ ، ٢٣٤ ، ٢٤٦ ،
 سليمان نظيف . ١٨٨ ،
 سليمان أفندي . ١٦٩ ،
 سلوقيس . ١ ،
 السمين ، الشيخ أحمد . ١٢٨ ،
 السنوي ، طه . ٧١ ،
 السنوي ، نشأت . ٢١٩ ،
 سوسة ، الدكتور أحمد . ٣١ ، ٢ ،
 ٧٧ ،
 السويدي ، توفيق . ٢١٩ ،
 السويدي ، ثابت . ٢١٩ ،
 السويدي ، شاكر . ٢٢٠ ،
 السويدي ، عارف . ٢١٦ ، ٢١٩ ،
 السويدي ، عبد الله . ٧٨ ، ٩٣ ،

- السويدي ، محمد أمين • ٧٣ ،
السويدي ، ناجي • ٢١٩ ،
السيوطي ، عبد الرحمن • ٧١ ،
السياهبوش • ١٢٧ ،
(ش)
الشابندر ، الدكتور معمر • ٣٣ ،
٢٢٠ ،
الشاشي • ٩٩ ،
الشالجي • ٨٤ ،
شاكر بك • ٢٢٨ ،
الشامي كمال • ٢١٧ ،
الشاوي ، أحمد • ٩٤ ، ٢٢٩ ،
الشاوي ، عبد الحميد • ١٢٦ ،
الشيبي ، جواد • ١٢٧ ،
الشريرياني ، محمد • ١٠٧ ،
شريف ، الحاج ، ٨٤ ،
الشعار ، قاسم • ١٨٢ ،
شفيفة (الملاية) • ٦١ ،
شكارة ، ضياء • ١٠٦ ،
شكارة ، عباس • ٨٠ ، ١٧٦ ،
شكارة ، كاظم • ٨٠ ، ٨١ ، ١٧٦ ،
شكر ، الشيخ • ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ،
١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ،
الشليبي ، الدكتور أحمد • ٤٦ ،
الشماع ، صالح • ٤ ،
شميل سوميخ • ١٧٣ ،
الشواف ، عبد الرزاق • ٩٤ ،
الشواف ، عبد السلام • ٧٨ ، ٩٤ ،
الشواف ، عبد العزيز • ٩٤ ،
١٥٤ ،
الشواف ، عبد الفتاح • ٩٤ ،
الشواف ، طه • ٩٥ ، ١٠٨ ،
شوانيس • ١٦٩ ،
الشيرازي ، العلامة • ٢٠٧ ،
الشيرواني ، نوري • ١٧١ ، ٢١٦ ،
الشهرنيلي ، حسين • ٢٧٠ ،
(ص)
صائب شوكت • ٢٢٠ ،
الصائغ ، اسماعيل • ١٢٨ ،
الصائغ ، القس سليمان ، ٨٣ ، ٩٥ ،
١٧٧ ،
الصائغ ، علي • ١٢٨ ،
الصائغ ، عبد الرحمن جلبي ، ٨٥ ،
الصائغ ، محمد • ١٢٨ ،
صادق اطميش • ١٢٧ ،
صاحب الجواهر ، العلامة • ٢٠٧ ،
صالح حيدر (الملا) • ٥٥ ،
الصبان • ٩٩ ،
صبيح نجيب • ٢٢٠ ،
صبيحة الشيخ داود • ٢٣٣ ،
الصدر ، السيد حسن • ١٠٧ ،
الصدقي ، بكر • ١٢٨ ،

عباس محبوب آغا . ١٧٣ ،
عباس مهدي . ١٧٦ ،
عبد الحميد (السلطان) . ٨ ، ٩ ،
١٠ ، ١١ ، ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٥ ،
٧٦ ، ٧٧ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١٣١ ،

١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ،
عبد الحميد مهدي . ١٧٦ ،
عبد الرزاق المعروف . ٥٦ ،
عبد الرزاق (السيد) . ٧١ ،
عبد الرحمن باشا . ٨٦ ، ١٦٤ ،
عبد الرحيم ضياء . ٢١٥ ،
عبد العزيز (السلطان) . ١٣٠ ،
١٣١ ، ١٤٥ ،

عبد الغني ، الملاحيدر . ٥٥ ،
عبد القادر ، عبد الرزاق . ١٢٨ ،
عبد الله أفندي . ١٧١ ،
عبد الله عونى . ٢١٥ ،
عبد الله بك . ٧٩ ،
عبد الله (الملا) . ٥٦ ،
عبد الله مظفر . ٢١٩ ،

عبد الله اللنجاري . ٥٦ ،
عبد الله فيضي . ٢٢٨ ،
عبد الله علي . ٧٩ ،
عبد المجيد (السلطان) . ١٥ ،
١٢٢ ، ١٢٩ ، ١٤٤ ،
عبد المجيد محمود . ١٧٦ ،

الصفار ، اسماعيل . ٢٢٠ ،
الصفار ، عبد المجيد . ١٧٥ ،
الصوفي ، أحمد علي . ٣٢ ، ٥١ ،
الصوفي ، السيد محمد . ٩٦ ،

(ط)

الطائي ، عبد المحسن . ٧٧ ،
الطالباني ، الشيخ رضا . ١٢٧ ،
الطالقاني ، موسى . ١٢٦ ،
الطباطبائي ، ابراهيم . ١٢٦ ،
الطباطبائي ، محمد تقى . ١٠٧ ،
الطباطبائي ، محمد مهدي . ١٠١ ،
الطبطلجلى ، أسعد . ٩٣ ،
الطبطلجلى ، محمد أفندي . ٧٠ ، ٧٢ ،
٩٣ ،

الطبطلجلى ، محمد سعيد . ٩٣ ،
الطحاوي . ٩٩ ،
طوطح ، خليل . ٤٥ ، ٨٧ ،
الطوسي ، العلامة . ٤٦ ، ١٠١ ،
الطويل ، أحمد باشا . ٧٢ ،

(ع)

عادل بك . ١٧١ ،
عارف ققطان . ٢٢٠ ،
عادلة خاتون . ٧٤ ،
عباس آغا عليوف . ١٧٥ ،
عباس بهي . ٥٦ ،

- عبد المطلب • ١٢٧ ،
عبد الكريم حنا • ٢١١ ،
عبد الكريم قليان • ٢٢٠ ،
العريبي ياسين • ٢١٩ ،
العزاوي ، عباس • ٢٨ ، ٣٢ ،
٣٤ ، ٣٦ ، ٤٦ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ١٢٣ ،
١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٣٧ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ،
١٦٤ ، ١٦٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ،
العزاوي ، جلال • ٢٢٠ ،
العسكري ، تحسين • ٢٢٠ ،
العسكري ، جعفر • ٢٢٠ ،
العشاري ، حسين • ١٢٦ ،
عصام الدين • ٩٩ ،
العطا ، محمد أمين • ١٢٨ ،
العطا ، يوسف • ٧٣ ، ٧٨ ، ٢١٦ ،
العتار ، رؤف • ١٧١ ،
عطية (الملاية) • ٦١ ،
علاوي ، حسين • ١٧٥ ،
علي جودت • ٢٢٠ ،
علي بن ديبس • ١٠١ ،
علي سيدي • ١٥٧ ،
علي عبد الواحد • ١٤١ ،
علي مراد • ٧١ ،
عمر باشا • ٧٢ ،
عمر رمضان • ١٢٦ ،
عمر فوزي • ١٨٦ ،
العمر ، محمد أحمد • ٤٦ ، ٦٤ ،
العصري ، أحمد عزت • ١٢٦ ،
العصري ، عبد الباقي • ١٢٦ ،
العصري ، فهسي • ١٧٧ ،
العصري ، مصطفى • ٢١٨ ،
العصري ، يوسف • ٨٣ ،
العينجي ، علي • ١٧٥ ،
عواد كوركيس • ٢٧ ، ١٩٠ ،
عيسى روجي • ٢٢٧ ،
عيسى غياث الدين • ٢٢٧ ،
(غ)
الغبان ، عبد الرزاق • ٨٠ ،
الغرابي ، محمود • ١٢٧ ،
الغزي ، ابن قاسم • ٩٩ ،
الغلامي ، عبد المنعم • ١٣٤ ،
الغلامي ، محمد سعيد • ٩٦ ،
غنيمة يوسف رزق الله • ٢٠٦ ،
الغوري ، قنصوة • ٥ ،
(ف)
فائق رشيد • ٢٣٧ ،
فائق شاكر • ٢٢٠ ،
فاطمة خاتون • ٧٦ ،
الفاكهي • ٩٩ ،

- القزويني ، صالح . ١٢٧ ،
 القزويني ، جعفر . ١٢٦ ،
 القزويني ، محمد . ١٢٦ ،
 قسطنطين مورادجا . ٢٧ ،
 القصاب ، عبد العزيز . ٢١٩ ،
 قطرب . ٢٧ ،
 قنبر أغا ، حمودي . ١٧٥ ،
 قنبورة (الملاية) . ٦٠ ،
 القيسي ، قاسم . ٧١ ، ٢٧٨ ، ٧٣ ،

(ك)

- كاتب الديوان ، فضل الله . ١٢٨ ،
 كاشف الغطاء ، جعفر . ١٠٧ ،
 كاشف الغطاء ، علي . ١٠٧ ،
 كاشف الغطاء ، مهدي . ١٠٧ ،
 الكاظمي ، جابر . ١٢٧ ،
 الكاظمي ، عبد المحسن . ١٢٧ ،
 كامل سعيد . ٢١٨ ،
 الكبيسي رؤف . ٢٢٠ ،
 كبه ، عبد الغني . ١٧٥ ،
 كبه ، الشيخ محمد حسن . ١٢٧ ،
 كبه ، الحاج محمد حسن . ٨٠ ،
 ١٧٦ ،
 كركوكلي ، السيد اسماعيل . ١٥٤ ،
 الكرمللي ، انستاس . ٢٥ ، ٤٨ ،
 ٦٧ ، ٢٠١ ، ٢٤٣ ،

- فتحية خاتون . ٨٥ ،
 الفخري ، محمد أمين . ٩٦ ،
 الفرضي ، صالح . ٥٦ ،
 فطومة (الملاية) . ٦٠ ،
 فؤاد باشا . ١٥ ، ١٣٠ ،
 فؤاد بك . ١٦٩ ،
 الفوزي ، غالب . ١٢٨ ،
 فون درغولتش . ١٦٢ ،
 فهمي نصرت . ٢١٨ ،

(ق)

- القابسي . ٤٦ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ،
 ٥٧ ، ٥٨ ، ٩٠ ،
 قاسم ، الملا احمد . ١٠٨ ،
 قاسم ، ثروت . ٢١٧ ،
 القاضي ، ابو شجاع . ٩٩ ،
 القاضي ، عبد الرزاق . ٢١٨ ،
 القاضي ، منير . ٧٢ ،
 القاضي ، نوري . ٢١٩ ،
 القرشي ، عباس . ١٢٦ ،
 القره داغي ، عبد الرحمن . ٧٦ ،
 ٩٥ ،
 القره داغي ، علي . ٧٦ ،
 القرلجي ، محمد . ٧٤ ،
 القزويني ، رضا . ١٢٦ ،

- الكرملي ، عمانوئيل بايه • ٢٠١ ،
الكرملي ، ماري جوزيف • ٢٠١ ،
كروازه ، الهر • ٢١٣ ،
الكفائي ، محمد كاظم • ١٢٧ ،
الكفراوي • ٩٩ ،
الكلاك ، عبد الرحمن • ٨٣ ،
كمال الهندي • ٥٦ ،
كمونة ، محمد علي • ١٢٦ ،
كنعان باشا • ١٧٧ ، ١٨٠ ،
الكواز ، صالح • ١٢٦ ،
كيروب ستیان • ٢١٥ ،
الكيلاني ، عبد القادر • ٤٦ ، ٧٨ ،
(ل)
لسترنج • ٢٧ ،
لطيف (الملا) • ٥٦ ،
لوثر • ١٣٩ ،
لورا خضوري • ٣٠٩ ،
لونكريك • ٣٤ ، ٣٣ ، ٥١ ، ١٤٩ ، ١٩٧ ،
لويس فيليب • ١٤٠ ،
(م)
المازندراني ، العلامة • ١٠٧ ،
المازمجي ، رفائيل • ١٩٣ ،
ماكس (المسيو) • ٢٠٦ ،
- مانوئيل • ١٨٦ ،
الماوردي • ٢٨ ،
متفرقة ، ابراهيم • ١٤٢ ، ١٤٣ ،
محضر باشي ، علي • ٨٣ ، ٩٦ ،
محضر باشي ، محمود • ٨٥ ،
محمد اسعد طلس • ١١٧ ، ٥٤ ،
محمد أمين (الملا) • ٨٣ ،
محمد أفندي • ٧١ ،
محمد المتوكل • ٥ ،
محمد الثاني (السلطان) • ١٣ ، ١٧ ،
محمد جلبلي • ٧٢ ،
محمد درويش • ١٢٨ ،
محمد علي (الخديوي) • ٣٩ ،
٤٨ ، ٥١ ، ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٤١ ،
محمد فريد بك • ٦ ، ٥ ،
محمد فليح (الملا) • ٥٥ ،
محمد فهمي • ١٧١ ،
محمد سبته • ٥٥ ،
محمد طه نجف ، العلامة • ١٠٧ ،
محمد جودت • ٢١٦ ،
محمد علي محمود • ٢١٨ ،
محمد صدقي • ٢١٨ ،
محمد علي مصطفى • ٢١٩ ،
محمد وحيد الدين • ١٢ ،
محمد مصطفى عزت • ١٤٤ ،

- محمد ياودود . ١٢٨ ،
 محرم معمر . ٢١٥ ،
 محي الدين . ٢١٨ ،
 محي عبد الحميد . ١٢٨ ،
 محي الدين مكّي . ٥٦ ،
 محمود الاول (السلطان) . ١٧١ ،
 محمود الثاني (السلطان) . ١٢٩ ،
 محمود زكي . ١٤١ ،
 محمود جلال . ٢١٧ ،
 محمود نديم . ١٢٨ ،
 المختار ، عبد المجيد . ٨٢ ،
 المختار ، عبد الهادي . ١٧٦ ، ٨٢ ،
 المخرمي ، ابو سعيد . ٧٨ ،
 المدرس ، جميل . ١٢٨ ، ١٧١ ،
 المدرس ، محمد فهمي . ١٥٧ ،
 ١٦٩ ، ٢٢٨ ،
 المدفعي ، جميل . ٢٢٠ ،
 مراد الاول (السلطان) . ١٧ ،
 مراد أفندي . ٧٠ ،
 مراد الرابع . ٤٦ ،
 مرتضى نظمي . ١٢٨ ،
 مرزوكة (الملاية) . ٦٠ ،
 المسترشد . ٥٠ ،
 المستنصر . ٥٠ ،
 المستظهر . ٥٠ ،
 المستعصم . ٤ ،
 مصطفى رشيد باشا . ١٥ ، ١٣١ ،
 ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٥ ،
 مصطفى الثاني (السلطان) . ٢٤ ،
 مصطفى جواد ، الدكتور . ٣١ ،
 ٥٨ ، ٧٧ ،
 مصطفى وفي . ٩٥ ،
 المطير عبد العزيز . ٢١٩ ،
 المظفري ، محمد حسن . ١٠١ ،
 معاوية . ٤ ،
 معلّى ، جميل . ٥٠ ،
 المغربي ، أحمد . ٥٦ ،
 المكتفي . ٧٧ ،
 الملائكة ، جعفر . ١٧٥ ،
 ملانكتون . ١٣٩ ،
 ملكة (الملاية) . ٦١ ،
 ملكشاه ، الب ارسلان . ٤٥ ،
 ملوكي ، عبد المجيد . ٧٧ ،
 منورة خاتون . ٧٨ ،
 الموالي ، أحمد . ٩٤ ،
 موجيل ، المسيو . ١٦٩ ،
 موريس ، ديمومبين . ٤ ،
 موسى ، محي الدين . ١٢٦ ،
 الموصلّي ، صالح . ١٢٨ ،
 الموصلّي ، علي علاء الدين . ٩٣ ،

- الموصلي ، عبد الله . ٧٧ ،
مولود مخلص . ١٨٢ ، ٢٢٠ ،
المولوي ، صالح . ١٢٨ ،
المولوي ، يوسف . ١٢٨ ،
مهدي داود . ١٢٧ ،
مهدي أفندي . ١٦٨ ،
مهدي رحيم . ٥٦ ،
مهران ، المسيو . ١٧٦ ،
مهنية (الملاية) . ٦١ ،
(ن)
النائب ، توفيق . ٢١٨ ،
النائب ، سعيد . ٧٤ ،
النائب ، عبد الوهاب . ٧٤ ،
النائب ، محمد أسعد . ٨٢٧ ،
النائب ، مجدي . ٢١٨ ،
النائب ، محمود . ٢١٨ ،
النائيني ، العلامة . ١٠٧ ،
نائلة خاتون . ٧٠ ،
نابليون . ١٤٠ ،
ناجي شوكت . ٢١٩ ،
الناصري ، محمد خلوصي . ١٥٤ ،
٢٣٦ ، ٢١٨ ،
الناصري ، يوسف عز الدين . ١٥٤ ،
٢٤١ ، ٢٣٥ ،
الناصري ، محي الدين . ٢٣٦ ،
ناظم باشا . ٢١٥ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ،
٢٢٩ ،
نامق باشا . ١٥٨ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ،
نجيب حبيب . ٢١٥ ،
النحوي ، بن يونس . ٨٤ ،
نظام الملك . ٤٥ ، ٤٦ ، ٦٣ ،
٦٨ ، ٨٧ ،
نعيسة (الملاية) . ٦٠ ،
النقشبدي ، خالد . ٧٥ ،
النقشبدي ، داود . ٩٤ ، ١٠٨ ،
١٢١ ،
النقشبدي ، سعيد . ٧٥ ،
نوري ، سعيد . ٢٢٠ ،
(ه)
الهادي ، حسام الدين . ١٧٦ ،
هارون ، صالح . ٢٠٨ ،
الهاشي ، ياسين . ٢٢٠ ،
الهاشمي ، طه . ٢٨ ،
الهر ، قاسم . ١٢٧ ،
هرسفيد . ٢٧ ،
الهندي ، رضا . ١٢٧ ،
الهندي ، غلام رسول . ٧٦ ،
الهنداوي ، خيرى . ١٧٦ ،

- هولاكو . ١٠٨٠ ، ٣٧٠ ، ٤٠١ ، ١٤٢ ،
 ، ٢٣١
 شيورث ، دون . ١١٦ ،
 الوجدي ، محمد فريد . ١٢٨ ،
 الوهبي ، أحمد سفيان . ١٢٨ ،
 الوهبي ، سفيان . ١٢٨ ،

(ي)

- ياقوت . ٢٧ ،
 يزيد . ٤ ،
 اليزدي ، العلامة . ١٠٧ ،
 يحي باشا . ٨٣ ، ٨٥ ،
 يحي المفتي . ٤٦ ،
 يحي نزهت . ٢٢٠ ،
 يعقوب سر كيس . ٢٢ ،
 يوسف عز الدين ، الدكتور . ١٢٥ ،
 يوسف لوقا . ٢١٨ ،
 ييزي خانم . ١٨٥ ،

(و)

- الواعظ ، ابراهيم . ٢١٨ ،
 الواعظ ، جعفر . ٩٥ ،
 الواعظ ، محمد أمين . ٩٤ ،
 الواعظ ، مصطفى . ١٠٨ ، ٩٥ ،
 ، ١١٩ ، ١١٣
 الواعظ ، نجم . ٧٣ ،
 الوتري ، هاشم . ٣٣ ،
 الوتري ، يحيي . ٧٧ ، ١٧١ ،
 ، ٢٣٦



ب - فهرس الامكنة

- | | |
|---------------------------------|--------------------------------|
| بالك ، ٢٩ ، | حرف الالف |
| بانسه ، ٢٨ ، | آل صايح ، ٢٧ ، |
| بدره ، ٢٩ ، | آل بدير ، ٢٨ ، |
| برادوست ، ٢٩ ، | الاعظية ، ٦٣ ، ١٥٤ ، ٢١٤ ، |
| بشدر ، ٢٩ ، | أبو الخصيب ، ٣٠ ، ١٨٤ ، |
| البصرة ، (يتكرر ذكرها كثيرا في | أبو جوارير ، ٢٨ ، |
| الكتاب) | أرييل ، ٢٩ ، ٨٥ ، ٩٠ ، ١٧٩ ، |
| بعقوبة ، ٨٩ ، ١٠٨ ، | استانبول ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٣٠ ، |
| بغداد ، (يتكرر ذكرها كثيرا في | ٣٤ ، ٨٨ ، ١٥٥ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، |
| الكتاب) | ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ، ٢٠٥ ، |
| بغيلة ، ١٥٤ ، | ٢١٥ ، ٣١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٧ ، |
| بنجوين ، ٢٩ ، | ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، |
| بيات ، ٢٧ ، | اسكي موصل ، ٢٨ ، |
| بيارة ، ٨٩ ، | اعويريج ، ٢٨ ، |
| بيروت ، ٦ ، ٨ ، ١١ ، ١٧ ، ٥٧ ، | اكسفورد ، ٢٧ ، |
| ١١٧ ، ١٣١ ، ١٧٨ ، | التون كوبري ، ٢٩ ، ٨٩ ، |
| برلين ، ١٩٧ ، ٢٠٥ ، | أناضول ، ١٩١ ، |
| حرف التاء | حرف الباء |
| تبريز ، ٥ ، | باريس ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، |
| تشالديران ، ٥ ، | باجوانلو ، ٢٨ ، |
| تكرت ، ٢٨ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، | بازيان ، ٢٩ ، |

- تلغفر ، ٢٩ ، ١٨٠ ،
 درنة ، ٥٧ ،
 دمشق ، ٦٥٥ ، ١٣٣ ،
 دمبر قبو ، ٢٧ ،
 ديار بكر ، ٦٣ ،
 ديزه ئي ، ٢٩ ،
 الديوانية ، ٢٨ ، ٢٤٦ ، ٢٠٥ ،
 ديرة ، ٢٩ ،
 دويريج ، ٣٠ ،
 الدور ، ٨٩ ،
 دموك ، ٢٩ ، ٨٩ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ،
 حرف الراء
 رانية ، ٢٩ ،
 راوة ، ٨٩ ،
 راوندوز ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ،
 الرحالية ، ٢٩ ،
 الرزاة ، ٢٩ ،
 الرصافة ، ٦٨ ،
 الرماحية ، ٢٧ ،
 الرمادي ، ٨٩ ،
 حرف الزاي
 زاخو ، ٢٩ ، ٨٩ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ،
 الزبير ، ٣٠ ، ٨٦ ، ٨٩ ،
 الزيبار ، ٢٩ ،
 حرف السين
 سامراء ، ٢٨ ، ٨٩ ، ١٠١ ، ١٠٧ ،
 ١٥٤ ، ١٥٦ ،
 حرف الجيم
 جبة الوس ، ٢٨ ،
 الجزائر ، ٢٧ ،
 الجزيرة ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٦٣ ، ١٠٨ ،
 جنغولا ، ٢٧ ،
 جوازار ، ٢٧ ،
 حرف الحاء
 الحجاز ، ١٤١ ،
 حديثه ، ٢٨ ،
 حلب ، ٣٤ ،
 الحلة ، ٢٧ ، ١٠١ ، ١٠٧ ، ١٢٧ ،
 ١٥٥ ، ١٥٦ ، ٢٠٩ ،
 الحي ، ٣٠ ، ٩٢ ، ١٨٥ ،
 حرف الخاء
 الخالص ، ٢٨ ،
 خاقيق ، ٢٨ ، ٩٠ ، ١٥٦ ، ٢٠٥ ،
 ٢٠٩ ،
 خراسان ، ٥٨ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ،
 خضر الياس ، ٧٣ ،
 خضر الدراجي ، ٢٨ ، ١٥٥ ،
 حرف الدال
 درتلك ، ٢٧ ،
 الدغارة ، ٢٨ ، ٣٢ ،
 الدليم ، ٢٨ ، ١٠٨ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ،

سالونيك ، ١٣٣ ،
سلطانية ، ٢٩ ،
السليمانية ، ٢ ، ٢٩ ، ٨٥ ، ٩٠ ،
١٦٣ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ٢١٩ ،
٢٤٧ ،

سليفاني ، ٢٩ ،
سلمان بالك ، ٢٨ ، ١٥٤ ،
السماعة ، ٢٧ ، ٢٨ ،

سنجار ، ٢٩ ، ٣٦ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ،
سنگ آباد ، ٢٧ ،
سروجك ، ٢٩ ،
سورجي ، ٢٩ ،
سورطاش ، ٢٩ ،
سوق الشيوخ ، ٣٠ ، ٩٢ ،

حرف الشين

الشام ، ٦٣ ، ١٤١ ،
الشامية ، ٢٨ ، ٣٢ ، ١٥٥ ،
الشرطة ، ٣٠ ، ٩٢ ،
شفاعة ، ٢٩ ،
شقاوة ، ٢٩ ،
الشنافية ، ٢٨ ،
شط العرب ، ٣٠ ،
الشورجة ، ٧٣ ،
شوان ، ٢٩ ،
شهر بازار ، ٢٨ ، ١٧٩ ،

شهرزور ، ١٨٠ ،
شهربان ، ١٥٤ ،
شيخ سعد ، ١٥٤ ،
الشيخان ، ٢٩ ،
شيروان ، ٢٩ ،

حرف الصاد

الصلاحية ، ٢٩ ، ١٧٩ ، ١٨١ ،
الصقلاوية ، ٢٨ ،

حرف الطاء

طائفة شيخ اسماعيل ، ٢٩ ،
طاش ، ١٥٤ ،
تلوزخرماتو ، ٢٩ ، ٨٩ ،
حرف العين

العشائر السبعة ، ٢٩ ،
العزيرية ، ٢٨ ، ٨٩ ،
علياوة ، ١٥٤ ،

العمارة ، ٣٠ ، ٣٦ ، ٨٦ ، ٨٩ ،
١٨٥ ، ٢٠٤ ، ٣٠٩ ، ٢٤٧ ،

العمادية ، ٢٩ ، ٨٩ ، ١٧٩ ،
عنة ، ٢٨ ، ٨٩ ،
عقرة ، ٢٩ ، ٨٩ ، ١٧٩ ،

حرف الغين

غلطة ، ٢٤ ،
غريبة ، ٢٩ ،

كر كوك ، ٢٩ ، ٣٦ ، ٨٥ ، ٨٩ ،
١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٧ ، ٢٠٥ ،
٢٤٧ ، ٢١٩

كرند ، ٢٧ ،

كربلا ، ٢٩ ، ١٠١ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،
٢١٢ ، ٢٤٦ ،

كلغبر ، ٢٩ ،

كفري ، ٨٩ ،

الكفل ، ٢٩ ،

الكعبة ، ٦ ،

كوكجهلي ، ١٧٨ ،

الكوت ، ٢٨ ، ١٠٨ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ،

الكوفة ، ٢٩ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ١٥٥ ،

الكويت ، ٣٠ ،

كويسنجق ، ٢٩ ، ٩٠ ، ١٧٩ ،

كيل ، ٢٩ ،

كيلان ، ٢٧ ،

حرف الميم

مخمر ، ٨٩ ،

مدينة السلام ، ٤٤ ، ٣٨ ، ٤٢ ، ٦٨ ،

مرج دابق ، ٥ ،

مزوري ، ٢٩ ،

مزوري بالا ، ٢٩ ،

المستصرية ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٦٨ ، ٦٩ ،

مصر ، ٤٤ ، ٥٥ ، ٦٨ ، ٨٣ ، ١١٥ ، ١٢٦ ،

حرف الفاء

الفاو ، ٣٠ ،

الفلوجة ، ٨٩ ،

حرف القاف

القائم ، ٢٨ ،

القاهرة ، ٦٥ ، ٦٨ ، ١٢ ، ٢١ ،

٣٩ ، ٤٦ ، ١٤٢ ، ١٧٧ ،

قرانية ، ٢٧ ،

قرلرباط ، ٢٨ ،

قرطبة ، ٣٨ ،

قره داغ ، ٢٧ ،

القرنة ، ٣٠ ، ١٨٤ ،

قره تبه ، ٢٩ ،

قسطنطينية ، ٦٥ ، ٦٧ ، ١٩ ،

قطر ، ٣٠ ،

القطيف ، ٣٠ ،

قلعة سيوكة ، ٢٩ ،

قلعة صالح ، ٣٠ ، ٨٦ ، ٨٩ ،

القيروان ، ٣٨ ،

حرف الكاف

الكاظمية ، ٢٨ ، ١٠١ ، ١٠٧ ،

١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٧٤ ، ٢١١ ، ٢١٢ ،

كيسة ، ١٥٤ ،

- معصورة الحميد ، ١٨٠ ، ١٧٩ ، ٢٩ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٢٧ ، ١٥٥ ،
 ملحّة ، ٢٩ ،
 مسدوحية ، ٢٨ ،
 المنتفك ، ٢٤٧ ، ٣٠ ،
 مندلي ، ١٠٨ ، ٢٨ ،
 المنصورية ، ٩٠ ،
 الموصل (يتكرر ذكرها كثيرا في
 الكتاب)
 حرف النون
 الهارثة ، ٣٠ ،
 الهندية ، ٢٩ ، ٣٢ ، ١٥٥ ،
 هورن ، ٢٨ ،
 هيت ، ٢٨ ، ٨٩ ،
 الناصرية ، ٣٠ ، ١٨٥ ،
 نجد ، ٣٠ ،
 النجف ، ٢٩ ، ٤٦ ، ١٠١ ، ١٠٣ ،



ب - فهرس المصادر

١ - المصادر العربية

- أربعة قرون من تاريخ العراق • س • لونكريك • ترجمة • جعفر خياط • بيروت ١٩٤١ •
- أسرار الكفاح الوطني في الموصل • عبد المنعم الغلامي • بغداد ١٩٥٨ •
- أقدم اصدقاء العرب • الدكتور جون فانيس • ترجمة جليل عسو • بغداد ١٩٤٦ •
- أصول التربية ونظام التعليم • الدكتورة علي عبد الواحد وافي وزملاؤه • القاهرة ١٩٥٥ •
- أعيان الشيعة ج ١ • السيد محسن الامين • بيروت ١٩٥١ •
- أعيان الشيعة ج ٤٠ • السيد محسن الامين • صيدا ١٩٥٧ •
- الاتراك العشانيون وحضارتهم • كارل بروكلمان • ترجمة الدكتور نبيه فارس • منير البعلبكي • بيروت ١٩٥٥ •
- الاسلام في القرن السابع عشر • كارل بروكلمان • ترجمة الدكتور نبيه فارس • منير البعلبكي • بيروت ١٩٥٥ •
- الامبراطورية الاسلامية وانحلالها • كارل بروكلمان • ترجمة الدكتور نبيه فارس • منير البعلبكي • بيروت ١٩٥٤ •
- البغداديون • أخبارهم ومجالسهم • ابراهيم الدروبي • بغداد ١٩٥٨ •
- بغداد كما وصفها السواح الاجانب • سعاد العمري • بغداد ١٩٥٤ •
- البلاد العربية والدولة العثمانية • ساطع الحصري • القاهرة ١٩٥٧ •
- تاريخ الدولة العلية العثمانية • محمد فريد وجدي •
- تاريخ العراق بين احتلالين • عباس العزاوي • بغداد •
- تاريخ الموصل ج ١ • القس سليمان صائغ • القاهرة ١٩٢٣ •

- تاريخ نصارى العراق • رفائيل بابو اسحق • بغداد ١٩٤٨ •
- تكوين العراق الحديث • هـ ، أ ، فوستر • ترجمة عبد المسيح جوييدة •
بغداد ١٩٤٦ •
- تاريخ الشرق العربي والخلافة العثمانية • محمد ضياء الدين الرئيس •
القاهرة • ١٩٥٠ •
- تركية الحديثة • محمد عزت دروزة • بيروت • ١٩٤٦ •
- تاريخ الشيعة • محمد الحسين المظفري • النجف • ١٣٥٢ هـ •
- تاريخ الشيعة • الدكتور حسين علي محفوظ • بغداد • ١٩٥٨ •
- تاريخ مساجد بغداد وآثارها • محمود شكري الالوسي • بغداد • ١٣٤٦ هـ •
- تاريخ الطب في العراق • الدكتور هاشم الوتري والدكتور معمر الشايندر •
بغداد ١٩٣٩ •
- التربية عند العرب • خليل طوطح • القدس •
- تاريخ التربية الاسلامية • الدكتور احمد شلبي • بيروت • ١٩٥٤ •
- التربية والتعليم في الاسلام • الدكتور محمد اسعد طلس • بيروت • ١٩٥٧ •
- التعليم في رأي القابسي • الدكتور محمد فؤاد الاهواني • القاهرة • ١٩٤٥ •
- تقرير لجنة الكشف التهذيبي • — لجنة منرو — بغداد • ١٩٣٢ •
- تاريخ التربية في عصر محمد علي • الدكتور احمد عزت عبدالكريم • القاهرة •
- خمسة وخمسون عاما من تاريخ العراق • الشيخ محمد أمين الحلواني المدني •
القاهرة • ١٣٧١ هـ •
- الخلافة • السير توماس ارنولد • ترجمة جميل معلى • دمشق • ١٩٤٦ •
- الخلافة والدستور الاسلامي • محمد جواد الشري • بيروت • ١٩٤٦ •
- خطط الموصل ج ٢ • احمد الصوفي • الموصل • ١٩٥٣ •
- الخدمات الاجتماعية لطلاب العلوم في الاسلام • سعيد الديوهجي •
الموصل • ١٩٥٥ •

- خلاصة تاريخ العراق • أنستاس الكرمللي • بغداد • ١٩١٩ •
- دليل خارطة بغداد • الدكتور مصطفى جواد والدكتور احمد سوسة •
بغداد ١٩٥٨ •
- الدليل لاصلاح الاوقاف • محمد احمد العمر • بغداد • ١٩٤٨ •
- الدولة والنظم الاقتصادية في الشرق الاوسط • أ • بونيه • ترجمة الدكتور
راشد الراوي • القاهرة • ١٩٥٠ •
- الدولة والتعليم • (٢) • حسن الدجيلي • بغداد • ١٩٥٣ •
- الافندان • سيتون لويد • ترجمة طه باقر وبشير فرنسيس • بغداد •
- الروض الازهر في تراجم آل السيد جعفر • مصطفى نور الدين انواعظ •
الموصل • ١٩٤٨ •
- سحر بابل وسجع البابل • ديوان السيد جعفر الحلي • المطبوع عام ١٣٣١ هـ
- شعراء الحلة ج ١ • علي الخاقاني • النجف • ١٩٥٢ •
- الشعر العراقي في القرن التاسع عشر • الدكتور يوسف عز الدين •
بغداد ١٩٥٨ •
- صلة العلم بالمجتمع • ج. ج. كراوزر • ترجمة حسن خطاب ومحمد مرسي
القاهرة •
- العراق قديما وحديثا • عبد الرزاق الحسيني • صيدا • ١٩٤٨ •
- العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب • محمد جميل بيهم •
بيروت • ١٩٥٧ •
- عصور الادب العربي • محمد كاظم الكفائي • النجف • ١٩٤٦ •
- عبد الحميد ظل الله على الارض • الدكتور الما دتلن • ترجمة راسم
رشدي • القاهرة • ١٩٥٠ •
- العراق دراسة في تطوره السياسي • فيليب آيرلاند • ترجمة جعفر خياط •
بيروت • ١٩٤٩ •

- غرائب الاغتراب ونزهة الالباب • أبو الشاء الآلوسي • بغداد ١٣٢٧ هـ •
- في غمرة النضال • مذكرات سليمان فيضي • بغداد ١٩٥٢ •
- فصول من تاريخ العراق القريب • مسيل • ترجمة جعفر خياط • بيروت ١٩٤٩ •
- فلسفة التاريخ العثماني • محمد جميل بيهم • بيروت • ١٩٥٤ •
- قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور • ج ٢ • محمد جميل بيهم • بيروت •
- كنز الرغائب في منتخبات الجوائب ج ٥ • سليم فارس • استانبول • ١٢٩٤ هـ •
- كنز الرغائب في منتخبات الجوائب ج ٦ • سليم فارس • استانبول ١٢٩٥ هـ •
- كنز الرغائب في منتخبات الجوائب ج ٧ • سليم فارس • استانبول ١٢٩٨ هـ •
- مدحت باشا • صديق الدملاجي • بغداد • ١٩٥٣ •
- الممالك في العراق • احمد علي الصوفي • الموصل • ١٩٥٢ •
- الموصل في الجيل الثامن عشر • دومنيكو لانزا • ترجمة القس رفائيل •
- ييداويد • الموصل • ١٩٥١ •
- المستشرقون • نجيب العقيقي • بيروت • ١٩٣٧ •
- المسألة الشرقية ومؤتمر باريس • الدكتور محمد مصطفى عزت • القاهرة •
- ١٩٥٨ •
- معجم العراق ج ١ • عبد الرزاق الهلالي • بغداد • ١٩٥٣ •
- مقدمة ابن خلدون • القاهرة •
- مختصر تاريخ بغداد • علي ظريف الاعظمي • بغداد ١٩٢٦ •
- مختصر تاريخ البصرة • علي ظريف الاعظمي • بغداد ١٩٢٧ •
- مجموعة تراجم العلماء • محمود شكري الالوسي • مخطوط مكتبة المتحف العراقي •
- المذهب التربوي عند ابن خلدون • فتحية حسن سليمان • القاهرة •
- مدارس الموصل في العهد الاتابكي • سعيد الديوجي • بغداد • ١٩٥٧ •

- المدنية والاسلام • محمد فريد وجدي • القاهرة • ١٩٣٣ •
- المرجع في تاريخ التربية ج ٢ • الدكتور بول منرو • ترجمة صالح عبد العزيز وحامد عبد القادر • القاهرة •
- مخطوطات الموصل • الدكتور داود جليبي • الموصل • ١٩٢٧ •
- ماضي النجف وحاضرها • محمد جعفر محبوب • صيدا • ١٣٥٣ هـ •
- معارف دستوري • فائق رشيد • استانبول • ١٩٢٧ •
- نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر • الدكتور البصير • بغداد • ١٩٤٦ •
- نظرات في معارف العراق — شيخ العراقيين • النجف • ١٩٤٩ •
- النظم الاسلامية • موريس غ ديمو ميين • ترجمة فيصل السامر وصالح الشماع • بغداد • ١٩٥٢ •
- نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق • يوسف رزق الله غنيم • بغداد • ١٩٢٤ •
- الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية • علي الباركان • بغداد • ١٩٥٤ •
- يقظة العرب • جورج انطونيوس • ترجمة علي حيدر الركابي دمشق • ١٩٤٦ •



٢ - المصادر الأجنبية

- 1.— IRAQ. 1900 TO 1950 BY S. H. LONGRIGG.
.....OXFORD 1953.
- 2.— IRAQ. BY S.H. LONGRIGG & F. STOAKES
ERNEST BENN LONDON 1958.
- 3.— ISLAMIC SOCIETY & THE WEST.
BY, H.A.R. GIBB & H. BOWEN.
OXFORD. 1957.
- 4.— MATERIALS ON MUSLIM EDUCATION. ...
..... BY. A.S. TRITTON.
..... LONDON 1927.
- 5.— AN INTRODUCTION TO THE HISTORY OF
EDUCATION IN MODERN EGYPT.
BY. J. HEY WORTH. DUNNE.
- 6.— LA, PROVANCE DE BAGHDAD.
..... BY. HABIB K. CHIH.
..... LE CAIRE 7908.

كتب مطبوعة للمؤلف

- ١ - نظرات في اصلاح الريف طبع ثلاث طبعات ١٩٥٠ - ١٩٥٤
- ٢ - معجم العراق الجزء الاول نقد ١٩٥٣
- ٣ - معجم العراق الجزء الثاني ١٩٥٦
- ٤ - مشاكل الائتمان الزراعي في العراق ١٩٥٧
- ٥ - الهجرة من الريف الى المدن في العراق ١٩٥٨
- ٦ - دليل العراق الحديث - باللغة الانكليزية ١٩٥٧
- ٧ - خريطة بغداد والعراق - باللغة الانكليزية ١٩٥٨

كتب تنتظر الطبع

- ١ - معجم العراق الجزء الثالث *
- ٢ - التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني *

تطلب هذه الكتب
من المؤلف مباشرة أو من المكتبات الكبرى
في بغداد

HISTORY
OF
EDUCATION IN IRAQ
DURING
THE OTTOMAN TIMES
1638 -- 1917

by
ABDUL - RAZZAK . HILALI
[B. A & L L. B]

PUBLISHED WITH THE ASSISTANCE OF
THE MINISTRY OF EDUCATION
OF IRAQ

FIRST EDITION
1959

Printed at The National Printing & Publishing Company
With Limited Liability. — Baghdad.

A 15 -
618/55

HISTORY
OF
EDUCATION IN IRAQ
DURING
THE OTTOMAN TIMES
1638 -- 1917

by
ABDUL - RAZZAK. HILALI
[B. A. & L. L. B.]

PUBLISHED WITH THE ASSISTANCE OF
THE MINISTRY OF EDUCATION
OF IRAQ

FIRST EDITION
1959

Printed at The National Printing & Publishing Company
With Limited Liability. — Baghdad.

DATE DUE

SEP 10 2002

SEP 10 2002

SEP 06 2002

FEB 18 2013

GAYLORD

PRINTED IN U.S.A.

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0042924510

L378.56

H54



BOUND

DEC 9 1960



COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE

CU56389051

378.56 H54

Tarikh al-ta'lim

AP